جامعة المنيا
كليـة دار العلـوم
قسم الفلسفة الإسلامية

قضايا الألوهية

في تفسير محاسن التأويل

للقاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في العلوم الإسلامية – قسم الفلسفة الإسلامية

إعداد الباحث:

هانـي أحمد قطب جبر

إشـراف:

أ٠د/ سيد عبد الستار ميهوب

أستاذ الفلسفة الإسلامية

(١٤٤٢هـ -٢٠٢٠م)

جامعة المنيا

كليـة دار العلـوم

قسم الفلسفة الإسلامية

قضايا الألوهية

في تفسير محاسن التأويل

للقاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في العلوم الإسلامية – قسم الفلسفة الإسلامية

إعداد الباحث:

هاني أحمد قطب جبر

إشـراف:

أ٠د/ سيد عبد الستار ميهوب

أستاذ الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة المنيا

(١٤٤٢هـ –٢٠٢٠م)

جامعة المنيا

كليـة دار العلـوم

قسم الفلسفة الإسلامية

رسالة ماجستير في الفلسفة الإسلامية.

اسم الطالب: هاني أحمد قطب جبر.

عنوان الرسالة: قضايا الألوهية في تفسير محاسن التأويل للقاسمي (ت: ١٣٣٢هـ).

القسم: الفلسفة.

الكلية: دار العلوم.

الجامعة: المنيا.

سنة المنح: ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م.

الدرجة العلمية: ماجستير.

جامعة المنيا

كليـة دار العلـوم

قسم الفلسفة الإسلامية

رسالة ماجستير في الفلسفة الإسلامية.

اسم الطالب: هاني أحمد قطب جبر.

عنوان الرسالة: قضايا الألوهية في تفسير محاسن التأويل للقاسمي (ت: ١٣٣٢هـ).

لجنة الإشراف:

الاســـــــــم	الوظيفة	الكلية والجامعة
أ.د/ سيد عبد الستار ميهوب	أستاذ	كلية دار العلوم- جامعة المنيا

لجنة الحكم والمناقشة:

الاســـــــــم	الوظيفة	الكلية والجامعة
أ.د/ السيد محمد عبد الوهاب	أستاذ	كلية دار العلوم- جامعة المنيا
أ.د.م/ أحمد عبد الحليم محمد جلال	أستاذ مساعد	كليـة الدراسـات الإسـلامية والعربيـة للبنين جامعة الأزهر

الدراسات العليا:

ختم الإجازة:

أُجيزت الرسالة بتاريخ:

موافقة مجلس الكلية:

موافقة مجلس الجامعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد: ١٦].

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني وأعانني، فهو الذي بيده العون ومنه التوفيق والسداد، وبعد:

فانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. [إبراهيم: ٧]، وعملًا بقول النبي ﷺ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ". (الترمذي "محمد بن عيسى بن سَوْرة": الجامع الكبير- سنن الترمذي، تحقيق/ بشار عواد معروف، (جـ٣/٤٠٣)، رقم (١٩٥٥)، الناشر/ دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط/ الأولى (١٩٩٨م)، قال الترمذي: حسن صحيح).

فبعد شكر الله تعالى أرى أنه من الواجب عليَّ أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لأستاذي ومعلمي فضيلة الأستاذ الدكتور/ سيد عبد الستار ميهوب، الذي تولى الإشراف على هذه الرسالة، فكان لخبرته الطويلة ومراسه المتواصل في هذا المضمار أكبر الأثر في إنجاز هذا البحث وإخراجه إلى حيز الوجود، فقد فتح لي صدره الرحب، وجاد عليَّ بتوجيهاته القيمة، ومساعداته الدائمة، ومنحني الوقت حتى استفدتُ من فيض علمه، فجزاه الله عنّي خير الجزاء، وأعطاه الله الصحة والعافية، وأطال الله بقاءه وبارك في ذريته.

إلى أساتذتي الأجلاء الذين تعلمت على أيديهم في مراحل دراستي المتعددة بكلية دار العلوم، وأخصُّ قسم الفلسفة الإسلامية، وأخصُّ أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور/ السيد محمد عبد الوهاب، فلهم جميعًا مني كلَّ شكرٍ وتقدير.

إلى روح أستاذي ومعلمي وشيخي فضيلة الشيخ العلَّامة المحدث/ محمد عبد الحكيم القاضي، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

إلى والديَّ بارك الله فيهما وأطال عمرهما ومتعهما بالصحة والعافية.

إلى زوجتي الوفية التي وقفت بجانبي وكانت دائمًا تشدُّ من أزري، جزاها الله عني خير الجزاء.

إلى قرة عيني أولادي الصغار/ سمية ومحمد وحفصة حفظهم الله تعالى ورعاهم وجعلهم زخرًا للإسلام والمسلمين.

إلى كل من ساعدني وأرشدني ومن أسدى لى جميلًا أو صنع إليَّ معروفًا، جزى الله الجميع عني خير الجزاء.

المقدمة

(المقدمة)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ, وآله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد هيأ الله عز وجل لخدمة دينه الحنيف صفوة من الرجال زودهم بالعقول النيرة والقلوب الواعية، وأرشدهم إلى طريق الحق القويم، ووفقهم إلى التزامِ منهجِ السلفِ الصالح، وغَرَسَ في نفوسهم الهمةَ العالية، فأنفقوا حياتهم في خدمةِ هذا الدين، والدفاعِ عن عقيدته الصحيحةِ الصافية، والتصدي لأهلِ الضلالِ والإلحادِ والبدع، ورزقهم الثباتَ على الحق، فلقوا ربهم وما بدَّلوا تبديلًا، وتركوا وراءهم علمًا نافعًا حوته الكتب التي صنفوها، وحفظته صدور التلامذةِ الذين تلقّوا عليهم، وكان من هؤلاء الأئمة الأعلام محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣هـ-١٣٣٢هـ)، الذي نشأ في عصرٍ قويت فيه موجةُ الإلحاد، وكثرُ فيه دعاةُ التغريب، وانتشر التقليدُ والتعصب، واندرس العلمُ الصحيح، فجدَّ واجتهدَ لإصلاحِ الأحوال، وتنقيةِ المجتمعِ من البدعِ والضلال، مُدرِسًا وإمامًا ومُؤلِفًا حتى أنارت بعلومهِ الظلمات، وأحيا اللهُ به من كان في عدادِ الأموات.

ولما كان علمُ العقائدِ أشرفَ العلومِ وأفضلها، لتعلقه بذاتِ الباري- جل وعلا- وأسمائهِ وصفاته- إذ شرفُ العلمِ بشرفِ المعلوم- رأيتُ أن أُبرِزَ آراءه -أعني القاسمي- الاعتقادية المتعلقة بقضايا الألوهية من خلال تفسيره الكبير: محاسن التأويل، واخترت قضايا الألوهية كدراسة للأهمية التي يكتسبها هذا الجانب في الدراسات العقدية.

وأرجو من الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولًا: أسباب اختيار الموضوع:-

١- أن هذا التفسيرَ علامة عن قضايا الاعتقاد التي تنازعت فيها كثيرٌ من الفرق والمذاهب التي كانت في عصر القاسمي، وسبب اختلافهم هو اختلاف فهمهم لمراد كلام الله عز وجل.

٢- اشتمال هذا التفسير على كثيرٍ من النقولات المعتمدة من أئمة التفسير.

٣- كون القاسمي من أشهر العلماء المتأخرين الذين لهم أثرٌ بالغٌ في النهضةِ الإسلاميةِ الحديثة المعاصرة.

٤- دراسة هذا الموضوع (قضايا الألوهية في تفسير محاسن التأويل) يُساهم بدرجةٍ كبيرةٍ في إعداد الباحث وغيره من الباحثين لدراسةٍ أعمق في مجال العقيدة.

٥- دراسته أيضًا تساعد الباحثين والمهتمين بدراسةِ مؤلفات القاسمي.

ثانيًا: إشكالية الموضوع:-

يُعدُّ القرآن الكريم مصدرًا رئيسًا في تأسيس العقيدة الإسلامية وبنائها، والكشف عن هذه العقائد منهجًا وموضوعًا يتطلب التركيز على جهود المفسرين في التعامل مع النص القرآني في موضوع العقائد، وفي ضوء دور الباحث يتساءل:

١- ما الآراء الاعتقادية (المتعلقة بقضايا الألوهية) للقاسمي باعتباره مفسرًا؟

٢- ما موقفه من المسائل التي اختلف فيها حول قضايا الإلهيات؟

٣- ما الأصول التي اعتمد عليها خلال تفسيره في بيان العقيدة؟

ثالثًا: الدراسات السابقة:-

- كتاب "المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات": د/ محمد بن عبد الرحمن المغراوي الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، تناول من المفسرين جمال الدين القاسمي إلا أن دراسته كانت منحصرة في بعض الصفات الإلهية.
- "الآراء الاعتقادية لجمال الدين القاسمي من خلال محاسن التأويل المعاد – نموذجًا": محمد بن عده، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية- قسم العقائد والأديان، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، مخطوط ماجستير. تناول الباحث قضايا المعاد فقط.

- "منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة": محمد أحمد خضي، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، (١٩٩١م)، مخطوط ماجستير.
- "القاسمي وآراؤه الإعتقادية": علي محمود علي دبدوب، الناشر/ دار المحدثين، القاهرة، ط/ الأولى (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م). مخطوط ماجستير بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر، وهذه الرسالة مكونة من مقدمة وبابين وخاتمة، تناول الباب الأول التعريف بالقاسمي، والباب الثاني آراءه الاعتقادية من خلال ثلاثة فصول، الأول تناول فيه الإلهيات وذلك من خلال عدة مباحث ذكر فيها منهج علماء الكلام في الاستدلال على وجود الله، ثم منهج القاسمي في الاستدلال على وجود الله، ثم قضية إثبات الصفات متناولًا آراء أشهر الفرق الكلامية في الصفات، ثم رأي القاسمي في الصفات، وتكلم عن الصفات الخبرية، ثم عن صفة الكلام، وأما الفصل الثاني تناول قضية النبوات عند القاسمي، والثالث تناول قضية السمعيات عند القاسمي، وهذه الدراسة لم تتناول قضايا الألوهية في تفسير القاسمي بشكل مفصَّل، وإنما تطرَّقت إليها بشكلٍ موجز، وكان أكثر الحديث في الدفاع عن القاسمي وبيان عدم انتسابه للفرق الكلامية.

أما دراستنا فسوف تختص بقضايا الألوهية عند القاسمي بشكلٍ مفصّل من خلال تفسيره محاسن التأويل، كذلك التعرض بالنقل اليسير من كتب القاسمي الأخرى ما يَخصُّ هذه القضية، وقد استفاد الباحث من رسالة الدكتور علي دبدوب السالفة الذكر بعض المسائل نقلًا عنه مثل ما يتعلق بحياة القاسمي وسيرته الذاتية.

- (الإمام القاسمي ومنهجه في التفسير): ياسين علي بابكر، مخطوط ماجستير من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية- السودان، نوقشت بتاريخ ٢٠٠١م.
- (جمال الدين القاسمي ومنهجه في تفسيره: محاسن التأويل): يوسف مرزوق بداي الضاوي، مخطوط ماجستير من جامعة الكويت، نوقشت بتاريخ ٢٠٠١م.

- (منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي): د/ فهد عامر حمد عازب العجمي، مخطوط دكتوراه، الناشر/ جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، عام النشر(٢٠١٢م)، إشراف/ أ.د مصطفي حلمي، ومحمد السيد الجلينيد، وهذه الرسالة مكونة من تمهيد وخمسة أبواب، تناول التمهيد سيرة مختصر لكلٍّ من الألوسي والقاسمي، ثم الباب الأول عن مصادر تلقي العقيدة عند الألوسي والقاسمي، والباب الثاني عن دراسة منهجهما في الإلهيات، والثالث آراءهما في النبوات والإيمان، والرابع في السمعيات عند الألوسي والقاسمي، والخامس في الدعوة عند الألوسي والقاسمي، إلا أن هذه الدراسة لم تتناول قضايا الألوهية في تفسير القاسمي بشكل مفصَّل، وإنما تطرَّقت بشكل موجز، وكان أكثر الجهده في المقارنة بين الألوسي والقاسمي.

وهذه الدراسات لا تفي بموضوع رسالة الباحث.

رابعًا: موضوع البحث:

يتناول البحث قضايا الألوهية في تفسير القاسمي، فقد تناول الباحثُ بداية تمهيدًا بالتعرف علي حياة القاسمي لتوضيح تأثير الظروف المحيطة بالقاسمي (سياسية – علمية – ثقافية – اجتماعية – دينية) وتأثره بشيوخه، وبيان مجمل عقيدته وذكر ذلك كله في عدة فصول، ثمّ ذكر عدة أبواب أخرى تتناول مباحث قضايا الألوهية من (وجود الله سبحانه وتعالي – وحدانيته – ألوهيته – أسمائه – صفاته – أفعاله) وبيان منهج القاسمي فى [تفسير محاسن التأويل] والأدلة التي اعتمد عليها في هذه القضايا.

خامساً: منهج البحث:

ويتضمن جانبين:

- **الجانب الأول: المنهج العام للبحث.**

استخدم الباحث في بحثه هذا عدة مناهج لتحقيق الأهداف المرسومة سابقًا؛ وهي:

١- المنهج التاريخي: وبه توصل الباحث إلى تراجم الأعلام، وسيرهم وتاريخ حياتهم.

٢-المنهج الاستقرائي: والمراد به الاستقراء الجزئي لمصنفات هذا العَلَم، خاصةً في الإلهيات، فقلَّبَ فيه بعض صفحاته وعاشَ في رحاب مؤلَّفاتِهِ، وفي ضيافة علمائه.

٣- المنهج التحليلي: ويظهر جليًا في دراسة تعريفات قضايا الألوهية، وما يتعلق بها.

٤- المنهج النقدي: ويظهر جليًا في التعليق على التعريفات، والقضايا المتعلقة بالإلهيات، وفي بعض حواشي البحث، وبيان نسبة القاسمي إلى منهج السلف الصالح.

- **الجانب الثاني: المنهج الخاص بمتن البحث والتعليق والتهميش، وسوف يسير الباحث فيه على ضوء النقاط الآتية:**

١- عزو الآيات القرآنية الواردة في هذا البحث؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك في الحاشية. وكتابة الآيات بنسخ الرَّسم العثماني.

٢- تخريج الأحاديث النبوية، والآثار المروية عن الصحابة ﷺ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما يكتفي بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما ذكرَ من خَرَّجَهُ، واجتهدَ في ذكر حكم العلماء عليه متى وجد.

٣- توثيق النقول التي نقلها القاسمي والتي استطاع الباحث الوقوف عليها.

٤- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث عند أول موضع يرد فيه العلم، دون المشاهير منهم كالصحابة ﷺ وغيرهم.

٥- تعريف الفرق والطوائف، وشرح الكلمات الغريبة الواردة في البحث.

٦- تصدير المباحث ببعض التعريفات اللغوية والاصطلاحية عند الحاجة إلى ذلك.

٧- ترتيب ما وقف عليه الباحث من آراء القاسمي في قضايا الإلهيات حسب خطة البحث.

٨- ذِكْرُ رأي القاسمي في كل مسألة من مسائل البحث، وذكر بعض أقوال السلف تأييدًا له إن كان موافقًا، في الغالب.

٩-استفاد الباحث في عرضه للرسالة من مخطوط: منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، للدكتور فهد عامر العجمي، كذلك مخطوط: القاسمي وآراؤه الإعتقادية، للدكتور علي محمود دبدوب، فقد سلك طريقة المؤلفين في عرض الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، مع الإضافة، ثم بيان منهج القاسمي بعد ذلك.

سادسًا: خطة البحث:

مقسَّمة إلى: مقدمة، وأربعة فصولٍ، وخاتمة:

المقدمة: وتشتمل على:-

أولًا: أسباب اختيار الموضوع. ثانيًا: إشكالية الموضوع.

ثالثًا: الدراسات السابقة. رابعًا: موضوع البحث.

خامسًا: منهج البحث. سادسًا: خطة البحث.

الفصل الأول: القاسمي وكتابه محاسن التأويل.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العصر الذي عاش فيه القاسمي.

ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: الحالة السياسية وعلاقة القاسمي بولاة عصره.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية، والاقتصادية، وموقف القاسمي منها.

المطلب الثالث: الحالة العلمية والدينية.

المبحث الثاني: السيرة الذاتية للقاسمي.

ويشتمل على خمسة مطالب: المطلب الأول: اسمه، لقبه، كنيته.

المطلب الثاني: مولده، نشأته، ثقافته.

المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه، مذهبه وعقيدته.

المطلب الرابع: شيوخه، مكانته العلمية.

المطلب الخامس: آثاره العلمية، تلاميذه، وفاته.

المبحث الثالث: منهج القاسمي في تفسير محاسن التأويل.

ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: وصف الكتاب.

المطلب الثاني: منهج القاسمي في تفسيره.

المطلب الثالث: مصادر تلقي العقيدة عند القاسمي.

أولًا: القرآن الكريم. ثانيًا: السنة النبوية.

ثالثًا: الإجماع. رابعًا: أقوال السلف.

خامسًا: العقل.

الفصل الثاني: توحيد الربوبية والألوهية في تفسير محاسن التأويل.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التوحيد، وبيان أقسامه.

ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: مفهوم التوحيد.

المطلب الثاني: أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: توحيد الربوبية.

ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: مفهوم توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: أدلة معرفة الخالق وإثبات وحدانيته.

المبحث الثالث: توحيد الألوهية.

ويشتمل على أربعة مطالب: المطلب الأول: مفهوم الألوهية.

المطلب الثاني: تعريف العبادة وشروطها.

المطلب الثالث: من أنواع العبادة.

المطلب الرابع: المسائل التي تقدح في التوحيد.

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات في تفسير محاسن التأويل.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الأسماء والصفات٠

ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: أسماء الله تعالى٠

المطلب الثاني: صفات الله تعالى٠

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات٠

المبحث الثاني: منهج القاسمي في أسماء الله تعالى٠

ويشتمل على أربعة مطالب: المطلب الأول: أسماء الله تعالى حسنى٠

المطلب الثاني: أسماء الله تعالى توقيفية٠

المطلب الثالث: إحصاء أسماء الله تعالى الحسنى٠

المطلب الرابع: اسم الله تعالى الأعظم٠

المبحث الثالث: البحث في صفات الله تعالى٠

ويشتمل على أربعة مطالب: المطلب الأول: صفاتُ الله تعالى توقيفيةٌ لا مجال للعقل فيها٠

المطلب الثاني: صفاتُ اللهِ تعالَى ثابتةٌ من غير تحريفٍ، ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل٠

المطلب الثالث: القول في الصفات كالقول في الذات٠

المطلب الرابع: صفات الله تعالى متنوعةٌ في تعلقها بذاته٠

المبحث الرابع: منهج القاسمي في صفات الله٠

ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: منهج القاسمي في الصفات الملازمة٠

المطلب الثاني: منهج القاسمي في الصفات الاختيارية٠

الفصل الرابع: القضاء والقدر في تفسير محاسن التأويل٠

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القضاء والقدر٠

ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: القضاء والقدر لغةً٠

الفصل الأول:

القاسمي وكتابه محاسن التأويل،

ويشتملُ على ثلاثةِ مباحث:

المبحث الأول: العصر الذي عاش فيه القاسمي، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية وعلاقة القاسمي بولاة عصره.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية، والاقتصادية، وموقف القاسمي منها.

المطلب الثالث: الحالة العلمية والدينية.

المبحث الثاني: السيرة الذاتية للقاسمي، ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، لقبه، كنيته.

المطلب الثاني: مولده، نشأته، ثقافته.

المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه، مذهبه وعقيدته.

المطلب الرابع: شيوخه، مكانته العلمية.

المطلب الخامس: آثاره العلمية، تلاميذه، وفاته.

المبحث الثالث: منهج القاسمي في تفسير محاسن التأويل، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الكتاب.

المطلب الثاني: منهج القاسمي في تفسيره.

المطلب الثالث: مصادر تلقي العقيدة عند القاسمي.

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: السنة النبوية.

ثالثًا: الإجماع.

رابعًا: أقوال السلف.

خامسًا: العقل.

المبحث الأول:

العصر الذي عاش فيه القاسمي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية وعلاقة القاسمي بولاة عصره.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية، الاقتصادية، وموقف القاسمي منها.

المطلب الثالث: الحالة العلمية والدينية.

المطلب الأول:

الحالة السياسية وعلاقة القاسمي بولاة عصره:

أولًا: الحالة السياسية:

عند البحث في الحياة السياسية في وقت ومكان محددين فإن الحديث ينصب عادة على السلطة المتولية على ذلك القطر والأوضاع الخارجية المتعلقة به والحوادث الداخلية التي كان لها الأثر في حياة المُتَرَّجَمِ له، ولهذا كان البحث في عصر القاسمي عن الدولة العثمانية في القرن الثالث عشر، حيث كانت الشام – بلد القاسمي – تابعة لها(١).

عاش القاسمي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر وقد توالى في هذه الفترة على الدولة أربعة سلاطين(٢):

الأول: السلطان عبد العزيز خان(٣):

ولد عام ١٢٤٥هـ، وتولى الخلافة في أواخر عام ١٢٧٧هـ.

---

(١) محمد بن عده: الآراء الاعتقادية لجمال الدين القاسمي من خلال محاسن التأويل المعاد – نموذجًا، صـ(١٤)، مخطوط ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية– قسم العقائد والأديان، (١٤٣٣هـ–٢٠١٢م).

(٢) فريد بك "محمد": تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٥٤٦–٥٤٨، تحقيق: د/ إحسان حقي، دار النفائس، ط/ الأولى (١٤٠١هـ – ١٩٨١م) .

(٣) هو ابن السلطان محمود الثاني ولد سنة ١٨٣٠م، شهد عصره إصلاحات في المجال الديني، إذ كان حريصًا على تطبيق الشريعة الإسلامية، وكان مستشعرًا لضعف الدولة العثمانية مقابل قوة الدول الأوروبية وحرصت هذه الأخيرة على التدخل في الشئون الداخلية، فحرص على الابتعاد منها مع الاقتراب من الروس لتقوية الجانب العسكري، توفى عام ١٨٧٦م، بعد صدور فتوى بعزله. يُنظر: حسون "د/ على": تاريخ الدولة العثمانية، صـ (١٩٨–٢٠٠)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ الرابعة (١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م)– شاكر "محمود": التاريخ الإسلامي، (جـ٨/١٨٢)، الناشر/ المكتب الإسلامي، ط/ الرابعة (١٤٢١هـ–٢٠٠٠م).

أهم الأحداث في عصره:

١- قامت في عهده ثورة جزيزة كريت، وأخمدت عام ١٢٨٣هـ.

٢- تم فتح قناة السويس عام ١٢٨٥هـ.

٣- وضع مجلة الأحكام العدلية، وهي مستمدة من الفقه الحنفي، ووضعت ليعمل بها في المحاكم النظامية التي أنشأت في ذلك الوقت.

تم عزله عام ١٢٩٣هـ.

الثاني: السلطان مراد الخامس بن السلطان عبد المجيد خان: (١٨٧٦م - ١٨٧٦م)،

تولى الخلافة عام ١٢٩٣هـ، وكان متعلمًا مهذَّبًا ميَّالًا للإصلاح محبًّا للمساواة بين جميع أصناف رعيته، مقتصدًا في مصرفه، غير ميال للسرف والترف، وقد تولى الخلافة بعد عزل عمه عبد العزيز، وعمره ٣٧ عامًا، وقد عُزل بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وأشيع أن العزل كان لاختلال عقله[١].

الثالث: السلطان عبد الحميد الثاني:

ولد عام ١٢٥٩هـ، وتولى الخلافة بعد عزل أخيه مراد الخامس عام ١٢٩٣هـ، فكان عمره في ذلك الحين ٣٤ سنة[٢].

أهم الأحداث في عصره:

١- توليته للحكم، ثم وجد أن الديون على تركيا لأوربا قد بلغت رقمًا هائلًا، فقرر سدادها بكاملها، وعلى إثر هذا فرض سياسة اقتصادية متقشفة على مصروفات الدولة بدأها بنفسه وأسرته.

---

[١] محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، صـ (٥٨٤).

[٢] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، (جـ ١٨٣/٨)، مستفاد من مخطوط الدكتور: العجمي "فهد عامر حمد عازب": منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، مخطوط دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور/ مصطفي حلمي، ومحمد السيد الجلينيد، (جـ٥٣/١).

٢- اتباع نظام الشورى الإسلامي في اتخاذ القرارات، فكان يعرض أي قرارٍ يريد أن يتخذه على كبار رجالات الدولة والعلماء والمفكرين والمختصين.

٣- الانتباه إلى مخطط اليهود للاستيلاء على فلسطين، وحاول اليهود معه بالإغراء تارة، وبالضغط عليه من قبل الدول الأوربية تارة أخرى، لكنه وقف موقفًا مُشَرِّفًا ورفض طلبهم رفضًا باتًّا، ومنع هجرة اليهود إلى فلسطين.

عمل اليهود وأذنابهم على خلع السطان عبد الحميد عن الخلافة العثمانية، وقد حصل لهم ذلك عن طريق جمعية الاتحاد والترقي، والتي لها صلة وثيقة بالمحافل الماسونية، بل إن المحافل الماسونية كانت مراكز اجتماع لضباط الاتحاد والترقي، وكان معظم المنتسبين إلى هذه الجمعية من اليهود الذين تظاهروا بالإسلام وغيَّروا أسماءهم بأسماء إسلامية، وعملوا بمساعدة المحافل الماسونية، وبتأييد من القوى الأوربية على الارتقاء في المناصب، وتغلغلوا في شباب البنية السياسية والاجتماعية والفكرية والتربوية والعسكرية والاقتصادية للدولة العثمانية، حتى وصلوا إلى أعلى المناصب، وعُرف اليهود الذين تظاهروا بالإسلام وتستروا من وراء أسماء إسلامية بطائفة الدونمة، والدونمة كلمة تركية تعني المرتدين، أي الذين غيَّروا دينهم من اليهودية إلى الإسلام، فعملت على خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وذلك بإثارة البلبلة في الولايات التركية ضده، ثم بالتمرد عليه، ثم باستخراج فتوى من المفتي بعزله، وتم عزله عام (١٣٢٧هـ-١٩٠٩م)، وقد استمر في الحكم أكثر من ثلاثةٍ وثلاثينَ عامًا، وقد حُبس في قصره حتى توفي عام ١٣٣٦هـ[١].

---

[١] ينظر: نيازملا "محمد قربان": السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، صـ(٨٢-٨٨)، الناشر/ مكتبة المنارة، ط/ الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، (جـ ٨/ ٢٠١-٢٠٩)، نقلًا عن "فهد عامر العجمي": منهج دراسة العقيدة والدعوة، (جـ١/٥٥).

الرابع: السلطان محمد رشاد الخامس[١]: (١٩٠٩م – ١٩١٨م)٠

عاشت الدولة العثمانية في هذه الحقبة الزمنية بالانحطاط والتدهور حتى أصبح يُطلَقُ عليها اسم "الرجل المريض"، ففي عهد "السلطان عبد العزيز"[٢]، كانت الدول الأوربية عازمة على الضغط عليها للتدخل في الشئون الداخلية بهدف الإصلاح والنهوض بالدول على النهج الغربي والفكر الأوروبي والمبادئ العلمانية بفرض الدساتير الغربية والعادات البعيدة عن الإسلام٠

وأهم عهد عاش فيه القاسمي هو عهد "السلطان عبد الحميد الثاني"[٣] الذي تولى الحكم بعد "مراد الخامس" وهو ابن السلطان "عبد المجيد" من زوجته الثانية، تزوج وعمره أربع وثلاثون سنة، تسلم السلطة والدولة محفوفة بالمخاطر العظيمة، والثورات الأهلية، فحرص على الإصلاح وإعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية، فسدد معظم الديون التي بلغت أكثر من: ٢٥٢ مليون ليرة عثمانية، وألغى الدستور، وشرَّدَ زعماء التغريب، وشرع في إصلاح الدولة وِفق المبادئ الإسلامية، إلا أن هذا الجو لم يدم طويلًا، **فروسيا** أعلنت الحرب على الدولة العثمانية وكان النصر حليفها، وذلك عام ١٨٧٧م وفرنسا احتلت تونس واحتلت بريطانيا مصر[٤]، وفي الأحوال الداخلية نجد هيمنة المحافل الماسونية[٥] على عقول

---

[١] ولد عام ١٢٦٠هـ، تولى السلطنة العثمانية من عام (١٣٢٨هـ : ١٣٣٧هـ) وبها توفي، وامتاز حكمه بسيطرة جماعة الاتحاد والترقي وانهزام تركيا في الحرب العالمية الأولى، بعد أن أمضى حياته في معزل. يُنظر: على حسون: تاريخ الدولة العثمانية، صـ (٢٧١)٠

[٢] محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، صـ (٥٣٠ – ٥٧٦)٠

[٣] الصلابي "على محمد محمد": الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، صـ (٥٠)، دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر، ط/ الأولى (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م)٠

[٤] على حسّون: تاريخ الدولة العثمانية، صـ (٥٣٦)٠

[٥] **الماسونية:** منظمة يهودية سرية تعمل في خفاء على تحقيق مصالح اليهود الكبرى، وتمهيد لقيام دولة اليهود العظمى، والماسونية كلمة خداعة معناها: free macon، أي: البناء الحر والذي يزعمون أنه سيبني هيكل سليمان، وهو رمز سيطرة اليهود (بزعمهم) على مقاليد العالم، ويُرجع كثير من الباحثين =

زعماء التوجه القومي في داخل الشعوب الإسلامية، الشيء الذي نتج عنه الفتن والقلاقل والثورات الشعبية، ولعل من أعظم البلايا وصول "مدحت باشا"[1] إلى الصدارة العظمى إذ يعد انحرافًا خطيرًا في القيادة العثمانية على المستوى العسكري والعلمي، حتى كان حريصًا على تطبيق السياسة التغريبية بقيادة جمعية العثمانيين الجدد، وفي عهد السلطان "محمد رشاد الخامس"[2] ازداد تكالب الدول الأوروبية للإطاحة بالدولة وتقسيم أراضيها، ومع ذلك لم يمنعه هذا الوضع من القيام بإصلاحات سياسية داخلية وحربية ومالية..[3].

لقد طُوِّيَتْ صفحة الخلافة الإسلامية عام ١٣٤١هـ، بفعل تكالب دول الغرب، وإصرارهم مما يكشف ما تكنه صدور الغربيين من حقد وعداوة للإسلام وللمسلمين.

تلك هي معالم الحالة السياسية في الفترة التي عاشها القاسمي والفترة التي تلتها.

= أنها تأسست في القرن الأول. يُنظر: القفازي "د/ ناصر عبد الله"، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (٥٠- ٥٩)، دار كموز إشبيليا (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)- حسن "د/ عفيفي إبراهيم": الماسونية بين الشيوعية والصهيونية صـ (٨)، دار الفتح (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩)، نقلًا عن محمد بن عده: الآراء الاعتقادية لجمال الدين القاسمي، صـ (١٦).

(١) **مدحت باشا:** ابن حاجي حافظ أشرف أفندي: أبو الأحرار، العثماني، ولد في اسطنبول (١٢٣٨هـ-١٨٢٢م)، ثم انتقل إلى الأستانة، وعين واليًا على بغداد ودعي إلى الأستانة معزولًا، فما لبث أن تولى منصب الصدارة العظمى، وأصدر الدستور العثماني، وكانت نظرته فيه تغريبية، فلم يتفق مع السلطان عبد الحميد في سياسة الدولة فجرده من الوزارة وضيَّق عليه، (ت: ١٣٠١هـ). يُنظر: الزركلي "خير الدين": الأعلام، (جـ٧/١٩٥)، طبع دار العلم بيروت، ط/ الخامسة (١٩٨٠م)، نقلًا عن محمد بن عده: الآراء الاعتقادية لجمال الدين القاسمي، صـ (١٦).

(٢) على حسّون: تاريخ الدولة العثمانية، صـ (٥٣٦).

(٣) صالح الحسن "إبرهيم بن على": القاسمي ومنهجه في تفسيره "محاسن التأويل" مخطوط ماجستير، إشراف الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الوهيبي (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، صـ (١٢-١١)، جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه.

ثانيًا: علاقة القاسمي بالولاة العثمانيين في دمشق:

إذا نظرنا في علاقة القاسمي بولاة دمشق في عصره لوجدنا أن جُلَّ هؤلاء الولاة كان همهم الجري وراء الشهوات والطرب والملذات، حيثُ إنهم كانوا مُولَعين بالتقليد الأعمى للمفاسد الغربية فكانوا ما بين خمر ودخان وتشبه بالعالم الغربي، فهاج علماء الإسلام لذلك وعادوا هذا التقليد أكبر معاداة مما أغارَ صدورَ الولاة عليهم فقبضوا عليهم، وكان من بينهم شيخنا القاسمي الذي كان داعيةً إلى العلم والحرية ونبذِ التقليد الأعمى وإرجاع مجد الإسلام ورفع شأنه حتى اتُهِمَ بتأسيس مذهبٍ جديدٍ في الدين يسمى "المذهبُ الجماليُّ" فقبضت عليه الحكومة عام ١٣١٣هـ، وحققت معه.

وكان من قصة ذلك أن فريقًا من العلماء اجتمعوا للمدارسةِ في العلم وبلغ عددهم العشرة تقريبًا، وكان من بينهم القاسمي، فوصل نبأُ اجتماعهم للوالي وذُكِرَ ذلك للمفتي، فعقد مجلسًا خاصًّا في المحكمة الشرعية لمحاكمتهم، ودُعوا للمحاكمة وووجِّهتْ لهم تُهَمٌ منها: تحريم الدخان، وذم ترك العمائم، والتشنيع على الحيل الربوية، وغيرها، وأما المحاكمة الجادة فكانت للشيخ القاسمي الذي بدأت المحاكمة باستجوابه وسؤاله عن آرائه في المذاهب وأصحابها، واتهموه بالجمود، وقد أُفرج عنه في اليوم التالى[١].

هذا وإن دلَّ على شيء فإنما يدل على أنَّ الشيخ القاسمي كان من العلماء العاملين الذين لا يقفون موقف المتفرِّج على المذاهب المخالفة لآداب الإسلام، وإنما وقف موقف المدافع المخلص عن دينه لا يخاف في الله لومة لائم، كما يُلاحظ من خلال ذلك أن الحالة السياسية لم تكن مستقرة تمامًا مما أثر ذلك تأثيرًا سلبيًّا على الحالة العلمية والدينية[٢].

---

[١] الحافظ "محمد مطيع"، نزار أباظة: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، صـ (٣٠٠-٣٠١)، طبع ونشر دار الفكر العربي بدمشق، ط/ الثانية (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

[٢] يُنظر: دبدوب "علي محمود": القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٢٣-٢٢)، مخطوط ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، الناشر/ دار المحدثين، القاهرة، ط/ الأولى (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

هذا وقد تبين لنا مما سبق أن القاسمي قد عاش في زمن الحكم العثماني، وكانت الحياة السياسية ائنذاك يَشوبها القلق والاضطراب، وقد أثر ذلك في حياة القاسمي حيث أغرى به خصومه الحكومة واتهموه بتأسيس مذهب جديد٠

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعية، والاقتصادية، وموقف القاسمي منها:

أولًا: الحالة الاجتماعية:

ظلت دمشق بعد تقلص سلطة المماليك عنها، ودخولها في حوزة العثمانيين في خمود شديدٍ وضعف، فلم تصبغ بصبغة مباينة للصبغة الأولى التي كانت عليها في ظل حكم المماليك لها، فقد استلمها آل عثمان وهي كغيرها من البلاد العربية كالمريض؛ وذلك لكثرة الفتن الداخلية بين الأمراء والزعماء، وكثرة الحروب والغارات الأجنبية٠

كل هذه الحوادث لم تمهل دمشق أن تستوفي حظها من العمران وتُكَّونَ لنفسها هيئاتِ اجتماعيةَ تقوم بها، فلم تكد تنشل من كبوة حتى يضربها الزمان، ولا تخلص من مرضٍ إلا إلى أشدَّ وأنكى، ومن العجب أن تلك المصائبَ – وإن عمت البلاد – إلا أن لدمشق النصيب والحظ الأوفر منها في الغالب ما عدا الحروب الصليبية، كذلك انتشارُ بعض الأمراض التي أثرت تأثيرًا بيِّنًا في مدينة دمشق(١)، فقد كثرت الطواعين بشكل متكرر في العهد العثماني، وشملت مناطقَ واسعةً من بلاد الشام وغيرها، كما عمَّت الزلازل في هذا العصر، وقد ألحقت الكثيرَ من الدمار بالإنسان والحيوان من جراء تلوث المياه، وانتشار المجاعات، والمصائب المهلكة، كلُّ هذه الأشياء أدَّت إلى فناء خلق كثير(٢) وفقدت بسببها الندوات، فلا جمعياتٍ إصلاحيةً ولا حلقات اجتماعيةً، ولا جمعيات خيرية، والمرأة التي هي نصف المجتمع غائبةٌ عنه فليس لها في خدمته إلا نصيبُ قعيدِ البيت(٣)، وهكذا استمرت

---

(١) محمد أديب آل تقي الدين الحصيني، منتخبات التواريخ لدمشق، (جـ١/٢٩٨-٢٩٩) نشر دار الآفاق، بيروت، ط/ الأولى (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، نقلًا عن: علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٢٤)٠

(٢) رافق "د/ عبد الكريم": مظاهر سكانية من دمشق في العهد العثماني، صـ٦ مقال نشر ضمن ملة دراسات تاريخية تصدرها لجنة كتابة التاريخ العربي بجامعة دمشق العددان ١٥ ، ١٦ سنة ١٩٨٤م٠

(٣) القاسمي "محمد جمال الدين": قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق/ محمد بهجة البيطار، صـ٢٢، الناشر/ دار إحياء الكتب العربية، ط/ الثانية (١٣٨٠هـ-١٩٦١م)٠

الأحوال الاجتماعية في الدولة العثمانية وبخاصةٍ دمشقُ مرة تعلو ومرة تسفل تابعة في ذلك لهمم الولاة والحكَّام ورجال الأمر والنهي.

وفي هذا الجو الخانق المتخلف نشأ القاسمي فكان كالطائرِ المغني في غير سربه، غريبًا عن أهل الزمان، ولعل هذا كله كان أدعى لإقدامه والاقتناع بقدسية رسالته وضرورة العمل لها، والسعي لنشرها، والمضي في تبليغها[١].

ثانيًا: الحالة الاقتصادية:

يُعَدُّ التنظيم الاقتصادي هو الهدف الأسمى للعثمانيين، وقد سار على النحو الذي كان متبعًا إبان عهد المماليك، وكان يقوم على مسح الأراضي في مصر وسورية وتخصيص مقدار منها للأجناد، ومقدار لنفقات الوالى، ومقدار للسناجق، وما عدا ذلك سمي بالأراضي الديوانية؛ أي التابعة للديوان الأعظم بالأستانة، وسار العثمانيون سيرة سلاطين المماليك في استغلال هذه الأراضي بطريقة الالتزام بالمزايدة، بحيث يتعهد الملتزم بدفع مقدار محدد من المال كل عام عن مساحة محددة من الأراضي يجتبي من فلاحي هذه الأرض ما يستطيع من أموال، وكان يشترك في المزايدة أغنياء المماليك وكبار التجار وبعض الموظفين، ومن الواضح أن هذا التنظيم كان قاسيًا جدًّا على الفلاح، وَرُكِّزَ الثراء كله في أيدي الملتزمين وأيدي السناجق، فكان هؤلاء وأولئك سادة يَحْيَوْنَ في بذخ وترف، أما الفلاح فكان عبدًا يعمل بعنف ولا يكاد يجد الكفاف[٢].

أما بالنسبة للصناعة في بلاد الشام إبان الحكم العثماني فقد بلغت الطوائف الحرفية درجة كبيرة من التنظيم، ولم تكن هذه الطوائف متساوية في العدد أو متشابهة في النوعية في مختلف مدن الشام في العهد العثماني، وذلك بسبب اختلاف كل مدينة عن الأخرى من

---

(١) القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٢).

(٢) شلبي "د/ أحمد": موسوعة التاريخ الإسلامي، (جـ٥/٢٨٧-٢٨٨)، الناشر/ مكتبة النهضة المصرية، ط/ العاشرة (١٩٩٥م)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٢٥).

حيث نشاطها الاقتصادي محليًّا ودوليًّا، ولم تكن هناك استمرارية في أنواع الطوائف في مدينة ما، فبعض الطوائف انقرض أو تضاءل شأنه بتناقض الحاجة إلى منتجاته، كما أن بعض الطوائف ازدهر وكثرت أنواعه نظرًا لازدياد الحاجة إليه، وقد بلغ عدد الصناعات التي وجدت في بلاد الشام ما يقرب من ٤٣٥ صنعة بعضها تضاءل شأنه وبعضها جديد محدث(١)، وقد تميز التنظيم الحرفي في بلاد الشام بالتخصص، وتوزيع العمل، فهناك طوائف عنيت بالإنتاج وأخرى بالخدمات أو بالتسويق وكان على رأس كل طائفة شخص عُرف عادة بالشيخ وقد اختار أعضاء الطائفة ونصَّبَه القاضي الشرعي للحديث عنهم، وكان يشترط في هذا الرجل أن يكون ذا دين ومستقيمًا وقادرًا على أداء المشيخة وصالحًا لها، وكانت تقوم علاقة بين الطوائف الحرفية نظرًا لتكامل الحرف المعينة أو لاعتماد حرفة على أخرى، وهكذا لعبت الطوائف دورًا فاق إلى حد كبير دور المحتسب الذي تضاءل شأنه في بلاد الشام في العهد العثماني وغاب في كثير من الأحيان عن الوجود، وقد لقي الفقراء والمفلسون من الحرفيين اهتمامًا ورعاية كبيرين، وما لبثت الصناعات الحرفية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر إلا وقاست منافسة البضائع الأوربية مما أدى إلى ضعف هذه الصناعات وافتقار أهلها وتضرر الاقتصاد المحلي بصورة عامة، ولكن أصحاب الصناعات المحلية قد ردّوا على هذا التحدي وظهرت صناعات محلية تجمع بين المحلي والمستورد(٢)، وهكذا أصبح الاقتصاد المحلي يدور في فلك الاقتصاد الأوربي وترتب على ذلك حدوث تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة في بلاد الشام.

---

(١) القاسمي "محمد جمال الدين، ووالده، وخليل العظم: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق/ ظافر القاسمي، محمد ناصر الدين الألباني، محمد بهجة البيطار، (جـ١/٣٠)، الناشر/ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط/ الأولى (١٩٨٨م).

(٢) يُنظر: رافق "د/ عبد الكريم": مظاهر من التنظيم الحرفي في بلاد الشام في العهد العثماني، مقال نشر ضمن مجلة دراسات تاريخية تصدرها لجنة كتابة التاريخ بجامعة دمشق العدد الرابع صـ (٣٠ – ٩٩)، (١٤٠١هـ – ١٩٨١م)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٢٧-٢٦).

ثالثًا: موقف القاسمي من الحالة الاقتصادية:

لقد مرَّ القاسمي بالحالة الاقتصادية السيئة التي اجتاحت بلاد الشام وبخاصة دمشق بسبب كثرة الحوادث الطبيعية (الزلازل والبراكين) والتي أثرت في التربية الزراعية، فأنهت قوتها وأوهنتها فكان لابد من إعادة القوة إليها وإصلاحها، فإذا بالشيخ القاسمي يقف موقف المرشد الزراعي فيبحث في إصلاح الأراضي والزراعة، فينبه إلى السمادات الكيماوية أنواعها الفسفورية والبتاسية التي تعيد حيويتها وقوتها، ونادى بضرورة استعمال الآلات الميكانيكية الحديثة في الحرث والحصاد وبدلًا من الآلات البدائية من أجل تعويض الخسران التي اكتست البلاد، وبحث أيضًا عن علاج الآفات من الأمراض والحشرات الرزاعية، وطرق مكافحتها، وذلك كله مُفَصّل في كتابه المخطوط المسمى "بتعطير المشام في مآثر دمشق والشام" الجزء الثالث(١)، ومع أن كتب التراجم التي تناولت سيرة الشيخ القاسمي لم تذكر لنا أنه كان يحترف حرفة أو يجيد صنعة إلا أنه كان موسوعة في أمور الدنيا وأحوالها؛ كإلمامه بأمور الدين والعلم، لذا وجدناه ألف كتابًا ذكر فيه صناعات أهل بلاده التي اشتهروا بها، وتحدث عن كل منها تحدث الخبير بها أو الممتهن لها، وذلك في كتابه المسمي: "بقاموس الصناعات الشامية"٠

من هنا يظهر لنا أن القاسمي اجتهد لإصلاح الزراعة وتنمية الحالة الاقتصادية لدى بلده، وكان له دورٌ مشرفٌ في الإصلاح رحمه الله تعالى رحمةً واسعة٠

---

(١) يُنظر: القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٤)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٢٧)٠

المطلب الثالث

الحالة العلمية، والدينية:

أولًا: الحالة العلمية:

نتيجة للوضع السياسي والاجتماعي ضعف العلم والتعليم، وقلّ أهله، وأصبح العلم والتعليم عند الأكثر– إلا ما رحم ربك– صدارة ووجاهة يرثها الابن عن الأب، فأصبح التدريس والخطابة والإمامة وغيرها من المسالك الدينية توسد إلى الجهلة بدعوى أن آباءهم كانوا علماء، وهم يجب أن يرثوا وظائفهم ومناصبهم، وإن كانوا جهلة، كما ورثوا حوانيتهم، وعقارهم، وفرشهم، وكتبهم، بل بلغت الحال بالدولة إذ ذاك أن تولى القضاء الأمّيّون، فكم من عديم فقه غدا في دمشق وحلب والقدس وبيروت قاضي القضاة، وبذلك فترت الهمم، وانصرفت الرغبات عن تعلُّم علوم الدين؛ لأن الجاهل والعالم سواء[١].

ومما أضعف الناحية العلمية أيضًا في ذلك العصر، الجمود على المذهب الحنفي، الذي كان الخروج عنه جريمة توجب التحقيق والعقوبة والسجن من قِبل السلطان والمفتي، وقد تعرَّض الشيخ القاسمي وبعض إخوانه من محبي الاستنباط والأخذ بالدليل، إلى التحقيق والتوقيف في السجن بتهمة الاجتهاد والخروج عن المذهب، وسُميت تلك المحنة بحادثة المجتهدين[٢].

ومن أسباب ضعفها أيضًا، ضعف وسائل العلم والتعليم، فالمدارس ضعيفة جدًا، واعتماد القلة من الناس على الكتاتيب، وحلقات الجوامع، والدروس الخاصة في البيوت، فانتشرت الأمية حتى لتصل الرسالة إلى أحد الناس في الحي، فيبحثون عمن يقرؤها فلا يجدون إلا واحدًا أو اثنين، أو لا يجدون، وكثيرًا ما كان القارئ غائبًا فلا بد من انتظاره،

---

[١] ينظر: كُرْد على "محمد بن عبد الرزاق": خطط الشام، صـ (٧١–٧٠)، الناشر/ مكتبة النوري، دمشق، ط/ الثالثة (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

[٢] ينظر: القاسمي "ظافر": جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٤٣–٦٩)الناشر/ مكتبة أطلس، دمشق، ط/ الأولى (١٣٨٥هـ– ١٩٦٥م).

وتصل الجريدة إلى أحد المتعلمين في الحي، فيتحلق حوله الناس في المقهى أو أمام إحدى الدكاكين، أو في السهرة، ليقرأ لهم ما فيها قراءة ركيكة، ويشرح لهم مضامينها على مقدار فهمه وإدراكه[١]٠

وقد استغل النصارى هذه الفترة المظلمة في حياة المسلمين فسارعوا إلى فتح المدارس النظامية، وإرسال المبشرين إلى بلاد المسلمين، ودرسوا اللغة العربية، وآدابها وغيرها من اللغات، وكان أثر هذه المدارس سيئًا للغاية على العالم الإسلامي، فقد جعلت التربية متلونة، فأصبح كل متعلم يخدم الغرض الذي أنشأت له مدرسته[٢]، ومعلوم أن هذه المدارس تخدم الاستعمار الذي يطمع في القضاء على الإسلام والمسلمين والاستيلاء على العالم الإسلامي وما فيه من خيرات، وكانت هذه المدارس تشبَّه بالسارق؛ لأنها سرقت أبناء المسلمين وربتهم على ما تريد[٣]٠

وبعد هذا قامت الدولة العثمانية بفتح بعض المدارس الرسمية مثل المدرسة المنصورية بحلب، وأنشأت عام ١٢٧٨هـ، وفي دمشق فتحت ثماني مدارس ابتدائية للذكور والإناث عام ١٢٩٥هـ، لكن هذه المدارس أهملت تعليم اللغة العربية[٤]، ومن وسائل التعليم التي وجدت في ذلك العصر، المطابع والصحافة، فقد انتشر فن الطباعة الحديثة عام ١٥٦٦م، ولم تصل إلى الشام إلا في أوائل منتصف القرن التاسع عشر، ففي بدء عام ١٨٥١م أنشأ الأمريكان في بيروت أول مجلة عربية باسم (مجموع فوائد)، وكان للشاميين الفضل الكبير في إنشاء الجرائد والمجلات، وقد أنشأوا في الأستانة ومصر وتونس وأوربا وأمريكا صحفًا عربية كثيرة، وبعض هذه المجلات لم يُكتب لها البقاء، وذلك للأسباب التالية:

١- قلة القراءة٠

---

[١] ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (١٦)٠

[٢] يُنظر: محمَّد كُرْد: خطط الشام، صـ (٧٢-٧١)٠

[٣] المرجع السابق صـ (٧٤)٠

[٤] المرجع السابق صـ (٧٥-٧٤)٠

٢–وفاة أصحابها كمجلة المنار والضياء ولم يأت من يخلفهم في موضعهم٠

٣– المجلات المفيدة لم تجد من الحكومات والجمعيات معاضدة فعلية٠

ورغم كل الضعف الذي تجلَّت أعراضه في كل صور الصحافة الشامية، إلا أنها علَّمت الناس ما لم يكونوا يعلمون، فعلمتهم أن وراء حياتهم المادية حياة معنوية، وعلمتهم أمجاد أمتهم، وعلمتهم ما يهدف إليه الاستعمار وما يضمره من عداوات لهم ولدينهم الإسلامي، ومن طمع في أراضيهم وخيرات بلادهم(١)٠

لقد كان حال الحياة الدينية نتيجة طبيعية للحياة الثقافية، جمود على القديم، وكتب صفراء يتداولها الطلاب، ومتون كثيرًا ما يحفظونها بدون فهم، وحواشي وشروح وتقريرات وتعليقات تزيد في اضطراب عقول الطلاب وتشويهها وتقليد أعمى غُلَّت معه العقول؛ فَكُتُبُ الحديث لا تقرأ إلا للتبرك وكتب التفسير ممتنعة عند العامة بل الخاصة، وأما كتب اللغة والأدب فقد كان يقرؤها الطلاب على أنها أداة لفهم الكتاب والسنة لا لذاتها، وكانت الطرق الصوفية في ذلك العصر في أوجِّ انتشارها يعتنقها بعض رجال الدين ويجمعون العامة حولهم ويشغلونهم عن العمل النافع لإقامة المجتمع الإسلامي الصالح(٢)٠

فحالهم كما قال ابن الجوزي في مجلس وعظه ببغداد:

ما في الديار أخو وجد نطارحه   حديث نجد ولا خِلٌّ نجاريه(٣)٠

وقد قيد الله تعالى مجموعة من العلماء المخلصين الذين نحت الثقافة الدينية في بداية هذا القرن على أيديهم منحى جديدًا فتطورت الثقافة، ومالت إلى تبسيط العلوم،

---

(١) يُنظر: محمَّد كُرْد: خطط الشام، صـ (٨١–٨٠)٠

(٢) القاسمي: قواعد التحديث صـ (٢٢)٠

(٣) يُنظر: القاسمي "محمد جمال الدين": الفتوى في الإسلام، تحقيق/ محمد عبد الحكيم القاضي، صـ (٦١)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ–١٩٨٦م)٠

وتخلصت لغتها من التعقيدات، وكان من هؤلاء العلماء الذين دعوا إلى الإصلاح الشيخ القاسمي .. وغيره الكثير [١].

ونخلص من هذا إلى أن شيخنا القاسمي كان من دعاة الإصلاح والعلماء المخلصين الغيورين على دينهم ولغتهم، فوقف موقفَ المدافعِ عن الدين واللغة بتأليف الكتب، وإلقاء الدروس والمحاضرات التي تدعو إلى تلقي العلم والدين وتعلم اللغة العربية في وقت ساءت فيه الحياة العلمية والسياسية والاقتصادية[٢].

ثانيًا: الحالة الدينية:

لم تكن الحالة الدينية بأحسنَ من سابقتيها وذلك لبعد الناس عن دينهم، واهتمام السلاطين بزخرفة المساجد وتشييدها على الأضرحة والقبور في أقاليم الدولة، وانتشار التصوف البدعي والشركي الذي يحضُّ على التسولِ والبِطالةِ[٣]، ففي عام ١٣٠٥هـ أمر السلطان "عبد الحميد الثاني" بتبيض القباب وتعمير المراقد الشريفة، واستهدف الطرق الصوفية لكسب ولائها للدولة العثمانية، والدعوة إلى فكر الجامعة الإسلامية، واستطاع أن يُكّون رابطة بين مقر الخلافة – استانبول – وبين مراكز تجمع الطرق الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي واتخذ من حركة التصوف في العالم الإسلامي وسيلة للدعاية للجامعة الإسلامية، كما اتخذ من الزهاد غير المتصوفة وسيلة أيضًا للدعوة لفكر التجمع الإسلامي، وتكونت في عاصمة الخلافة لجنة مركزية، مكونة من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية حيث عملوا مستشارين للسطان في شئون الجامعة الإسلامية.

---

[١] يُنظر: محمد مطيع: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر، (جـ١/٢٩).

[٢] علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٣٠)

[٣] الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، (جـ١/٢٩٤).

لقد نجح السلطان "عبد الحميد الثاني" في جمع الطرق الصوفية إلا أنه فضَّل السكوت عن كثيرٍ من انحرافاتها العقدية، الشيء الذي كان له الأثر البالغ في إضعاف الدولة العثمانية[1]، وكذلك نشاط الفرق المنحرفة: كالدروز[2]، والقاديانية[3]، وغيرهما.

أما العلماء في ذلك الوقت فقد اهتموا بالمختصرات والشروح والحواشي والتقريرات، والإجازات بغير اختبار فكانت صورية، حتى المناصب العلمية أضحت وراثية، وأصبح الاجتهاد تهمة كبيرة تصل إلى الرمي بالكبائر وتصل عند المقلدين الجامدين إلى حد الكفر، وانتشرت البدع إلى حدٍّ كبير[4].

وقد ذكر في كتابه القيم "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، الذي كان غرضه من تأليفه بيان ما آل إليه المجتمع من الضلال وما انتشر في أوساطهم من البدع التي أبعدت الناس عن العلم الشرعي الصحيح، فسعى في تجلية المسائل وإيضاحها بأقوى الدلائل.

---

(١) الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، صـ (٤٢٥).

(٢) **الدروز:** وهم اتباع محمد بن إسماعيل الدروزي الذي قال بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي، وسموا بهذا نسبة إليه، ويسمون أنفسهم بالموحدين، ويعتقدون رجعة في آخر الزمان وقد قاموا في العصر الحاضر بطباعة ما يسمي بـ "مصحف الدروز" أو "المنفرد بذاته" والذي حاول كاتبه أن يحاكي القرآن وحاول نسبته لأحد أئمتهم، وانكشف بما فيه ألفاظ عصرية. يُنظر: د/ ناصر عبد الله القفازي: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة صـ (١٣٩)، نقلًا عن محمد بن عده: الآراء الاعتقادية لجمال الدين القاسمي، صـ (١٩).

(٣) **القاديانية:** وهم أتباع المتنبي ميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٤٠م- ١٩٠٨م) تأسست في النصف الثاني من القرن ١٩م، وتبنتها الحكومة الإنجليزية ودعت الناس لاعتقادها، يعتقدون أن القادياني نبي وأن له قرآنًا، وغيرها من الأقوال الفاسدة التي تدل على بطلان مذهبهم، وتسمى في بعض الأقطار بـ(الأحمدية). يُنظر: المرجع السابق صـ (١٥٢- ١٦٢).

(٤) على الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، صـ (٥٥٣).

ظهر لنا مما سبق أن تلك الأوضاع الدينية والعلمية المتدهورة كان لها الأثر البارز في حياة القاسمي وتوجهه الفكري، حيث علم أن ما عليه الناس ليس هو الدين الصحيح ولا هو المنهج المستقيم، فوضع الإصلاح نصب عينيه، وتوخى الرفق في الدعوة إليه، معتمدًا على الكتاب والسنة، ومتأسيًا بمن سبقه من المصلحين من سلف هذه الأمة، متحملًا أعباء الدعوة وقائمًا بواجبه الإصلاحي.

المبحث الثاني

السيرة الذاتية للقاسمي،

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، لقبه، كنيته.

المطلب الثاني: مولده، نشأته، ثقافته.

المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه، مذهبه وعقيدته.

المطلب الرابع: شيوخه، مكانته العلمية.

المطلب الخامس: آثاره العلمية، تلاميذه، وفاته.

المطلب الأول

اسمه، لقبه، كنيته:

أولًا: اسمه:

محمد بن محمد بن سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي نسبة إلى جده قاسم المعروف بالحلاق(١)، وهذه هي التسمية التي انتهينا إليها(٢) بعد البحث في كتب التراجم التي تحدثت عنه، غير أن هناك اختلافًا بين أهل التراجم في اسمه، هل هو "جمال الدين" أو "محمد جمال الدين"؟ والسبب في ذلك يرجع إلى أن القاسمي يذكر في بعض مؤلفاته أنه "جمال الدين"، وفي البعض الآخر يذكر أنه "محمد جمال الدين"(٣)، ولعل الأرجح أن اسمه محمد، وجمال الدين لقب له، وعلى هذا يكون ما ذكرته بعض كتب التراجم من اسمه "محمد جمال الدين" قد اعتمدت على القاعدة النحوية التي تقول: "إذا اجتمع الاسم مع اللقب وجب في الأفصح تقديم الاسم وتأخير اللقب"(٤).

---

(١) يُنظر: ترجمته في الزركلي: الأعلام، (جـ٢/١٣٥)– كحالة "عمر رضا": معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، (جـ٢/١٥٧)، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، بدون رقم الطبعة والسنة.

(٢) علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٣٥).

(٣) القاسمي "محمد جمال الدين": الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين في علوم الحديث وهو شرح الأربعين العجلونية، تقديم وتحقيق/ عاصم بهجة البيطار، صـ (٤٥٢)، الناشر/ دار النفائس، ط/ الأولى (١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م) – السبكي "على بن عبد الكافي": العلم المنشور في إثبات الشهور، تعليق/ جمال الدين القاسمي، صـ (٣، ٥٦)، نشر مكتبة الإمام الشافعي الرياض ط/٢، ١٤١٠هـ – القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٠) – القاسمي: الفتوى في الإسلام، صـ (١٢)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٣٥).

(٤) ابن هشام "عبد الله بن يوسف بن أحمد": شرح قطر الندى وبل الصدى، صـ (٩٨)، طبع مطبعة السعادة بمصر، ط/ الحادية عشر (١٣٨٣هـ–١٩٦٣م)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٣٥– ٣٦).

ثانيًا: لقبه:

ظهر لنا[١] مما سبق أن القاسمي كان يلقب نفسه فى كثير من كتبه بجمال الدين وهذا اللقب كان محببًا إليه لذا لقبه معاصروه بهذا اللقب، فقد ذكر صاحب المنار فى ترجمته للقاسمى، قال: "ترجمة الشيخ جمال الدين القاسمي"[٢]، وكذلك صاحب طبقات الأصوليين في ترجمته للقاسمي قال:"محمد بن محمد بن قاسم القاسمي الملقب بجمال الدين"[٣]٠

ثالثًا: كنيته:

كان يُكنى بـ "أبي الفرج" وقد ذكر ذلك في ترجمته لنفسه، فقال عند تعريفه لنفسه: "محمد جمال الدين أبو الفرج"[٤]٠

يظهر مما سبق أن القاسمي اسمه: محمد بن محمد بن سعيد بن قاسم، ولقبه جمال الدين، وكنيته أبو الفرج٠

---

[١] علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٣٦)٠

[٢] رضا " محمد رشيد": مجلة المنار، المجلد السابع عشر الجزء الثامن صـ (٥٥٦)٠

[٣] المراغي "عبد الله مصطفى": الفتح المبين في طبقات الأصوليين، (جـ٣/١٦٨)، الناشر/ محمد علي عثمان، مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ط/ الأولى (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م)٠

[٤] يُنظر: القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٠)٠

المطلب الثاني

مولده، نشأته، ثقافته:

أولًا: مولده:

اتفقت كلمة أصحاب التراجم على أن القاسمي ولد في عام ثلاث وثمانين ومائتين وألف من الهجرة – على صاحبها أفضل الصلاة والسلام – وزادنا القاسمي تحديدًا ليوم مولده والشهر الذي ولد فيه؛ فذكر أنه ولد صحوة يوم الاثنين لثمانٍ خلت من شهر جُمادي الأولى عام ثلاث وثمانين ومائتين وألف، الموافق السابع عشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام ست وستين وثمانمائة وألف من الميلاد في دمشق[١]، وكانت ولادته في حي يسمى "القنوات"، "زقاق المكتبي"[٢].

ودمشق التي ولد فيها هي: دِمِشْق أو دِمَشْق الشام، ويُقال لها الشام، وهي أكبر مدن سوريا وأشهرها، وهي كما يقول أهل السِّير عنها: جنَّة الأرض بلا خلاف؛ لحسن عمارتها ونضارة بقعتها ومياهها المتدفقة، وقد سميت دمشق بذلك؛ لأن أهلها دَمْشَقوا (أسرعوا) في بنائها، وقيل سميت بذلك نسبة إلى دماشق بن فاني بن مالك بن سام بن نوح، أي أن اسمها يرجع إلى ما قبل الإسلام، وتمتاز بكثرة الأنهار فيها، وبجمالها الذي يضرب به المثل في حسنه، وبوجود قبور لبعض الصحابة والصالحين فيها، وقد نُسِبَ إليها كثيرٌ من أعيان المحدِّثين، وقد ألفَّ العلامة ابن عساكر لها تاريخًا مشهورًا، وهذه المدينة بفضل موقعها تحتل مركزًا ثقافيًّا من الطراز الأول منذ أقدم العصور[٣].

---

(١) القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٠).

(٢) محمد مطيع: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (جـ١/٢٩٨).

(٣) ينظر: الحموي "ياقوت بن عبد الله": معجم البلدان، (جـ٢/٤٦٣–٤٧٠)، نشر دار صادر، بيروت، ط/ الثانية (١٩٩٥م) – ابن عبد الحق "عبد المؤمن": مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ على محمد البجاوي (جـ٢/٥٣٤) نشر دار المعرفة، بيروت، ط/ الأولى (١٣٧٣هـ– ١٩٥٤م)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٣٨–٣٧).

ثانيًا: نشأته:

نشأ القاسمي في دمشق العامرة، في بيت علم ودين وورع وخلق كريم، بيت عُرف بالتقوى والإصلاح، فقد كان والده وجده من المعروفين بالأدب ومكارم الأخلاق، وكان والده حسن الصوت، ففتح القاسمي عينه على هذا النور في بيته، وأعانه كل هذا على أن ينشأ نشأة صحيحة صالحة، فضلاً عَمَّا فُطِر عليه القاسمي من عناصر الحق والخير[١].

وقد درس القاسمي على طريقة القدماء، وكان يأخذ كل علم عن أئمته الأعلام، فقرأ القرآن أولًا على الشيخ عبد الرحمن المصري[٢] نزيل دمشق، ثم جوَّده على شيخ القراء بالشام الشيخ أحمد الحلواني[٣]، ثم انتقل إلى مكتبٍ في المدرسة الظاهرية، وكان معلمه الشيخ رشيد قزيها[٤]، وقد أخذ القاسمي عنه مبادئ التوحيد، والصرف والنحو، والمنطق، والبيان، والعروض، وغيرها.

وكان القاسمي مواظبًا على دروس الشيخ سليم العطار[٥] لقراءة حصة من الكتب المعينة كشرح الشذور، وابن عقيل، وشرح القطر، ومختصر السعد، وجمع الجوامع، وتفسير البيضاوي، وغيرها كثير، كما سمع من الشيخ سليم مجالس من البخاري دراية، وحضر دروسه في الموطأ، والشفاء، ومصابيح السنة، والجامع الصغير، والطريقة المحمدية، وغيرها[٦].

---

[١] القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٠)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٣٨-٣٩).

[٢] ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه صـ (٥٦).

[٣] ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه صـ (٥٦).

[٤] ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه صـ (٥٧).

[٥] ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه صـ (٥٧).

[٦] القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٠).

وعلى هذه الطريقة درس القاسمي التفسير والحديث والفقه والأصول، والعقيدة، والنحو والصرف والبلاغة، وغيرها على أجلِّ علماء الشام، أمثال: الشيخ بكري العطار[١]، والشيخ محمد الخاني[٢]، وغيرهما.

وقد كانت مجالس هؤلاء العلماء حافلة بكثير من طلبة العلم، ولم يبزغ نجم واحد منهم بزوغ القاسمي ولم يترك أحد منهم من الآثار ما تركه القاسمي، فقد عُرِفَ عنه أنه كان يأخذ نفسه بالجد والمحافظة على الوقت والمواظبة على العمل منذ كان صغيرًا، وكأن المولى -عز وجل- قد هيأه ليكون تربة كريمة خصبة يُنثر فيها بذور العلم والمعرفة فتزدهر وتثمر حتى تغدوا روضة يانعة تمتع العقول وتسحر الألباب، وإلى هذا يشير القاسمي بقوله: "وقد حبب المولى- عز وجل- إليَّ من حداثتي القراءة والمطالعة ونسخ الكتب وتأليف الرسائل"[٣].

وقد اعترف القاسمي بأن حبه للعلم كان من فضل الله تعالى عليه، وفي ذلك يقول: "وأذهب المولى -عز وجل- بفضله عن عبيده حبَّ البطالة وصرف الأوقات سُدى، فطالعت من كتب الأدب والتاريخ ما لا أُحصِي"[٤].

وظل القاسمي يُقدِّر عامل الوقت تقديرًا تامًا، جعله يستفيد من كل دقيقة من وقته، وكانت نفسه تمتلئ بالحسرة والأسى عندما يرى الجموع الغفيرة من الناس تكتظ بهم المقاهي وتضيع منهم أوقاتهم فيما لا طائل من ورائه، ويعبر عن حسرته تلك بقوله: "كم أتمنى أن يكون الوقت مما يُباعُ لأشتري من هؤلاء جميعًا أوقاتهم"[٥].

---

[١] ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه صـ (٥٨).

[٢] ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه صـ (٥٨).

[٣] القاسمي: الفضل المبين، صـ (٢٠)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤٠).

[٤] المرجع السابق.

[٥] يُنظر: زقزوق "د/ محمود حمدي": مقال (شخصيات إسلامية)، صـ (١٠٢)، ضمن مجلة منبر الإسلام السنة ٥٥ العدد ٥ سنة (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

وقد استفاد القاسمي بسبب حرصه على وقته وعدم إضاعته في غير فائدة كثيرًا، وفي ذلك يقول: "وقد اتفق لي بحمده تعالى قراءة (صحيح مسلم) بتمامه رواية في أربعين يومًا، وقراءة (تهذيب التهذيب) مع تصحيح سهو القلم في نحو عشرة أيام، فدع عنك الكسل واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل"[١].

ثالثًا: <u>ثقافته:</u>

لم تقتصر ثقافة القاسمي على علوم الشريعة واللغة بل ثقافته كانت شاملة، فقد اعتنى بما استُحدث في العصر من مكتشفات ومخترعات، وما وصل إليه العلم من آراء ونظريات، واستخدم كل ذلك في خدمة دينه ومجتمعه الإسلامي؛ لأن الإسلام في نظره دين فطرة مؤمنة وعقل متفتح ونظام عام ينظم الحياة كلها، ودولة فاضلة، فلاعجب أن ضمن مؤلفاته كتبًا تتحدث عن البرق والكهرباء، والهاتف، والاشتراكية، وعلاج البواسير، إلى جانب ما تركه القاسمي في التفسير والحديث والتاريخ والأدب والاجتماع والأخلاق[٢].

<u>الأسباب التي ساعدت القاسمي على تنوع ثقافته:</u>

قد تهيأت عدة أسباب للقاسمي ساعدته على الإلمام بعلوم عصره منها:

١- بيئته الصالحة التي عاش فيها، فقد شجعه والده منذ صغره على حب العلم.

٢- كثرة شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم والمعرفة.

٣- مكتبته الخاصة التي أسسها جده ووالده، فظل القاسمي ينهل من معينها ويتابع تطور الحركة العلمية في جميع نواحيها راغبًا في الإحاطة بجميع أنواع المعرفة، وكانت مكتبته

---

[١] القاسمي: الفضل المبين، صـ (٥٤-٥٣).

[٢] يُنظر: المرجع السابق، صـ (٢١-٢٠)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤١).

هذه تنوف على ألفي مجلد، ومن كثرة قراءته فيها لم يخل كتاب فيها من تصحيح أو تعليق له، ..[١]٠

٤-حرصه الشديد على الوقت وعدم إضاعته له في غير فائدة٠

٥-كثرة رحلاته إلى مصر واجتماعه بالشيخ الإمام محمد عبده[٢] واستفادته الكثير منه، وقد اعترف القاسمي بذلك وسأله عدة أسئلة منها قوله: "إني شرعت في تفسير القرآن الكريم، وتمر معي الآية مجملة، فهل يسوغ لنا أن نكملها من التوراة أو غيرها من كتب أهل الكتاب؟ فقال له الإمام: لا يسوغ ذلك لأن قرآننا نقل بالتواتر"، وسأله أيضًا: "إني أقرأ درسًا للعامة، فأيَّ كتاب تختار؟ فقال الإمام: الإحياء للغزالى بعد تجريده من الأحاديث غير الصحيحة ومما لايفيد"[٣]، فما كان للقاسمي إلا أن جرد الإحياء من ذلك وألف كتابًا بعنوان: (تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين)٠

"وهكذا أظهر القاسمي نبوغًا فائقًا أهَّله لإقراء الطلاب مبادئ العلوم وله من العمر أربعة عشر عامًا"[٤]، وكان معيدًا لدرس والده العام في جامع السنانية حتى عام (١٣٠٣هـ – ١٨٧٧م)، كما ألقى دروسًا عامة خلال شهر رمضان في وادي العجم والبنك وبعلبك،

---

[١] يُنظر: القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٣)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤١-٤٢)٠

[٢] الشيخ الإمام محمد عبده، ولد عام ١٨٤٩م، ونشأ بقرية محلة نصر إحدى مراكز شبراخيت محافظة البحيرة، حضر الدروس بالجامع الأزهر حتي نال شهادة العالية، وترقى في المناصب وعين مدرسًا بدار العلوم، ومحررًا للوقائع المصرية، وتقلد مناصب عدة أهمها مفتي الديار المصرية، من مؤلفاته: رسالة التوحيد، شرح البصائر النصرية، وغيرهما، (ت: ١٩٠٥م). يُنظر: العقاد "عباس محمود": محمد عبده، صـ (٣١٨-٣١٧)، طبع دار القلم مصر، دون رقم الطبعة، (١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م)٠

[٣] محمد مطيع: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (جـ١/٢٩٩)٠

[٤] د/ محمود زقزوق: مقال "شخصيات إسلامية"، صـ (١٠٠)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤٤)٠

وقام مقام أبيه في الدرس العام بعد وفاته عام(١٣١٧هـ-١٩٠١م)[١]، هذا وقد انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية مدة أربع سنوات، ثم زار المدينة المنورة وعاد إلى بلدته داعيًا للعلم والحرية، ونابذًا للتقليد الأعمى، حتى اتُّهِمَ من حسَّاده بتأسيس مذهب جديد في الدين سمي "المذهب الجمالي"، فقبضت عليه الحكومة وحققت معه، ثم أُخلى سبيله واعتذر إليه، وانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس العامة والخاصة، ونشر الكثير من البحوث في الصحف والمجلات، وظل كذلك إلى أن وافاه أجله – رحمه الله –[٢].

ظهر مما سبق أن القاسمي ولد سنة ١٢٨٣هـ بدمشق، وقد نشأ في بيت علم ودين وورع وخلق كريم، وقد اتسمت ثقافته بالشمولية في العلوم الدينية وغيرها.

---

[١] القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢١).

[٢] الزركلي: الأعلام (جـ٢|١٣٥)، د/ محمود زقزوق: مقال "شخصيات إسلامية"، مجلة منبر الإسلام، صـ (١٠٠).

المطلب الثالث

صفاته وأخلاقه، مذهبه وعقيدته:

أولًا: صفاته وأخلاقه:

لقد وُصِف القاسمي بأنه كريم الخلق، كبير القلب، بادي الحب، لا يُرى منه إلا وجهًا طلقًا وجانبًا لينًا وأنسًا ممتعًا، وكان يغلب على وقته الجد ويبتعد عن الهزل، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ودائمًا ما كان يصدع بالحق، ويُعْرِضُ عن الجاهل المعاند ويدفعه بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانت له هيبة مهيبة يعظمه من يراه، وكان ذا صوت حسن عند تلاوة القرآن، وكان نزيه اللسان بعيدًا عن المراء والجدال لايزري بغيره ولا يعَّرض بأحد ولا يمدح نفسه[1].

وخير من يُحدثنا عن صفاته شقيقه (قاسم خير الدين القاسمي) فيقول: "كان أجزل الله ثوابه إذا لقيه المماحك[2] في أحد المجامع عرضًا أو غشيةً في درسه أو بيته ناقدًا أو ناقمًا، علَّمه من حيث لا يشعر، وهداه إلى المحبة بكيس القول، فإذا أيقن أنه من المكابرين المهمومين أعرض عنه وقال: سلاما، لذلك لم يلق ما لقيه أشد العلماء والفلاسفة في العصور الماضية ...؛ لأنه كان يتلطف في المناظرة وإقناع المخالف، فإذا رأى المناقش بمعزل عن الفهم سكت عنه"[3].

زهده:

كان القاسمي مقبلًا على الله تعالى بعلمه، لا يبتغي من ورائه عَرَضَ الدنيا، فكان شغوفًا بالعلم لذاته ونفعه في إنارة القلوب، فلم يجعل الدين والعلم سُلَّمًا للدنيا، ولعل هذه

---

(1) يُنظر: القاسمي: الفضل المبين، صـ (٢٣)، وتاريخ دمشق (جـ١/٣٠٠).

(2) المماحك: المتمادي عند اللجاجة عن المساومة. يُنظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، وغيره)، المعجم الوسيط (جـ٢|٨٩٠)، الناشر/ مجمع اللغة العربية، ط/ الأولى (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

(3) القاسمي "محمد جمال الدين": دلائل التوحيد، صـ (٤-٥) نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤٥).

الصفة هي "السر الأعظم الذي دار عليه محور نبوغه، لأنه لو صانع طمعًا في حطام الدنيا لما خرج عن صفوف أهل محيطه، ولكان عالمًا وسطًا يشتغل بالتفاهات، ويعيش في تُقْية ويموت كذلك"[١]، أما والشأن ليس كذلك مع القاسمي فقد سار على نهج السلف الصالح في الزهد في متاع الدنيا وطيباتها، فأقبل على تحصيل العلم وتدوينه في وقت أضحت فيه بضاعة العلم مزجاة بائرة، فدوَّن ما يزيد على المائة في أقل من خمسين عامًا، وهذا وإن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن الله تبارك وتعالى بارك له في عمره القصير، وكان يُعلِّمُ الناسَ الزهدَ، وقد اجتمعت له صفات إذا جُمِعَ بعضها لغيره عُدَّ قريعَ دهره ووحيد عصره، فقد كان طلق اللسان، وافر المادة، وافر العقل، سريع الخاطر، سريع الكتابة، جميل العهد، جميل الود، ما اجتمع به أحدٌ إلا تمني لو طال بحديثه ليزيد في الأخذ عنه والتشبع بفضائله والاغتراف من بحر علمه[٢].

<u>سعة عقله ورحابة صدره:</u>

كان القاسمي يحترم آراء الفرق المخالفة لمذهبه وعقيدته، وينادي بواجب التآلف والتعارف، ونبذ التناكر والتخالف، وطرح الشنآن والمعاداة، فذلك إنما يكون في المحاربين المحادين، لا في طوائف تجمعها كلمة الدين، وفي ذلك يقول: "لو كانت الفرق التي رميت بالابتداع تهجر لمذاهبها، وتعادي لأجلها، لما أخرج البخاري ومسلم وأمثالهما لأمثالهما، إن هؤلاء المبدعين وأمثالهم لم يكونوا معصومين من الخطأ حتى يعدوهم الانتقاد، ولكن لا يستطيع أحد أن يقول: إنهم تعمدوا الانحراف عن الحق ومكافحة الصواب عن سوء نية وفساد طوية، وغاية ما يقال في الانتقاد في بعض آرائهم أنهم اجتهدوا فيه فأخطئوا؛ لأن الخطأ من شأن غير المعصوم"[٣]، وكان كثيرًا ما يلتمس لهم الأعذار ويدعو إلى الوحدة

---

[١] القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (٤).

[٢] المرجع السابق صـ (٦).

[٣] القاسمي "محمد جمال الدين": الجرح والتعديل، صـ (١١-١٠)، طبع ونشر مؤسسة الرسالة – بيروت- ط/ الخامسة (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤٦).

والجمع، ويذكر بأن لهذه الفرق أعمالًا مشكورة وحسنات مبرورة، ولهم في الرد على أهل الإلحاد والبدع، والانتصار كثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بصدق وعدل وإنصاف[١].

وبهذه الإخلاق الحميدة ظل القاسمي لم يتعرض بالأذى لأحد خصومه، وإنما كان يناقش بالبرهان والدليل، وأقوال الأئمة، والمراجع المعتمدة، وكانت له طريقة في مناقشة خصومه لم يُعرف أهدأ منها ولا أجمل من صبرها، وكثيرًا ما قصده بعض المقتحمين في داره، لا مستفيدًا، ولا مستوضحًا، ولا مناقشًا بل محرجًا، فكان يستقبلهم بصدره الواسع وعلمه العميق، فلا يخرج المقتحم من داره إلا وقد أفحم وامتلأ إعجابًا وتقديرًا، وكان بفضل تعامله مع خصومه أن اجتمعوا جميعًا في وفاته وأعظموا الخطب فيه وأقروا له بفضائله التي كانوا في حياته يغمطونه إياها[٢].

هذا وإن دلَّ على شيء فإنما يدل على تفهمه العميق لدور الداعية إلى الله وفطنته وذكائه في اقتباسه من طريق النبي ﷺ فقد كان يأتيه الخصم المعاند فيقيم عليه الحجة والدليل حتى يدخل في دين الله تعالى.

وهذا النهج جمع القاسمي حوله الموافق والمخالف "فما كانوا يصدرون عنه إلا معجبين بعقله، مقرين بفضله، معترفين بقصور كثير من المشاهير عن إدراك شَّأْوِه"[٣].

---

[١] يُنظر: الجندي " أحمد أنور": تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، صـ (٧١) طبع مكتبة الأنجلو المصرية ط/ الأولى (١٩٧٠م)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤٧).

[٢] يُنظر: القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (٦).

[٣] المرجع السابق صـ (٥)، الشَّأْوُ: الهمة. المعجم الوسيط (جـ١/٤٨٨)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤٨).

أمانته:

كان القاسمي شديد التحري للدقة والضبط، صاحب طبيعة علمية لا يسوقها هوىً أو يفسد صحتها عصبية، يسعى دائمًا إلى الحقيقة، لا يكبله تقليد أو يعقد به جمود[1]، وقد وضع لطلابه هذا المنهج ليسيروا عليه، فقال: "وفَارِقْ وَهْدَ التقليد إلى يفاع الاستبصار، وتسنَّم أوج التحقيق في مطالع الأنظار، وألبس التقوى شعارًا، والاتصاف بالإنصاف دِثارًا، واجعل طلب الحق لك نحلة، والاعتراف به لأهله ملة ولا تَرِدْ مشروع العصبية، ولا تأنف من الإذعان إذا لاح وجه القضية، أَنَفَةَ ذوي النفوس العصبية، فذلك مرعى لسُوَّامها وبيل، وصدود عن سواء السبيل"[2]، وكان يقول أيضًا: "ينبغي لك أن تستفيد من كل ذي دين بما يقويك، وكن بعيدًا عن الجدال الذي لا يثمر، وعليك أن تسير سيرة الأئمة الأربعة وغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم، فقد علَّمونا حرية الرأي بقولهم: إذا رأيتم قولنا يخالف قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولنا عرض الحائط،..."[3]، وكان مع كل هذا شديد الاحترام لمشايخه كثير التودد إليهم، واللطف بهم، حتى أحبوه، وكانوا يفتقدونه إذا غاب، ويسألون عنه٠

ونختم حديثنا عن صفاته بما قاله عنه شقيقه: "هو علامة بين العلماء، منور بين المنورين بنور المدنية الصحيحة، ذهب مثال الرجل الصالح عفيف الطعمة، لم يَسِفَّ[4] إلى ما يَسِفُّ إليه بعض من يتذوقون قليلًا من المعارف، وما أنكر إلا المَنَاكِر، ولا أمر إلا بالمعروف، ومن ضيق ذات يده كان يتصدق في السر، ولا يخلو ساعة من عبادة وذكر، ففقده جلل على دمشق، بل على الشام، بل على أهل الإسلام، وشهرتها التي نالها في العالم

---

(١) القاسمي: الفضل المبين، صـ (٢٢)٠

(٢) القاسمي "محمد جمال الدين": محاسن التأويل، (جـ١/٦)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر/ دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسي الحلبي، مصر، ط/ الأولى (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)٠

(٣) تاريخ علماء دمشق (جـ١/٣٠٠)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤٩)٠

(٤) لم يَسِفَّ: أي لم يطلب الدنئ من الأمور. المعجم الوسيط (جـ١/٤٥٠)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٤٩)٠

الإسلامي في هذه السن من الكهولة هي مما استحقه؛ لأن حقيقة العالِم العامل الذي يحبب الدين حتى لمن لم يتدين حياته، فاللهم عوض المسلمين عن هذه الدرة اليتيمة التي أصيبوا بها وارحمه عداد حسناته وارزقنا الصبر عليه وجميع محبيه وأسرته ومريديه الذين فُجعوا به"(١).

ثانيًا: مذهبه وعقيدته:

الشيخ القاسمي بدأ في أول حياته فتأثر ببيئته التي كانت تموج بكثير من الأفكار، والمذاهب المخالفة لاعتقاد السلف. لذلك تجده كتب في آخر كتابه (الكوكب المنير في مولد البشير النذير)، "تم على يد مختصره الفقير إلى الغني الكبير محمد جمال الدين أبي الفرج القاسمي الأشعري الدمشقي، النقشبندي، الخالدي، الشافعي، وقد فرغ من هذا الكتاب سنة ١٣٠٦هـ"(٢)، وقد قال (كما نقل عنه ابنه ظافر): "كل كتاب لي قبل ١٣٢٠هـ فلي فيه وقفة"(٣)، ولكنه بعد ذلك هجر كل مذهب يخالف مذهب السلف وبيَّن فساده وحذر منه، فبين بدعية طريق المتصوفة ومخالفته لطريقة السلف، وذلك في مقالات كثيرة له، منها: "وأما الأذكار المحدثة، والسماعات المبتدعة، سماع الكف والدف، فلم يكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين، يجعلون هذا طريقًا إلى الله تبارك وتعالى، ولا يَعدُّونه من القُرَبِ والطاعات، بل يَعدُّونه من البدع المذمومة .... والسماع المشروع هو سماع القرآن الذي كان عليه النبي ﷺ والصحابة، ومن تبعهم بإحسان... فخلاف هذا السماع من الباطل الذي نهى عنه، ولذلك لم تفعله القرون الأدنى في سلوك فقره، وليصحب من هو من الرفيق الأعلى إلى حلول قبره، وَلْيُدَاوِ جراحات اجتراح بدعته، باتباع هدي النبي ﷺ ولزوم سنته"(٤)،

---

(١) القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (٧).

(٢) ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٦٣٧).

(٣) المرجع السابق صـ (٦٣٣)، نقلًا عن "فهد عامر العجمي": منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، (جـ١/٦٨).

(٤) محاسن التأويل (جـ٢/٣١٢-٣١٥).

كما بيَّن مخالفته لمذهب الأشاعرة[١]، وقرر أنَّ كثيرًا من مسائلهم ترجع إلى مذهب الجهمية[٢]، وذلك بقوله: "على أن المتكلمين المتأخرين المنسوبين للأشعري يرجع كثير من مسائلهم إلى مذهب الجهمية، كما يدريه المتبحر في فن الكلام، والموازن بين أقوال هؤلاء وأقوال السلف"[٣]، والذي أثَّر في العلامة القاسمي، حتى ترك كل ما يموج به عصره من مذاهب وأفكار تخالف مذهب السلف هو: عناية الله وفضله عليه، وتوفيقه له، أولًا وأخيرًا، ثم اطلاعه على كثير من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]،

---

[١] **الأشاعرة:** هم طائفة من طوائف أهل الكلام، يُنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط لله تعالى، ويوافقون المرجئة في الإيمان، والجبرية في القدر. يُنظر: أبو الفتح الشهرستاني "محمد بن عبد الكريم": الملل والنحل (جـ١/١٠٦)، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت، ط/ الثانية (١٣٩٥هـ–١٩٧٥م).

[٢] **الجهمية:** أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. يُنظر: الملل والنحل، (جـ١/٩٧–٩٩) – القاسمي "محمد جمال الدين": تاريخ الجهمية والمعتزلة، صـ (٥١–٩)، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

[٣] يُنظر: القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، صـ (٩)، وقد مرَّ الإمام الأشعري بثلاثة أطوار في حياته: طور انتحل فيه الاعتزال، وطور سلك فيه مسلك ابن كلاب، وطور نهج فيه منهج السلف مع وجود رواسب من تلك الأطوار السابقة، وعامة متأخري الأشاعرة ما كان في طوره الثاني. يُنظر: أبو الحسن الأشعري "علي ابن إسماعيل بن إسحاق": مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (جـ٢/٥)، تحقيق/ نعيم زرزور، الناشر/ المكتبة العصرية، ط/ الأولى (١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م) – أبو الحسن الأشعري "علي بن إسماعيل بن إسحاق": الإبانة عن أصول الديانة، صـ (٧٥)، تحقيق/ د. فوقية حسين محمود، الناشر/ دار الأنصار– القاهرة، ط/ الأولى (١٣٩٧هـ).

[٤] **ابن تيمية:** هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني أحد الأعلام، من تلاميذه: ابن القيم والذهبي وغيرهما، بلغت تصانيفه ثلاث مائة مجلد منها: منهاج السنة النبوية، درء تعارض العقل والنقل، الإيمان، وغيرها، (ت: ٧٢٨هـ) معتقلًا. يُنظر: الذهبي "شمس الدين": تذكرة الحفاظ (جـ٤/١٩٢)، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م) – ابن عبد الهادي "شمس الدين": العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، صـ (٢٨٤–٦–٤)، تحقيق/ طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر/ الفاروق الحديثة – القاهرة – ط/ الأولى (١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م).

وابن القيم[١]، فقد ذكر أنه نشأ على حبها والحرص عليها والدعوة إليها، وكان يسعى إلى طبعها ونشرها بين الناس[٢]، كما كان يكثر من النقل عنهما، في مؤلفاته، وبخاصةً ما يتعلق منها بالتفسير، فقال: "التزمت أن أذكر كل ما لشيخ الإسلام وابن القيم، في الكلام عن الآيات الكريمة، مما أظفرني الحق تعالى به من كلامهما رضي الله عنهما فإن المفسرين بعدهما لم يهتموا بالنقل عنهما مع أني أسفت أن تذهب تحقيقاتهما لكثير من الآيات فعنيت العناية التامة بجميع ما قالوه، وبهذا خرج تفسيرنا بديع الأسلوب؛ لأنه حلي وزين بكلام هذين الشمسين الفردين"[٣].

إن المتأمل فيما كتبه القاسمي يجد عقيدته متبعًا ما كان عليه السلف الصالح ﷺ، فقد دافع عن أهل الحديث والسنة، وتحمل كثيرًا من الأذى في سبيل ذلك، ومما يُعضدُّ ذلك ما يأتي:

١-آراؤه التي ذكرها ضمن تفسيره الذي نحن بصدده "محاسن التأويل" تعبر عن ذلك، فَيُعَدُّ تفسير القاسمي مصدرًا كبيرًا في التعبير عن العقيدة السلفية السهلة السمحة، جمع فيه من المباحث والأقوال ما لو جمع لكان مؤلفًا في مجلدات، وكان سلفيًّا في تفسير الصفات، يثلج الصدر ببحوثه القيمة[٤].

---

[١] **ابن القيم:** أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية، من تلاميذه: ابن كثير، ابن رجب، وغيرهما، من مؤلفاته: الصواعق المرسلة، زاد المعاد، (ت٧٥١هـ). يُنظر: ابن رجب الحنبلي "زين الدين عبد الرحمن": ذيل طبقات الحنابلة، (جـ٢/٤٤٧)، تحقيق/ د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر/ مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).

[٢] يُنظر: ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٥٩٦-٥٨٨).

[٣] المرجع السابق، صـ (٦١٠)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٥١).

[٤] المغراوي "د/ محمد بن عبد الرحمن": المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، (جـ٢/٦٤٨)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٢–تبنيه أقوال ابن تيمية وابن القيم وتقديم أقوالهما على أقوال غيرهما من العلماء، والمطالع لكتابه "محاسن التأويل" يجد بحوثًا كاملة لابن تيمية، وابن القيم[١]٠

٣–شهادة من ترجم له[٢] بأنه سلفي العقيدة ولا يقول بالتقليد[٣]، وذكر صاحب المنار أيضًا " بأنه كان يتحرى مذهب السلف الصالح في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته"[٤]، كما ذُكِرَ في مقدمة كتاب المسح على الجوربين بأن القاسمي كان في مقدمة من سار على نهج السلف الصالح من المتأخرين دون تعصب لرأي وهوى، ودون جمود تقليدي[٥]٠

---

[١] من الأمثلة على ذلك يُنظر "محاسن التأويل" (جـ١/٣٩١)، (جـ٥/١٧٢٤)، وغير ذلك كثير٠

[٢] الزركلي: الأعلام (جـ٢/١٣٥)٠

[٣] التَّقْلِيد لغة: مأخوذ من الفعل قلَّد، تقول: قلّدت المرأة قلادة: إذ جعلتها في عنقها، ومنه تقليد البدنة شيئًا يعلمه أنها هدي، وقلّدته السيف: لقيت حمالته في عنقه فتقلّده، ومنه تقلّيد الولاة الأعمال: بمعنى إلقاء المسؤولية عليهم، فيطلق التقليد على معانٍ عدة؛ منها: اللزوم، والتعليق، والتحمل. يُنظر: الفيروزآبادى "مجد الدين محمد بن يعقوب": القاموس المحيط، صـ (٣١٢)، تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف/ محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر/ مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط/ الثامنة (١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م). فصل (القاف)، باب (الدال)، مادة (قلّد)– الزمخشري "محمود بن عمرو": أساس البلاغة، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، (جـ٢/٩٦–٩٧)، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ الأولى (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م)٠ واصطلاحًا: هُوَ قبُول قَول الْغَيْر بِلَا دَلِيل، وهو سلوك مذموم في القرآن الكريم، والآفات التي تصيب الفهم الصحيح للدين وتشوه جوهره، تأتي من مصادر ثلاثة: التقليد، والاستسلام للنشأة، والتعصب للرأي والهوى. يُنظر: ميهوب "أ.د/ سيد عبد الستار": أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية (الله– العالم– الإنسان) دراسة في فكر آخر رواد مدرسة التنوير الاعتزالية، صـ (١٤٤–١٤٣)، الناشر/ مكتبة الثقافة الدينية، ط/ الثانية (١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م)– أبو البقاء الحنفي " أيوب بن موسى": الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، صـ (٣٠٥)، تحقيق/ عدنان درويش – محمد المصري، الناشر/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ الثانية (١٤١٩هـ–١٩٩٨م)٠

[٤] رشيد رضا: مجلة المنار المجلد ١٧ جـ٨ صـ (٥٥٦)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٥٢)٠

[٥] القاسمي "محمد جمال الدين": كتاب المسح على الجوربين، تقديم/ أحمد محمد شاكر، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، صـ (٤–٣) نشر المكتب الإسلامي، بيروت ط/ الخامسة (١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م)٠

٤-نشر كتبه ضمن كتب أئمة السلف الصالح ﷺ، فقد جمع صاحب "عقائد السلف" مجموعة رسائل لأئمة مشهورين ثم ختم هذه المجموعة برسالة الشيخ القاسمي ذكر فيها بأنه من السلفية المعاصرة[١]، وقال أحد الأساتذة أيضًا: "تذخر المكتبة الإسلامية بعدد كبير من تفاسير أهل السنة والجماعة، وعندما ذُكِر نماذج من هذه الكتب ذُكِرَ تفسير محمد جمال الدين القاسمي المسمي بمحاسن التأويل"[٢].

٥-شهادة من اشتهر بتأويله لآيات الصفات بأن القاسمي من سلف المتأخرين[٣].

٦-اعتراف القاسمي بأنه كان سلفي العقيدة وافتخاره بذلك، وقد نظم أبياتًا في ذلك منها:

زعـــــــــم النَّاسُ بأنَّ	مذهبي يُدعى الجمـــــالي
وإليـــــــــه حينما أُفتي	الورى أعزو مقـــــــالي
لا، وعمـــــــر الحـــقِّ	إنّـــي سلفيٌّ الانتحـــــالِ
مذهبـــــــــي مـا فـــي	كتابِ الله ربِّي المتعـــــالي
ثمَّ مـــا صـــــــح فـــي	الأخبار، لا قِـــــيل وقـال
أقتفي الحـــــــــق ولا	أرضـــى بآراء الرجــــــالِ
وأرى التقليــــــدَ جهـــلًا	وعمـــــى في كلِّ حـــــــال[٤].

---

[١] النشار "د/ على سامي"، عمَّار جمعي الطالبي: مجموعة عقائد السلف، صـ (٤٧) نشر منشأة المعارف الإسكندرية (١٩٧١م)، نقلًا عن علي دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (٥٢).

[٢] سليمان الرومي "د/ فهد بن عبد الرحمن": اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (جـ١/١٦١) طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء في السعودية ط/ الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).

[٣] يُنظر: ابن الجوزي "عبد الرحمن بن علي": دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق/ محمد زاهد الكوثري، صـ (٢٤)، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتراث ٩ درب الأتراك- خلف الجامع الأزهر، ط/ الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م).

[٤] رشيد رضا: مجلة المنار المجلد ١٧ جـ٨ صـ (٥٥٦)- البيطار "عبد الرزاق بن حسن": حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق/ محمد بهجة البيطار، (جـ١/٤٣٥-٤٣٦)، الناشر دار صادر، بيروت، ط/ الثانية (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

يظهر مما سبق أن القاسمي قد تحلَّى بأخلاق العلماء، وقد اتصف بالزهد وسعة عقله ورحابة صدره، وأمانته، كما تبيَّن أن عقيدته عقيدة السلف الصالح، ومنهجه منهج ابن تيمية وابن القيم، وأن مذهبه شافعيٌّ ثم تحرر من التقليد.

المطلب الرابع

شيوخه، مكانته العلمية:

أولًا: شيوخه:

من أشهر مشايخه الذين تربى على أيديهم ما يلي:

١- **والده الشيخ "محمد سعيد القاسمي":**

هو محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر، الشهير بالحلاق، القاسمي، الدمشقي، قال القاسمي: "إن من أعظم أشياخي عندي، وآمنهم عليَّ، وأكثرهم حقوقًا لديَّ، سيدي وسندي والدي المرحوم أغدق الله على روضته سحائب الرضوان، وأحلَّه في أعلى فراديس الجنان، وجزاه خير ما جزى والدًا عن ولده، ومرشدًا عن مرشده، ... فقد قرأت لديه – رحمه الله – جملة كثيرة من فنون العربية، وكتبًا فقهية، وحديثية وتوحيدية، وقد أحسن تربيتي غاية الإحسان ولم يزل يربيني في حجره، ويغدق عليَّ بما تصل إليه الإمكان، فجزاه الله أحسن الجزاء، وأتمه، ولقَّاه من النعيم الأخروي أعمه"[١].

من مؤلفاته:

١- قاموس الصناعات الشامية، جمع فيه الشيخ جميع الحِرَف والصناعات الشامية ورتبها على حروف الهجاء، فجاء قاموسًا لم يسبق له مثيل، وقد توفي الشيخ دون إنهائه، فوفق اللهُ ولدَه جمال الدين وصهره لإتمام هذا الكتاب.

٢-الثغر الباسم في ترجمة والده الشيخ القاسم.

٣-سفينة الفرج فيما هب ودب ودرج.

٤-تنقيح الحوادث اليومية.

٥-ديوان شعر سماه ولده جمال الدين القاسمي "الطالع السعيد في ديوان الوالد محمد سعيد".

---

(١) يُنظر: ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صد (٣٩).

هذا وقد ترك الشيخ أربعةَ أولاد وبنت، وقد تلقى هؤلاء جميعًا على أيدي أبيهم مبادئ العلوم العربية والشرعية، وقد توفي الشيخ عام (١٣١٧هـ)[١].

٢- الشيخ "عبد الرحمن المصري":

هو عبد الرحمن بن على بن شهاب المصري، نزيل دمشق، حافظ معمر، كان الشيخ يعلم الأطفال، توفي سنة (١٣١٦هـ)، قرأ عليه جمال الدين القاسمي القرآن[٢].

٣- الشيخ "أحمد الحلواني" شيخ قراء الشام:

هو أحمد بن محمد بن على بن محمد الشهير بالحلواني، الشافعي، الأشعري، ولد بدمشق عام (١٢٢٨هـ)، وتربى تربية دينية برعاية والده، حفظ القرآن الكريم من طريق حفص على الشيخ راضي المصري، ثم أقبل على طلب العلم فدرس العلوم النقلية والعقلية على أساتذة عصره، واشتهر بأن أصبح شيخ القراء بالشام، وقد قرأ عليه القاسمي القرآن الكريم برواية الإمام حفص، ومن مؤلفاته: "أرجوزة في رواية ورش من طريق الأزرق- شرح لهذه الأرجوزة- أرجوزة في علم التجويد سماها (المِنحة السنية)- شرح لهذه الأرجوزة أيضًا جمع فيها غالب أحكام التجويد سماه (اللطائف البهية)"[٣]، هذا وقد قال القاسمي في ترجمته: "ومما امتن الله به على قراءتي على الأستاذ أحمد الحلواني، فإني لازمته مدة تفوق ثماني سنين، فقرأت عليه ختمة، وأكثر من نصف أخرى على طريقة حفص، وسمعت منه

---

[١] يُنظر: القاسمي، وغيره: قاموس الصناعات الشامية، (جـ١/٨-١٠)- عبد الرزاق البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، (جـ٢/٦٥٤-٦٦١)- منتخبات التواريخ لدمشق (جـ٢/٧٢٢)- محمد مطيع: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر (جـ١/١٦٩-١٧٢).

[٢] يُنظر: القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٠)- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع، (جـ١/١٥١-٢٩٨).

[٣] يُنظر: تاريخ علماء دمشق (جـ١/٨١)- ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٢٤).

الميدانية، ثم شرح الجزرية لشيخ الإسلام مرتين، ثم شرحها للشيخ خالد الأزهري، ثم معظم شرح منظومته، وأجاز لي إجازة عامة بسائر مروياته،..."[1]، وقد تُوفي عام (١٣٠٧هـ)[2].

٤- الشيخ رشيد قزيها:

هو رشيد بن عمر قزيها، الشهير بسنان الشاذلي الشافعي مذهبًا، ولد بدمشق، وتعلم العلوم على يدِ علماء عصره، ولما شبَّ برع في النحو والصرف والمنطق والأصول والعروض، قال القاسمي عنه: "إنني قد أخذت عنه مبادئ التوحيد والصرف والنحو والمنطق والبيان والعروض وغيرها في المدرسة الظاهرية"[3]، وقد تُوفي ولم يُعَقِّب عام (١٣٣٣هـ)[4].

٥- الشيخ محمود مصطفى:

هو محمود بن محمد بن مصطفى، نزيل دمشق، ومن صلحاء الأثرياء وكرامهم، كان معلمًا للأطفال، وقد تعلم القاسمي الكتابة عليه[5].

٦- الشيخ "سليم العطار":

هو سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد بن عبيد الله الشهير بالعطار، الشافعي مذهبًا، ولد الشيخ بدمشق عام ١٢٣٣هـ، درس الحديث والتفسير واللغة العربية، وغيرها من العلوم، وقد كان القاسمي مواظبًا على حضور دروسه، وأخذ عنه علومًا كثيرة منها: شرح الشذور، وابن عقيل، وشرح القطر، ومختصر السعد، وجمع الجوامع، والبيجرمي على

---

(١) تعطير المشام في مآثر الشام للقاسمي نقلًا عن تاريخ علماء دمشق (جـ١/٣٠٢-٣٠٣).

(٢) ينظر: عبد الرزاق البيطار: حلية البشر (جـ١/٢٥٣-٢٥٥)- منتخبات التواريخ لدمشق (جـ٢/ ٧٠٨-٧٠٩)- تاريخ علماء دمشق (جـ١/٧٨- ٨٢).

(٣) يُنظر: منتخبات التواريخ لدمشق (جـ٢/٧١٩)- تاريخ علماء دمشق، (جـ١/٣١٦)- القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢٠).

(٤) منتخبات التواريخ لدمشق (جـ٢/٧١٩)- تاريخ دمشق (جـ١/ ٣١٦).

(٥) ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٢٤).

الإقناع، والأربعين العجلوانية، وتفسير البيضاوي، كما سمع منه –أي القاسمي – صحيح البخاري، والموطأ والشفاء، ومصابيح السُّنة، والجامع الصغير، والطريقة المحمدية وغيرها[١]، وقد تُوفي الشيخ عام (١٣٠٧هـ)[٢].

٧- **الشيخ: "بكري العطار"**:

هو أبو بكر بكري بن حامد بن أحمد بن عبيد، الشهير بالعطار، الدمشقي، الشافعي، علَّامة الشام المفسر، المحدث، الفقيه، الأصولي، النحوي، المنطقي، الزاهد، العابد، ، ولد سنة (١٢٥١هـ)، وكان من كبار المُحَدِثِين في عصره، أخذ عنه القاسمي علومًا كثيرة فقال: " بعد أن اكتفيت بما قرأته عليه من بعض الفنون إلا أني لازمت مجالسه الحديثية صباح كل ثلاثاء وجمعة في البخاري ومسلم والموطأ وأبي داود وابن ماجة والنسائي زيادة على نصفه، وفيه اخترمته المنية.. وكان يجلسني إلى جنبه، وكثيرًا ما يستطلع جوابي في بحث لُطْفًا منه وتواضعًا، فإذا حضرت في درسه العام يتوجه إلى التوجه التام محبة وإيناسًا، وكان يتفقدني إذا غبت"[٣]، وقد أجاز له إجازة عامة[٤]، وأما وفاته، فقد قال القاسمي في تاريخه مؤرخًا لوفاة شيخه: "فجعت به الشام في خامس شوال عام١٣٢٠هـ، .."[٥].

٨- **الشيخ "محمد الخاني"**:

هو محمد بن محمد بن عبد الله، الخاني النقشبندي الخالدي، ولد الشيخ في دمشق في عام (١٢٤٧هـ)، تعلَّم القرآن على يدِ والده، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية، قرأ عليه

---

[١] يُنظر: القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٢١)- ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٢٥).

[٢] يُنظر: تاريخ علماء دمشق، (جـ١/١٩٧-٢٠٣).

[٣] تعطير المشام في مآثر علماء دمشق الشام للقاسمي صـ (٧١-٧٨) نقلًا عن تاريخ علماء دمشق (جـ١/ ٣٠٣ – ٣٠٤).

[٤] ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٢٦).

[٥] تاريخ علماء دمشق، (جـ١/١٩٧-٢٠٣).

القاسمي كتبًا كثيرة، منها حاشية الخضري على الملوي على السمرقندية، وحواشي الصبان على العصام على السمرقندية، حواشي بن أبي شريف على العقائد، حاشية الصبان على الأشموني، حاشية الأمير على عبد السلام قراءة تحقيق وإمعان.. وسمع منه كتب الحديث"[١]، قال عنه القاسمي: "وكان – رحمه الله – لقنني ذكر الطريقة النقشبندية، لازمت حلقته مدة، ثم تركتها لأمر ما.."[٢]، وقال أيضًا: "هو أحد مشايخي الذين صحبتهم، وانتفعت بهم، قرأت عنده كتبًا عديدة من فنون متنوعة، ولازمته ليلًا ونهارًا من عام ١٣٠٣هـ إلى عام ١٣٠٩هـ، وسمعت منه حصة وافرة من الموطأ والبخاري وسنن أبي داود والترمذي، وأجاز لي إجازة عامة، وكان يودني المودة الأكيدة، ويتفقدني إذا أبطأت عن زيارته لعارض، ويقبل إلى في مجلسه الإقبال الزائد، ويخصني بالمحاورة والمناظرة"[٣]، (ت: ١٣١٦هـ)[٤].

٩- الشيخ "حسن جبينه":

هو حسن بن أحمد بن عبد القادر جبينة الشهير بالدسوقي، الحلبي الأصل، ولد الشيخ بدمشق عام ١٢٤١هـ، اشتغل بالعلم، وسار بسيرة أسلافه الدسوقيين في العلوم، ولازم الشيخ قاسم جد جمال الدين القاسمي في دروسه وعنى بخدمته، وكان خبيرًا بفقه الشافعي، توفي عقيمًا عام ١٣٠٦هـ[٥]، قال القاسمي عنه: "ومن أشياخي وأساتذتي خال والدي العالم الفاضل الفقيه الكامل الشيخ حسن جبينة الشهير بالدسوقي، وهو من أخصّ تلامذة سيدي الجد، حضرته في كتب فقهية، وسمعت منه الشمائل والأربعين النووية، وأجاز لي عامة كما

---

(١) أعيان دمشق صـ (٣٨٣- ٣٨٥)- منتخبات التواريخ لدمشق (جـ٢/ ٧٦٦)- عبد الرزاق البيطار: حلية البشر (جـ٣/ ١٢١٥- ١٢١٨).

(٢) ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٢٧-٢٦).

(٣) المرجع السابق صـ (٢٨) نقلًا عن تاريخ علماء دمشق (جـ١/٣٠٢).

(٤) الشَّطِّي: أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر، صـ (٣٨٣- ٣٨٥).

(٥) القاسمي "جمال الدين": شرف الأسباط، صـ (٧٩-٨٠)، الناشر/ مطبعة الترقي، دمشق، ط/ الأولى (١٣٣١هـ).

أجاز سيدي الجد، وقد انتفعت بصحبة هذا الأستاذ وتهذبت بآدابه وإرشاداته ونوادره عن الأقدمين"[١].

ثم قال القاسمي: "وقرأت على مشايخ غير من تقدَّم ذكرهم إلا أنها قراءة تَحَلٍّ وصحبة، أما الانتفاع فكان بمن سبق وجزى الله الجميع خيرًا،.."[٢]، فلاعجب أن ينشأ القاسمي نشأة صحيحة جعلته "من أشهر علماء عصره، وأكبر الأئمة المصلحين في وقته، وذوي القدم الراسخ والتبحر في كافة العلوم، خصوصًا في التفسير والحديث، والأصول والفقه والكلام..."[٣].

ثانيًا: مكانته العلمية:

لقد حظى القاسمي بمكانة عظيمة بين علماء عصره ووجهاء مصره؛ بسبب ما عُرِفَ عنه من عفة لسان، ونزاهة قلم، وبُعد عن المراء والجدال، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وزهده في المناصب، وتواضع جم، وهذا كله يدل على تقواه، وورعه، وسعة علمه، فلا غرو أن نجد علماء عصره يشيدون بمكانته ويثنون عليه، من ذلك ما قاله:

١- صاحب المنار الشيخ "محمد رشيد رضا"[٤]:

قال عند ترجمته للقاسمي: "هو علَّامة الشام ونادرة الأيام، والمجدد لعلوم الإسلام محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم، والتهذيب، والتأليف، وأحد حلقات الاتصال بين هدي

---

(١) ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٢٨).

(٢) المرجع السابق صـ (٢٨).

(٣) الأعلام الشرقية (جـ١/ ٢٩٠).

(٤) صاحب المنار هو العلامة الشيخ محمد رشيد رضا المولود في قرية "القلمون" اللبنانية، كان كثير المطالعة والقراءة وكثير الترحال من أجل العلم، ولقد صدر عن فكره وقلمه من الآثار المفيدة ما يندر صدوره عن العلماء في هذا العصر، (ت:١٣٥٣هـ). يُنظر: أرسلان "شكيب بن محمود": لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟، تقديم/ محمد رشيد رضا، تحقيق/ حسن تميم، صـ (٣٠-٢٧)، الناشر/ دار مكتبة الحياة، ط/ الثانية، بدون تاريخ، نقلًا عن على دبدوب: القاسمي وآراءه الاعتقادية، صـ (٧٧).

السلف، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن"[١]، وفي موطن آخر يقول: "لا يمكن أن تصلح الدولة العثمانية إلا بأن يؤلف لها كتاب ديني عصري يقدم إلى مجلس الدولة، ثم بعد التصديق عليه ينشر للعمل، ولا يستطيع أحد أن يؤلفه إلا جمال الدين القاسمي"[٢].

٢-أمير البيان العربي:

شكيب أرسلان[٣] قال في مقدمته لقواعد التحديث: "وإني لأوصي جميع الناشيءة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فهمًا ترتاح إليه ضمائرها، وتنعقد عليها خناصرها أن لا تقدم شيئًا على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي"[٤].

٣-الشيخ "محب الدين الخطيب":

قال في مقدمته لكتابه إصلاح المساجد: "السيد جمال الدين القاسمي-رحمه الله- مصباح من مصابيح الإصلاح الإسلامي التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا الحاضرة المظلمة في الثلث الأول من القرن الهجري الرابع عشر فنفع الله بعلمه وعمله ما شاء أن ينفعهم"[٥].

٤- الشيخ "عبد الله مصطفي المراغي":

قال عند ترجمته له: "كان القاسمي في مقدمة علماء دمشق، وامتاز عن كثير منهم، واشتهر أمره، وكان مستقل الرأي، لا يميل إلى الخرافات، محتفظًا بكرامته، لا يحب الفضول والزلفى، ولم يكتف بالتبحر في العلوم الشرعية بل درس العلوم العصرية"[٦].

---

[١] رشيد رضا: مجلة المنار المجلد السابع عشر(جـ٨/٥٥٨).

[٢] تاريخ علماء دمشق (جـ١/٣٠٠)، نقلًا عن على دبدوب: القاسمي وآراءه الاعتقادية، صـ (٧٨).

[٣] **شكيب أرسلان:** هو أمير البيان العربي المولود عام(١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م) في الشويْفات "بلدة في لبنان" جمع إمارة النسب وإمارة البيان وعاش حياةً حافلةً أشبه ما تكون بحياة المناضلين الأوائل أصحاب العقيدة والقلم، له مؤلفات كثيرة، (ت: ١٣٦٦هـ). يُنظر: شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون صـ (١٥-١٤).

[٤] القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٧)، نقلًا عن على دبدوب: القاسمي وآراءه الاعتقادية، صـ (٧٨).

[٥] القاسمي "محمد جمال الدين": مقدمة إصلاح المساجد من البدع والعوائد، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، صـ (٦)، الناشر/ المكتب الإسلامي بيروت، ط/ الخامسة (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

[٦] عبد الله مصطفى المراغي: الفتح المبين في طبقات الأصولين، (جـ٣/ ١٦٨).

٥-**الشيخ "محمد بهجة البيطار"**:

قال في ترجمته له: "كان القاسمي علامة الشام، آية في المحافظة على الوقت، والمواظبة على العمل، كان يجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة ومدونات السنة وشرحها، ومؤلفات في أصول الدين وأمهات الفقه وأصوله، ومطولات التاريخ والأدب، وكتب المقالات والنحل..."(١)۰

ولو ذهبنا نستقصي كل ما كتبه العلماء في الإشادة بفضائله لطال بنا المقام ولكن نكتفي بما ذُكِر ونحيل على الباقي خشيةً الإطالة(٢)۰

من هذا المطلب تبيّن لنا مكانة القاسمي العلمية وثناء العلماء عليه؛ وذلك لنشئته العلمية وكثرة شيوخه وإجازاته العلمية، فقد حظى - رحمه الله - بمكانة علمية عالية۰

---

(١) عبد الرزاق البيطار: حلية البشر، (جـ١/٤٣٨-٤٣٩)۰

(٢) أنور الجندي: تراجم الأعلام المعاصرين للعالم الإسلامي، صـ (٧٨-٦٩)- الدكتور/ على سامي النشار، عمار جمعي الطالبي، عقائد السلف، صـ (٤٨-٤٧)- القاسمي "محمد جمال الدين": مقدمة حياة البخاري، تحقيق/ محمود الأرناؤوط، ط/ الأولي دار النفائس سنة (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) - سركيس "يوسف إليان": معجم المطبوعات العربية والمعربة، (جـ٢/١٤٨٣-١٤٨٦)، طبعة سركيس بمصر (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م)، نقلًا عن على دبدوب: القاسمي وآراءه الاعتقادية، صـ (٧٩)۰

المطلب الخامس

آثاره العلمية، تلاميذه، وفاته.

أولًا: آثاره العلمية:

لقد ترك القاسمي آثارًا علمية ثمينة في شتى الفنون، وعددًا كبيرًا من المؤلفات تقارب المائة مؤلَف، وقد ذكر صاحب الأعلام أنه اطلع على اثنين وسبعين مؤلَفًا له[1]، وأهمها:

١-محاسن التأويل (تفسير القاسمي) موضوع الرسالة.

٢-تاريخ الجهمية والمعتزلة"، وقد طبع عدة مرات الأولى عام ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، والثالثة طبعتها مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣-"إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، وهو كتاب طبع عدة مرات الطبعة الخامسة بمطبعة المكتب الإسلامي ببيروت – دمشق عام(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٤-"دلائل التوحيد". طبع هذا الكتاب عدة مرات منها طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان عام ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، وطبعة دار المدني نشر مكتبة الثقافة بتقديم محمد حجازي عام ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، وطبعة دار النفائس بتحقيق وتعليق. د/ خالد عبد الرحمن، عام ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٥-"شرح لقطة العجلان للزركشي"، وقد طبع عدة طبعات في مصر الأولى عام ١٣٢٦هـ، ويقع في مائة وسبعين صفحة.

٦-"الفتوى في الإسلام". طبع في دمشق عام ١٣٢٩هـ وطبعته دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ عام (١٤٠٦هـ-١٩٨٩م)، تحقيق/ الشيخ محمد عبد الحكيم القاضي.

٧-"الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين ويُعرف بشرح الأربعين العجلوانية". طبعته دار النفائس بيروت عدة طبعات؛ الأولى عام (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، والثانية عام (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) بتحقيق الأستاذ عاصم بهجة البيطار.

---

[1] الزركلي: الأعلام، (جـ٢/١٣٥).

٨-"موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"، وقد طبع بمصر عام ١٣٣١هـ، وهو اقتباس من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي٠

٩-"قاموس الصناعات الشامية". يقع في جزئين الجزء الأول تأليف/ محمد سعيد القاسمي والد الشيخ جمال الدين القاسمي وصل فيه حرف السين ثم توفي وأتمه جمال الدين القاسمي وخليل العظم. وقد نُشِرَ هذا الكتاب بتحقيق ظافر القاسمي نشر موتون وشركاه باريس لاهاي عام ١٩٦٠م٠

١٠-"قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث"، وقد طبع عدة طبعات طبعته دار إحياء الكتب العربية مصر ط٢ عام (١٣٨٠هـ-١٩٦١م) بتحقيق محمد بهجة البيطار٠

١١-"شرف الأسباط". طبع في مطبعة الترقي بدمشق (١٣٣١هـ) طبعته الأولى٠

١٢-"نقد النصائح الكافية". وقد طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق عام ١٣٢٨هـ طبعته الأولى٠

إلى غير ذلك من مؤلفاته القيمة الوافرة، جزاه الله عن المسلمين خير الجزاء٠

ثانيًا: <u>تلاميذه</u>:

كان القاسمي من كبار الأئمة في عصره، والمصلحين في وقته، وقد فتح بيته لتلاميذه ومريديه، وانتفع بعلمه ومؤلفاته خلق كثير، وأصبحوا بعد وفاته من أعلام عصرهم، نذكر منهم على سبيل المثال:

١- الشيخ "محمد بخيت المطيعي":

هو محمد بخيت بن حسين المطيعي، الحنفي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها، ولد في بمحافظة أسيوط عام (١٢٧١هـ-١٨٥٤م)، تعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، عيّن بالقضاء الشرعي، ثم عيّن مفتيًا للديار المصرية، له مؤلفات كثيرة منها: (إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة- أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام-

حسن البيان في دفع ما ورد من الشبه على القرآن، وغير ذلك العديد)، كان من أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم العلوم الفلسفية القاسمي، توفي (١٣٥٤هـ)[١].

٢- الشيخ "محب الدين الخطيب":

هو محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صلاح الخطيب، من كبار الكتاب الإسلاميين والسياسيين، ولد في دمشق عام(١٣٠٣هـ-١٨٨٦م)، أنشأ جمعية النهضة العربية بدمشق، وعمل مُحرِرًا في الأهرام، وأصدر مجلتيه "الزهراء" و"الفتح"، له مؤلفات كثيرة منها: (اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب- تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس- الرعيل الأول في الإسلام-الأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه... وغير ذلك كثير)، وكان من أبرز شيوخه العلَّامة القاسمي، وتوفي عام ١٣٨٩هـ[٢].

٣- الدكتور: "صلاح الدين القاسمي":

هو صلاح الدين بن محمد بن سعيد، طبيب، أديب، من طلائع الوعي القومي العربي في سوريا، ولد عام (١٣٠٥هـ-١٨٨٧م) في دمشق وتعلم فيها، كان يحسن بعض اللغات غير العربية مثل: التركية والفارسية والفرنسية، له مقالات عن المنفلوطي وكتابه النظرات، ومقالات عن رحلته إلى الأستانة، تربى على يدِ أخيه جمال الدين القاسمي، تُوفي عام (١٣٣٤هـ)[٣].

---

[١] الزركلي: الأعلام (جـ٦/٥٠)- عمر كحالة: معجم المؤلفين، (جـ٥/٩٨-٩٩)- زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، (جـ٣/ ٥٦-٥٩)- سركيس: معجم المطبوعات العربية، صـ (٣٣٩-٣٣٨).

[٢] كحالة "عمر رضا": المستدرك على معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، صـ (٥٧٧-٥٧٦)، طبع مؤسسة الرسالة ط/ الأولى (١٤٠٦هـ -١٩٨٥م)- الزركلي: الأعلام (جـ٥/٢٨٢).

[٣] يُنظر: المرجعين السابقين.

٤-"توفيق البرزة":

ولد بدمشق عام ١٨٨٢هـ، ولازم شيوخ عصره، منهم العلّامة جمال الدين القاسمي، فقرأ عليه التفسير والحديث، وكان القاسمي معجبًا بفهمه وحسن إدراكه، وقوة استنباطه، ولهذا اهتم به، وجعله محل رعايته، وربما أخذ برأيه في معضلات المسائل العلمية، وبعد وفاة شيخه القاسمي أخذ يدعو إلى مذهب السلف، ودافع عنه، توفي عام ١٣٧٣هـ[١].

٥- "حامد التقي":

هو حامد أو (محمد حامد) بن أديب بن أرسلان التقي، فقيه حنفي، متأدب، من أهل دمشق، ولد بدمشق عام (١٢٩٩هـ)، لازم القاسمي، وأخذ عنه علوم التفسير والحديث، واللغة والنحو والصرف، لازمه سبعة عشر عامًا، ملازمة تامة، وكان يحبه حبًّا جمًّا، ولا يذهب إلى مكان دون أن يكون معه، من مؤلفات: (أثر الدعوة الوهابي في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها)، تُوفي - رحمه الله - عام ١٣٧١هـ- ١٩٦٧م[٢].

٦-"محمد بهجة البيطار":

هو محمد بهجة بن بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بالبيطار، ولد بدمشق عام (١٣١١هـ-١٨٩٤م)، تلقى العلم على شيوخ عصره، ومنهم العلَّامة جمال الدين القاسمي، توفي عام (١٣٩٦هـ)، من مؤلفات: (نقد عين الميزان، نظرة في النفخة الزكية، حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، ..) ، وأبحاث نشرت في الصحف العربية، قال عنه ولده الأستاذ عاصم بهجة البيطار في مقدمة كتاب الفضل المبين: "كان والدي تلميذًا للشيخ القاسمي، وكان ملازمًا له شديد التعلق به، وقد كان للشيخ - رحمه الله - أثرٌ كبيرٌ

---

[١] يُنظر: تاريخ علماء دمشق، (جـ٢/٦٥٥-٦٥٦).

[٢] القاسمي: الفضل المبين، (جـ٨/٤٥٢)- عمر كحالة: المستدرك على معجم المؤلفين، صـ (١٨٤)- الزركلي: الأعلام، (جـ٢/١٦٠).تاريخ علماء دمشق، (جـ٢/٧٠٨-٧٠٩).

في والدي ..، وما سمعت والدي يذكر القاسمي إلا بقوله: (شيخنا علَّامة الشام) أو (شيخنا القاسمي)، وما سمعته يذكره مرة إلا والبكاء يكاد يغلبه"[١]٠

٧- "**أحمد محمد شاكر**":

هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، يُرفَعُ نسبه إلى الحسين بن على – رضي الله عنهما – ولد بالقاهرة عام (١٣٠٩هـ -١٨٩٢م)، كان والده أمينًا للفتوى بمصر، تعلم الفقه والأصول، والتحق بالأزهر، وانتقل إلى القضاء فظلَّ به حتى صار عضوًا بالمحكمة الشرعية العليا ورئيسًا لها، له مؤلفات منها: (شرح مسند الإمام أحمد- عمدة التفسير- نظام الطلاق في الإسلام.. وغيرها الكثير)[٢]، من أشهر شيوخه العلَّامة القاسمي، توفي عام ١٣٧٧هـ[٣]٠

٨- "**محمد جميل الشطي**":

هو محمد جميل بن عمر بن محمد بن حسن بن عمر جلبي الشطّي، فقيه حنبلي، أديب، مؤرخ، أصله من بغداد، ولد في دمشق عام ١٣٠٠هـ-١٨٨٢م، من مؤلفاته: (مختصر طبقات الحنابلة، السيف الرباني، رسالة في الرد على القاديانية والدروس الفرضية)، لازم القاسمي ملازمة تامة، وأخذ عنه في أكثر العلوم وتأثر به، توفي عام ١٣٧٨هـ[٤]٠

---

[١] الزركلي: الأعلام، (جـ٢/١٦٠)- عمر كحالة: المستدرك على معجم المؤلفين، صـ (٦١٤)- القاسمي: الفضل المبين، صـ (٦، ٢١)٠

[٢] البيومي "د/ محمد رجب": النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، (جـ٢/٨٩)، الناشر/ دار القلم، الدار الشامية، ط/ الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)- الأعلام (جـ١/٢٥٣)٠

[٣] د/ محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية، (جـ٤/١١٥)- مقدمة كتاب المسح على الجوربين للقاسمي، صـ (٤)، نقلًا عن على دبدوب: القاسمي وآراءه الاعتقادية، صـ (١٠١-١٠٠)٠

[٤] تاريخ علماء دمشق (جـ٢/٧٠٤- ٧٠٨)- الأعلام (جـ٦/٧٣)- الشَّطِّي: أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر، صـ (٣٠٣)٠

ثالثًا: وفاةُ الشيخ "جمال الدين القاسمي":

بَقِي الشيخ حاملًا راية العلم والمعرفة، ناشرًا عبق فكره النير في حلقات الدرس ومجالس العلم، مثابرًا على القيام بمهامه ووظائفه إلى أن وافاه الأجل[١]،

وقد تُوفي عام (١٣٣٢هـ-١٩١٤م)، بعد عودته من رحلته إلى فلسطين، وقد خرجت له جنازة اجتمع فيها كثير من المشيعين حتى أعدائه، وقد رثاه عند موته كثيرٌ من طلابه[٢]، وقد وهم من جعل وفاته عام ١٣٣١هـ[٣]؛ لأن ابنه أعلم من غيره بوفاة أبيه، وقد ذكر أنه توفي عام ١٣٣٢هـ[٤]،

وفي هذا المطلب تعرضنا لبيان مكانة القاسمي العلمية من خلال التعرف على بعض مؤلفاته، وذكر بعض تلاميذه الذين قاموا بعده بحمل راية العلم والعلماء، وكان للقاسمي أثرًا واضحًا في حياتهم العلمية، والتربوية، ثم تبيّن لنا بعد ذلك، وبعد حياةٍ مليئة بالعلم ونشره بين المسلمين، عام وفاته رحمه الله رحمةً واسعة،

---

[١] حاجي "د/ عبد العزيز": محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي مفسرًا، الناشر/ التراث العربي – سوريا المجلد ٢٨- العدد١١٢ لسنة ٢٠٠٨م صـ (١٢٠)،

[٢] يُنظر: ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، صـ (٦٧٨)،

[٣] يُنظر: محمد أديب الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق (جـ٢/٧١٧)،

[٤] يُنظر: ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره صـ (٦٧٨-٢١٤)،

المبحث الثالث:

منهج القاسمي في تفسير محاسن التأويل

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الكتـــــــــــــاب.

المطلب الثاني: منهج القاسمي في تفسيره.

المطلب الثالث: مصادر تلقي العقيدة عند القاسمي:

أولًا: القرآن الكريم.

ثانياً: السنة النبوية.

ثالثاً: الإجماع.

رابعاً: أقوال السلف.

خامساً: العقل.

المطلب الأول:

وصف الكتاب:

تفسيرُ محاسن التأويل تفسيرٌ كاملٌ للقرآن الكريم، يقع في سبعة عشر جزءًا من الحجم المتوسط، عدد صفحات كل جزءٍ ثلاثمائة وخمسون صفحةً تقريبًا، في كل صفحةٍ نحو عشرين سطرًا، وفي كل سطرٍ خمس عشر كلمةً تقريبًا .....

طُبِعَ الكتابُ الطبعةَ الأولى عام (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م) بتحقيق وتعليق (محمد فؤاد عبد الباقي)[1] من دار إحياء الكتب العربية التي تأسست عام (١٣٣٦هـ-١٩١٨م)، وصاحبُها فيصل عيسى البابي الحلبي وشركاه - شارع خان جعفر بالجمالية- القاهرة، وعلى هذه الطبعة إحالة الباحث في هذا البحث.

عدد صفحاتِ جميع الكتاب (٦٧٤٢) اثنتان وأربعون وسبعمائة وستة آلاف صفحة شاملة للمقدمة والفهارس، تتسلسل الأرقام في جميع الكتاب تسلسلًا متصلًا بعد المقدمة إلى نهاية الجزء السابع عشر، لا توجد على الكتاب أية إشارة إلى رقم الطبعة ولا تاريخها في هذه الطبعة، وهناك طبعة أخرى لدار الفكر- بيروت يستقل كل جزء من أجزاء الكتاب بتسلسل مستقل، وقد صدرت الطبعة الثانية لدار الفكر - بيروت عام (١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م).

بدأ التفسير بمقدمة عن قواعد التفسير استغرقت الجزء الأول كاملًا، تناول القاسمي فيها عدة أمور، منها: (أنواع التفسير)، و(أسباب النزول) و(الناسخ والمنسوخ) و(القراءات) و(الإسرائيليات)، وغير ذلك، وتقع المقدمة في (٣٥٢) صفحة، وقصد رحمه الله تعالى من تقديمه بين يدي تفسيره بهذه المقدمة أن تكون مفتاحًا لتفسيره، ودليلًا للسالك فيه، على ضوئها يُفهم رأيه في بعض القضايا التفسيرية، وهذه المسائل والقضايا تشتمل على علمٍ جمٍّ

---

[1] محمد فؤاد عبد الباقي بن صالح بن محمد، مصري الأبوين ولد عام (١٨٨٢م-١٩٦٨م) في قرية بالقليوبية ونشأ بالقاهرة وعمل مترجمًا للفرنسية بالبنك الزراعي (١٩٠٥م - ١٩٣٣م) ثم انقطع للتأليف، عالم بتنسيق الأحاديث النبوية ووضع الفهارس، تُوفي بالقاهرة. انظر: الزركلي: الأعلام (جـ٦/٣٣٣).

ومعرفةٍ كثيرة، فهي من الأهمية بمكان، قال المؤلف عنها: "وهي قواعد فائقة وفوائد شائقة جعلتها مفتاحًا لمغلق بابه، ومسلكًا لتسهيل خوض عبابه، تُعين المفسر على حقائقه وتطلعه على بعض أسراره ودقائقه"(١).

والقاسمي يُكثر في مقدمة تفسيره من النقول الطويلة عن علماء السلف، فقد نقل فيها عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن جرير الطبري، وابن الجزري، وابن الحاجب، وابن حجر العسقلاني، وابن خلدون، والحافظ ابن كثير، وأبي إسحاق الشاطبي، وأبي شامة، وأبي عبيد، وأبي مسلم الأصفهاني، وبرهان الدين البقاعي، والحارث المحاسبي، وأبي عمرو الداني، والحافظ الذهبي، والإمام الفخر الرازي، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، والسيوطي، وابن القيم، والشيرازي، والعز بن عبد السلام، وابن قتيبة، ومحمد عبده، والنووي، وولي الدين الدهلوي، وغيرهم.

كما يحتوي هذا التفسير على مجموعة فهارس في نهاية الجزء السابع عشر هي(٢):

١- فهرس محتويات أجزاء الكتاب.

٢- فهرس سور القرآن الكريم وموضوع تفسير كل سورة.

٣- فهرس موضوعات القرآن الكريم حسب كتب صحيح البخاري.

٤- فهرس للفهرس السابق.

٥- فهرس أسماء المؤلفين الذين نقل عنهم القاسمي في تفسيره.

٦- فهرس أسماء الكتب التي تناولها التفسير.

---

(١) القاسمي: محاسن التأويل، (جـ١/٦).

(٢) يُنظر: تبيدي "جمال الدين محمد علي عبد الحميد": جمال الدين القاسمي وآراؤه الكلامية من خلال تفسيره محاسن التأويل، مخطوط دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين السودان، دون تاريخ، ولا حصلت على ترقيم للصفحات.

المطلب الثاني:

منهج القاسمي في تفسيره:

اتبع القاسمي في تفسيره الطريقة المعروفة باسم (التفسير بالمأثور)[١] وهي أن يفسر القرآن بالقرآن وبسنة النبي ﷺ ثم بأقوال الصحابة ﷺ ثم بأقوال التابعين، وهذه الطريقة تُعَدُّ أعلى مراتب التفسير؛ لأنه من الأولى أن يُفسرَ القرآنُ بالقرآنِ، فالقرآن الكريم يُفسر بعضه بعضًا بحيث ما أُجمِلَ في مكان فُصِّلَ في مكان آخر، والنبي ﷺ مخاطبٌ ومأمورٌ بالبيان كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]؛ فالسنة النبوية تفسر القرآن الكريم وتقيد مطلقه وتخصص عامه وتبيِّن مجمله.. وبعض الأحكام الشرعية والفرائض تأتي الإشارة إليها في القرآن مجملة مثل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ونحو ذلك...، والصحابة الكرام هم الذين شهدوا نزول الوحي وسمعوا بيان النبي ﷺ لكثير من الآيات وعرفوا أسباب النزول، كما قال ابن مسعود ﷺ: "ما نزلت آية من كتاب الله إلَّا وأنا أعلم متى نزلت وفيم نزلت ..."[٣].

قال القاسمي: "ومذهبنا أن لا غنى عن الرجوع إلى تفسير الصحابةﷺ، لما ثبت من الثناء عليهم في الكتاب والسنة، ولأن القرآن نزل على لغتهم، فالغلط أبعد عنهم من

---

[١] هناك طريقتان للتفسير: الأولى: التفسير بالمأثور (الرواية): وهي أن يفسر القرآن بالقرآن وبسنة النبي ﷺ ثم بأقوال الصحابةﷺ ثم بأقوال التابعين، ومن المؤلفات في هذه الطريقة: (جامع البيان للطبري- معالم التنزيل للبغوي- المحرر الوجيز لابن عطية- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الدر المنثور للسيوطي)، الثانية: التفسير بالرأي (الدراية): أي بالاجتهاد، وهو نوعان: محمود، ومذموم، ومن المؤلفات في هذه الطريقة: (الكشاف للزمخشري- مفاتيح الغيب للرازي- البحر المحيط لأبي حيان- إرشاد العقل السليم لأبي السعود- روح المعاني للألوسي). يُنظر: سليمان الرومي "فهد بن عبد الرحمن": بحوث في أصول التفسير ومناهجه، صـ(٨١-٧٠)، الناشر/ مكتبة التوبة، ط/ الرابعة ١٤١٩هـ.

[٢] سورة النحل الآية (٤٤).

[٣] أخرجه البخاري رقم (٥٠٠٢)، ومسلم رقم (٢٤٦٣).

غيرهم، لا سيما تفسير حبر الأمة وبحرها عبد الله بن عباس ﷺ فمتى صح الإسناد إليه كان تفسيره من أصح التفاسير مُقَدَّمًا على كثير من الأئمة الجماهير"[١]٠

والتابعون جالسوا الصحابة وأخذوا عنهم تفسير القرآن، كما أن القاسمي يُورد كثيرًا أقوال المفسرين والعلماء في تفسيره ويُعلِّقُ عليها أحيانًا٠

كما يهتم بالناحية اللغوية والبلاغية والنحوية ويستشهد بالأشعار العربية وينقل عن علماء اللغة العربية ويذكر القراءات المتواترة وغير المتواترة ويَردُّ على القراءات الضعيفة والشاذة ويستشهد بنصوص أهل الكتاب من العهدين القديم والجديد ولا يرى بذلك بأسًا فيما وافق شرعَنَا أو سكت عنه شرعُنَا في غير أمور العقائد استدلالًا بقول النبي ﷺ: "وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ"[٢]، ويُكثر من النقل عن المفسرين من الفقهاء والمتكلمين ويختتم تفسير كثيرٍ من الآيات (بفوائد) و(لطائف) و(تنبيهات) ويعتمد مذهب السلف في أمور العقيدة ويرد على المخالفين لهم ويهتم بالمسائل العلمية خاصةً ما يتعلق بعلم الفلك والكواكب ويعدها من معجزات القرآن ويرى عدم التناقض بين الشريعة والمسائل العلمية، ويستخدم القواعد المنطقية لإثبات توحيد الله والرد على الملحدين، وينقل عن الشيخ محمد عبده ولا يصرح باسمه في كثير من الأحيان وإنما يكتفي بقوله: (قال حكيم مصر) (قال بعض الفضلاء) (قال العلامة) كما ينقل عن الشيعة الإمامية والزيدية والصوفية، ويتعرض للمسائل الفقهية ويهاجم التقليد وغير ذلك٠

---

[١] القاسمي: محاسن التأويل، (جـ٥/١٢١٧)٠

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٣٤٦١)٠

المطلب الثالث

مصادر تلقي العقيدة عند القاسمي:

اعتمد القاسمي في عرض مسائل العقيدة وتقريرها على مصادر رئيسة ثابتة، فمن هذه المصادر:

أولًا: القرآن الكريم:

هو اسمٌ لكلام الله تعالى، المُنَزَّلُ على عبده ورسوله: محمد ﷺ، وهو اسمٌ لكتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء غيره من سائر الكتب[١]، وهو أول الأدلة التي أنزلها الله تعالى وأعظمها في الدلالة على وجوده ووحدانيته وسماه الله تعالى الحقَّ فقال سبحانه: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾[٢]، وقال: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾[٣]، وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾[٤]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾[٥]، وقال تعالى في الاستدلال به على أصول هذا الدين وإبطال دعاوي المشركين والكافرين: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[٦]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٧].

---

[١] القرطبي "محمد بن أحمد بن أبي بكر": الجامع لأحكام القرآن، (جـ٢/٢٩٨)، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر/ دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/ لثانية (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م)- أبو عبيدة "معمر بن المثنى": مجاز القرآن، (جـ١/١)، تحقيق/ د. محمد فؤاد سركين، دار الفكر – الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م).

[٢] سورة الأنعام من الآية (٦٦).

[٣] سورة البقرة من الآية (٩١).

[٤] سورة يونس من الآية (٩٤).

[٥] سورة السجدة من الآية (٣).

[٦] سورة الأنبياء من الآية (١٨).

[٧] سورة الفرقان الآية (٣٣).

قال القاسمي: "أول معجز دعا به النبي ﷺ إلى نبوته وصدع فيه برسالته هو القرآن الكريم والذكر الحكيم، فقهرت شواهده من باين وعاند وحجت دلائله من ناكر وجاحد، وقد بين غير واحد من الأئمة سر كون القرآن أعظم آيات النبيين إعجازًا وأوضحها طريقة وامتيازًا ..."[١].

"فكل من بلغه هذا القرآنُ فقد أنذر به وقامت عليه حجةُ اللّه"[٢]، وكذلك "كان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يُقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدي ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم،... فكان القرآن هو الإمام الذي يُقتدى به، ولهذا لا يُوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفةٍ ...."[٣].

وعلى هذا سار أئمة السنة- رحمهم الله تعالى- بعدهم، ومن جملتهم العلامة القاسمي؛ حيث اعتمد على كتاب الله تعالى، وجعله المصدر الأساسي الذي يستمد منه معتقده، واستدلاله بهذا المصدر على وجوه متنوعة منها[٤]:

---

[١] القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (١٤٧).

[٢] ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر": مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره/ ابن الموصلي، صـ (٨٩)، تحقيق/ سيد إبراهيم، الناشر/ دار الحديث، القاهرة- مصر، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

[٣] ابن تيمية "تقي الدين أحمد بن عبد الحليم": مجموع الفتاوى، تحقيق/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (جـ١٣/٢٨-٢٩)، الناشر/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، دون رقم الطبعة، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

[٤] مستفاد من رسالة الدكتور فهد عامر العجمي: منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، (جـ١/٨٨).

١- **تفسير النص القرآني بالقرآن:**

لقد اعتمد القاسمي هذه الطريقة في تقرير مسائل العقيدة، وتَعَدُّ هذه من أحسن الطرق في معرفة مراد الله تعالى؛ لأنه استدلال ببعض كلامه على بعض، فمتى وُجد ذلك فهو الأولى في توجيه الآيات، وقد انتهجه القاسمي لتبيين المعنى وتوضيح وجه الاستدلال، ومن شواهد هذا المسلك عند القاسمي تأويله قول الله عز وجل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] قال: "تقرر في غير آية، أن المشركين كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو إهلاكهم، كما فعل يوم بدر، استهزاءً وتكذيبًا بالوعد فقيل لهم: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما توعدونه مما ذكر، والتعبير عنه بـ ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ للتفخيم والتهويل، وللإيذان بأن تحققه في نفسه وإتيانه، منوطٌ بحكمه النافذ وقضائه الغالب، وإتيانه عبارة عن دنوّه واقترابه، على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع، أو عن إتيان مباديه القريبة، على نهج إسناد حال الأسباب إلى المسببات، والآية كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[4]"[5].

وكذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[6]، بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى بَلى إِنَّهُ

---

(١) سورة النحل الآية (١).

(٢) سورة الأنبياء الآية (١).

(٣) سورة القمر الآية (١).

(٤) سورة العنكبوت الآية (٥٣).

(٥) محاسن التأويل (جـ١٠/٣٧٧٧).

(٦) سورة إبراهيم الآيتان (١٩-٢٠).

عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[2]"[3].

وكذلك ما ذكره عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[4]، فقد فسر الظلم بهذه الآية بما فيه سورة لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5]، فقد روى مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: "لما نزلت آية: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه- يعني أصحاب النبي ﷺ وأيّنا لم يظلم نفسه؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾"[6].

٢- قد يرد النص عامًا في موضع، ثم يرد ما يخصصه، متصلًا به في موضع آخر:

كما ذكر القاسمي عند قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[7]، فنفى عموم الخلة والشفاعة، ثم قال في آية أخرى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[8]، فاستثنى المتقين[9].

٣- وقد يرد النص مطلقًا ثم يذكر مقيّده إما متصلًا به، أو منفصلًا عنه في موضع آخر:

ومثاله ما ذكره العلّامة القاسمي بقوله: ".. روى مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود ﷺ لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه- يعني أصحاب النبي ﷺ -: (وأيّنا لم

---

(١) سورة الأحقاف الآية (٣٣).

(٢) سورة يس الآية (٨١).

(٣) محاسن التأويل (جـ١٠/٣٧٢١-٣٧٢٢).

(٤) سورة الأنعام الآية (٨٢).

(٥) سورة لقمان من الآية (١٣).

(٦) أخرجه مسلم، رقم (١٢٤). يُنظر: محاسن التأويل (جـ٦/٢٣٨٧-٢٣٨٨).

(٧) سورة البقرة من الآية (٢٥٤).

(٨) سورة الزخرف الآية (٦٧).

(٩) يُنظر: محاسن التأويل (جـ٣/٦٥٧)

يظلم نفسه؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)[1]، فالظلم في هذا الموضع يُراد به الشرك"[2].

من هنا يتبيّن لنا منهج القاسمي في اعتبار القرآن الكريم مصدرًا رئيسًا من مصادر التلقي.

---

[1] سبق تخريج الحديث، صـ(٧٧)، والآية رقم ١٣ من سورة لقمان.

[2] محاسن التاويل (جـ٦/٢٣٨٧-٢٣٨٨).

ثانيًا: السنةُ النبوية[١]:

وذلك لأن السنة هي الشارحة للقرآن الكريم، المقيدة لمطلقه، والمفصلة لمجمله، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾[٢]، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، وقال ﷺ: "أَلا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثْلَهُ مَعَهُ"[٤].

---

[١] **السنة لغةً:** تُطلق على عدة معان، أشهرها: السيرة والطريقة، حسنة كانت أو قبيحة، وتُطلق على البيان، فيقال سنَّ الأمر: أي بينه، وتطلق على السير، سنَّ الطريقة: أي سار فيها. يُنظر: ابن منظور "محمد بن مكرم بن على": لسان العرب (جـ١٣/٢٢٥)، الناشر/ دار صادر، بيروت، ط/ الثالثة (١٤١٤هـ)– الفيروزآبادى: القاموس المحيط، صـ (١٢٠٧).

واصطلاحًا: تُطلق على عدة معانٍ أيضًا، بحسب اختلاف أغراض مُستعمليها من أصوليِّين وفقهاء ومحدثين؛ فعند الأصوليين: هي ما نُقل عن النبيﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير. يُنظر: الآمدي "سيف الدين علي": الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق/ عبد الرازق العفيفي، (جـ١/٢٢٧)، الناشر/ دار الصميعي، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م)– الطوفي "نجم الدين سليمان بن عبد القوي": شرح مختصر الروضة، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٤٠٧هـ–١٩٨٧م).

والسنة عند الفقهاء: هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتّبعة في الدين من غير افتراضٍ ولا وجوب. يُنظر: الخطيب "محمد عجاج": السنة قبل التدوين، صـ (١٨)، أصل هذا الكتاب: مخطوط ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الناشر/ دار الفكر، بيروت – لبنان، ط/ الثالثة (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م)، وقد تُطلق عند الفقهاء أيضًا في مقابلة البدعة، فيُقال: فلان على السنة إذا عمل موافقًا لما كان عليه النبي ﷺ، ويُقال: فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك. المرجع السابق صـ (١٨)، أما السنة عند المحدثين: فهي كلُّ ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها. المرجع السابق صـ (١٨)– القاسمي: قواعد التحديث، صـ (٦٢–٦١).

[٢] سورة النساء من الآية (١٠٥).

[٣] سورة النحل من الآية (٤٤).

[٤] أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة رقم(٤٦٠٤)، وابن حبان في صحيحه، باب الاعتصام بالسنة (جـ١/١٨٩).

والسنة عند القاسمي: هي وحيٌّ منزلٌ من عند الله تعالى لا تجوز مخالفتها ولا ردها ولا التماس المخارج لتأويلها ولا تُعارض بالاحتمالات العقلية والخيالات النفسانية، كذلك يرى أن السنة تفسر ما في الكتاب وتبينه، ويُؤخذ ذلك من تأويله لآياتٍ كثيرة كقوله في تأويله لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ..﴾(١)، "أي القرآن والسنة"(٢).

وقد كان القاسمي يستشهد بالسنة كثيرًا لبيان معاني بعض الآيات، ومن شواهد ذلك ما ساقه عند تأويله لقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(٣) ذكر عددًا من الأحاديث لبيان المراد بذلك منها:

١- ما رواه الشيخان واللفظ لمسلم- عن عدّي بن حاتم ﷺ قال: "لما نزلت ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ عَمَدْتُ إِلَى عِقَالَين أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَقُومُ اللَّيْلَ، فَلَا أَتَبَيَّنُ الْأَبْيَضَ مِنَ الْأَسْوَدِ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، غَدَوْتُ عَلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَضَحِكَ، وَقَالَ: "إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا ذَاكَ سَوَادُ الليل وبياض النهار(٤).

٢- ومنها ما رواه مسلم عن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا يَغُرَّنَّكُمْ مِنْ سَحُورِكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ، وَلَا بَيَاضُ الْأُفُقِ الْمُسْتَطِيلُ هَكَذَا، حَتَّى يَسْتَطِيرَ هَكَذَا .. قَالَ: يَعْنِي مُعْتَرِضًا"(٥)، وفي لفظ آخر عنه: "لَا يَغُرَّنَّكُمْ نِدَاءُ بِلَالٍ، وَلَا هَذَا الْبَيَاضُ حَتَّى يَبْدُوَ الْفَجْرُ - أَوْ قَالَ - حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ"(٦). إلى آخر ما ذكره..(٧).

---

(١) سورة النساء من الآية (١١٣).

(٢) محاسن التأويل (جـ٥/١٥٤١).

(٣) سورة البقرة من الآية (١٨٧).

(٤) أخرجه البخاريّ في: التفسير، باب قوله: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ... إلخ، رقم(٤٥٠٩)، وأخرجه مسلم في: الصيام، حديث رقم(١٠٩٠).

(٥) صحيح مسلم في كتاب الصيام، رقم (١٠٩٤).

(٦) التخريج السابق نفسه.

(٧) يُنظر: محاسن التأويل (جـ٣/٤٥٦).

لذلك أصبحت السنة المطهرة الصحيحة لدى القاسمي منهجًا واضحًا في تقرير القضايا الاعتقادية، وقد اتخذ منها طُرقًا متعددةً في الاستدلال بالسنة النبوية منها[١]:

١- تفسير الآية بما صحَّ من الأحاديث:

فقد استدل القاسمي علي خطورة الشرك وأنه هو الظلم العظيم وأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما سواه بأحد عشر حديثًا[٢]؛ وذلك عند تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٣]، وكذلك عند تأويله لقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[٤]، فقال: "وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ؟ وزاد في رواية: ومَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ[٥]"[٦].

٢- الجمع بين الآية والحديث والتوفيق بينهما:

اعتمد القاسمي في بعض الأحيان على الجمع بين الآية والحديث دفعًا للتعارض الذي قد يَبدو من ظاهر النص، وهذا التوفيق بينهما يُعَدُّ نوعًا من أنواع الترجيح بين النصوص عند التعارض؛ والتفصيل في بابه وموضوعه في علم أصول الفقه، والقاسمي قد استخدم هذه الطريقة في تقرير بعض المسائل الاعتقادية، فمثلًا: جمع بين إثبات رؤية الله تعالى ونفي إدراكه؛ فقد ذكر عند قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

---

[١] مستفاد من رسالة الدكتور فهد عامر العجمي: منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، (جـ١/٩٤).

[٢] يُنظر: محاسن التأويل (جـ٤/١٢٩٠- ١٢٩٣).

[٣] سورة النساء الآية (٤٨).

[٤] سورة الأنعام من الآية (٩٤).

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق رقم (٤٢٣).

[٦] محاسن التأويل (جـ٦/٢٤١٩).

الْأَبْصَارَ..﴾[1]، قال: "كون المنفيّ من الإدراك في هذه الآية هو الإدراك الدنيويّ خاصة، لا يحتاج إلى حجة ولا برهان، ومن فهم من بعض الفرق، كالمعتزلة[2]، من هذه الآية أن المنفيّ هو لإدراك في النشأتين، فقد نادى على نفسه بالجهل بما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ المتواترة، أما الكتاب فمثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾[3]، وأما السنة: ما رواه جرير بن عبد الله ﷺ قال: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: "أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ، أَوْ لَا تُضَارُّونَ"، شَكَّ إِسْمَاعِيلُ، "فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا"، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[4])[5]"[6].

٣- نقد وتضعيف الروايات الإسرائيلية الموضوعة:

نَقْدُ الأحاديث والآثار التي تخالف الشريعة الإسلامية لا سيما في المسائل الاعتقادية من أهم ما يتميز به العلماء، والعلَّامة القاسمي من الأمور التي يمتاز تفسيره بها اعتماده على ذكر أحاديث النبي ﷺ بصورة واضحةٍ وملحوظة، وذلك لمن يقرأ في هذا التفسير قراءة عابرة، وأن تخلو صفحة من ذكر حديث فذاك نادرٌ وقليل، وهو إذ يذكر الأحاديث، يعتمد على الصحيح منها، مما ورد في الصحيحين، وكتب السنن الأخرى، وترجع

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١٠٣).

(٢) **المعتزلة:** فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، سلكت منهجًا عقليًا في بحث العقائد الإسلامية، ورأسها واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وجملة أصولهم خمسة هي: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يُنظر: أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين (جـ١/٢٣٥)- الشهرستاني: الملل والنحل (جـ١/٤٣).

(٣) سورة القيامة الآية (٢٣-٢٢).

(٤) سورة طه من الآية (١٣٠).

(٥) البخاري، رقم (٥٥٤)، ومسلم، رقم (٦٣٣).

(٦) محاسن التأويل (جـ٦/٢٤٤٧-٢٤٤٨).

هذه الميزة التي امتاز بها القاسمي إلى معرفته بالحديث، وطول باعه في علومه، فالقاسمي إن أردنا تحديد تخصصه أو العلم الذي برع فيه فنقول هو علم الحديث، وله مؤلفات فيه[١]، وقد ذكر في تفسيره عند قول الله – سبحانه وتعالى-: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢]، قال: ".. وقد ذكر المفسرون هاهنا أحاديث وآثارًا تفهم أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، ولا حاجة بنا إلى روايتها؛ لأنها واهية الإسناد معلولة، كما بينه الحافظ ابن كثير في (تفسيره)، وتقبّل ثلة من السلف لها وتلقيها- لا يجدي في صحتها شيئًا، إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مسلمة أهل الكتاب، كما برهن عليه ابن كثير، وتهويل بعضهم بأنها مقتبسة من مشكاة النبوة؛ إذ أخرجها فلان وفلان، من تنميق الألفاظ لتمزيق المعاني، فإن المشكاة النبوية أجلُّ من أن يقتبس منها إلا كل ما عرفت جودته"[٣].

وبهذا يتبين أن العلَّامة القاسمي عنده ملكة قوية في تخريج الأحاديث والحكم عليها.

٤- موقف القاسمي في مسألة الاحتجاج بخبر الآحاد:

السنةُ تنقسم باعتبار طرق وصولها إلينا إلى متواتر وآحاد، فالمتواتر هو: "ما نقله من يحصل العلمُ بصدقهم ضرورةً، بأن يكونوا جمعًا لايُمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، من أوله إلى آخره؛ ولذا كان مفيدًا للعلم الضروري وهو الذي يُضْطَرُّ إليه الإنسان، بحيث لا يمكنه دفعُهُ؛ ويجب العمل به من غير بحث عن رجاله، ولا يُعْتَبَرُ فيه عَدَدٌ معيَّن في

---

[١] مثل قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، وله الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين في علوم الحديث وغيرهما.

[٢] سورة الأعراف الآية (١٩٠).

[٣] محاسن التأويل (جـ٧/٢٩١٢).

الأصح..، وأما خبر الواحد، فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر، سواء كان الراوي له واحدًا أو أكثر"(١).

والآحاد نوعان: أ- مقبول: وهو ما اتصل سنده، بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذٍ ولا علة. ب- مردود: وهو ما لم يتصل سنده كذلك(٢).

والكلام في هذه المسألة مقصور على المقبول من أخبار الآحاد، أما المردود فإنه لا يُحتج به، ولا يُفيد العلم ولا العمل، ولقد كانت مسألة الاحتجاج بخبر الواحد من أهم المسائل التي دار حولها خلافٌ كبيرٌ بين المسلمين من حيثُ الأخذ به أو عدم الأخذ به، ومن حيث إيجابه للعلم أو العمل وحده، عند من يأخذ به، فمن هنا اشتغل العلماء قديمًا وحديثًا بهذه المسألة، وجعلوا لها حيّزًا كبيرًا في مؤلفاتهم، بل إن بعضهم ألف في ذلك مؤلفاتٍ مستقلةً(٣).

وقبل ذكر رأي القاسمي في هذه المسألة، لابد أن نُبيِّنَ أن أهل العلم نقلوا الإجماع من الصحابة والتابعين وجمهور الأمة، على العمل بخبر الواحد، حكى الإجماع

---

(١) القاسمي: قواعد التحديث، صـ (١٤٦).

(٢) للمزيد يُنظر: ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي": نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق/ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، صـ (١٨)، الناشر/ مطبعة سفير بالرياض، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ)- ابن النجار الفتوحي "تقي الدين محمد": شرح الكوكب المنير، تحقيق/ د. محمد الزحيلي، ونزيه حماد، الناشر/ مكتبة العبيكان، ط/ الثانية (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، (جـ٢/٣٢٣-٣٢٤)- أبو زهو "محمد محمد": الحديث والمحدثون، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، صـ(٢٤)، الناشر/ دار الفكر العربي، ط/ الأولى ١٣٧٨هـ- الطحان "محمود بن أحمد": تيسير مصطلح الحديث، صـ (١٨)، الناشر/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط/ العاشرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٣) من تلك المؤلفات: عامر بن حسن صبري: حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، الناشر/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- فرحانة بنت علي شويتة: حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، الناشر/ مجمع الملك فهد- محمد بن جميل مبارك: حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، الناشر/ مجمع الملك فهد- سليم الهلالي: الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد، الناشر/ دار الصحابة، بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٨هـ، وغير ذلك.

ابن عبد البر[١] في التمهيد فقال: "وأجمع أهل العلم من أهل الفقة والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العلم به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا أجمع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج، وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافًا"[٢]، كما حكى الشافعي[٣] إجماع الفقهاء على إثبات خبر الواحد، والأخذ به[٤]، وكذا حكاه الخطيب البغدادي[٥][٦].

---

[١] **ابن عبد البر:** هو أبو عمر يوسف بن عمر بن عبد البر القرطبي، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، ولد عام ٣٦٨هـ، وتوفي عام ٤٦٣هـ، كان موفقًا في التأليف مُعانًا عليه ونفع الله بتأليفه، من مؤلفاته: (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- الكافي في الفقه والاستذكار- وغيرها)٠ يُنظر: ابن خلكان "أحمد بن محمد بن إبراهيم": وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، (جـ٦٦/٧)، الناشر/ دار صادر - بيروت، ط/ الأولى (١٩٩٤م)٠

[٢] ابن عبد البر "يوسف بن عبد الله": التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق/ مصطفى العلوي, محمد البكري، (جـ٢/١)، الناشر/ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، (١٣٨٧هـ)، بدون رقم الطبعة٠

[٣] **الشافعي:** هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب، يصل نسبه إلى هاشم بن عبد المطلب، الإمام صاحب المذهب المشهور، فقيه الملة، مؤلفاته: الرسالة في أصول الفقه والحديث، والأم في الفقه وغيرهما، (ت٢٠٤هـ), يُنظر: ابن أبي حاتم "عبد الرحمن بن محمد": الجرح والتعديل، (جـ٢٠١/٧)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي، ط/ الأولى (١٢٧١هـ- ١٩٥٢م)- الذهبي "شمس الدين محمد بن أحمد": سير أعلام النبلاء، (جـ٥/١٠)، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، الناشر/ مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/ الثالثة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)٠

[٤] الشافعي "محمد بن إدريس": الرسالة، صـ (٤٥٨-٤٥٧)، تحقيق/ أحمد شاكر، الناشر/ مكتبة الحلبي، مصر، ط/ الأولى (١٣٥٨هـ/١٩٤٠م)٠

[٥] **الخطيب البغدادي:** هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الإمام العلامة الناقد، كان من كبار الشافعية، وله تصانيفه الكثيرة منها: الكفاية في علم الرواية، (ت: ٤٦٣هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء (جـ٢٧٠/١٨)- ابن كثير "عماد الدين": البداية والنهاية، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، (جـ٢٧/١٦-٢٨)، الناشر/ دار هجر، ط/ الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)٠=

وما يهمنا هنا هو بيان أن أخبار الآحاد يُعمل بها حتى في أصول الدين وأمور العقائد، هذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة في الجملة، فلا فرق عندهم بين المعاملات أو العبادات أو الاعتقادات فكلها يُقبل فيها خبر الواحد ويُؤخذ به، قال ابن تيمية مبينًا الأخذ بأخبار الآحاد في أمور العقيدة: "مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد، المتلقاة بالقبول، تصلح لإثبات أصول الدين"(١)، وأكد ذلك ابن القيم وحكى الاتفاق على ذلك، فقال: "ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاتهِ"(٢).

وقد كان موقف القاسمي في هذه المسألة فيه اضطراب، ففي بعض المواطن من كتبه يُصرح بحجية خبر الآحاد، وفي مواطن أخرى يَردُّ بعض الأخبار الصحيحة بدعوى أنها من أخبار الآحاد التي لا يُحتج بها، خاصة في أبواب الاعتقاد، فمن المواطن التي صرح بحجية خبر الآحاد في كتابه (قواعد التحديث) حيث قال: "بيان أن خبر الواحد الثقة حجة يلزم العمل به، ثم أوردِ كلام العلماء، منهم الشافعيّ في الاحتجاج به، ثم قال: فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين، فَمَنْ بعدهم من المحدّثين والفقهاء وأصحاب

=(٦) يُنظر: الخطيب البغدادي "أبو بكر أحمد": الكفاية في معرفة أصول الرواية، تحقيق/ إبراهيم مصطفى آل بحبح الدمياطي، الناشر/ دار الهدى- ميت غمر، (جـ١/١٢٨-١٢٩)، ط/ الأولى (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م).

(١) آل تيمية (مجد الدين عبد السلام بن تيمية، عبد الحليم بن تيمية، أحمد بن تيمية): المسودة في أصول الفقه، تحقيق د/ أحمد بن إبراهيم بن عباس الذروي، (جـ١/٤٩٦)، الناشر/ دار الفضيلة، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

(٢) ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، (جـ٢/٥٠٩)- ابن النجار: شرح الكوكب المنير، (جـ٢/٣٥٢).

الأصول، أن خبر الواحد الثقة حجةٌ من حجج الشرع يلزم العمل بها، ويُفيد الظن، ولا يفيد العلم؛ وأن وجوب العمل به عَرَفناه بالشرع لا بالعقل .."[1].

وأما المواطن التى صرح فيها القاسمي بعدم الاحتجاج بخبر الآحاد فهي[2]:

١- عند تأويله لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[3]، تكلم عن معنى الدابة، ثم قال: "وأمثل مأثورها ما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: (إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا[4]، ثم قال: "ومعلوم أن أمور الآخرة من عالم الغيب، ولا يؤخذ فيها إلا بما كان قطعيّ الثبوت"[5].

٢- عند تفسيره لسورة الفلق، تحدث عن سحر النبي ﷺ وقرر أن ما ورد في سحر النبي ﷺ يتنافى مع العصمة التي جعلها الله له في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[6]، وقرر أن الحديث الذي ورد فيه سحر النبي ﷺ خبر آحاد لا يخلو من مناقشة، فقال: "ولاغرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه، وإن كان مخرّجا في الصحاح، وذلك لأنه ليس كل مخرّج فيها سالمًا من النقد، سندًا أو معنى كما يعرفه الراسخون، على أن المناقشة في خبر الآحاد معروفة من عهد الصحابة"[7].

---

[1] القاسمي: قواعد التحديث، صـ (١٤٨-١٤٧).

[2] مستفاد من رسالة الدكتور فهد عامر العجمي: منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، (جـ١/١٠٥).

[3] سورة النمل الآية (٨٢).

[4] أخرجه مسلم في: الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم (١١٨).

[5] محاسن التأويل (جـ١٣/٤٦٨٧).

[6] سورة المائدة من الآية (٦٧).

[7] محاسن التأويل (جـ١٧/٦٣٠٩).

فمن هنا يتبين لنا تناقض القاسمي في مسألة الأخذ بخبر الآحاد في باب الاعتقاد، فكما أسلفنا من نقله عن الأئمة في كتابه (قواعد التحديث) بوجوب الأخذ بخبر الآحاد ووجوب قبوله والاحتجاج به، وبين موقفه في رده لحديث الدابة، وسحر النبي ﷺ، فهذا يعدُّ تناقضًا بيِّنًا في هذه المسألة.

ثالثًا: الإجماع[1]:

تظهر مكانة الإجماع بين الأدلة الشرعية من خلال ما يلي:

١-أنه أحد الأدلة الشرعية على الاحتجاج بها في الجملة.

---

[1] **الإجماع لغةً يدور حول معنيين:** الأول: العزم على الشئ، ولعل مناسبة هذا للمعنى الاصطلاحي؛ أن العلماء عندما اجتمعوا على قول واحد في المسألة، كأنهم عزموا وصمموا على هذا القول في المسالة، مما جعلهم يقولون بقول واحد غير مختلفين فيه. الثاني: الاتفاق والاجتماع، وهذا المعنى هو الأقرب ليتناسب مع المعنى الاصطلاحي للإجماع، فإذا اتفق العلماء على القول برأي في المسألة واجتمعوا عليه؛ فإنهم قد أجمعوا على القول بهذا الرأي. يُنظر: زين الدين الرازي "محمد بن أبي بكر": مختار الصحاح، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، صـ (١١٠)، الناشر/ المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط/ الخامسة، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)- الفيروزآبادى: القاموس المحيط، صـ(٧١٠).

وأما تعريف الإجماع اصطلاحًا: فقد اختلفت تعريفاتُ العلماء في ذلك، ولعل التعريف المختار هو: اتفاق مجتهدي العصر من أمة محمد ﷺ بعد وفاته على أمرٍ من أمور الدين، وهذا التعريف هو أسلم التعريفات الأصولية من الاعتراضات، وهو مأخوذ من تعريف الإمام ابن السبكي-رحمه الله- في (جمع الجوامع) إلا أنه أضيف إليه تقييد الأمر المجمع عليه بالدين، وبهذا يكون سالمًا من الاعتراضات الواردة عليه، كذلك يكون التعريف شاملًا لنوعي الإجماع (الصريح أو اللفظي، والسكوتي). يُنظر: السُبكي "تاج الدين": جمع الجوامع في أصول الفقه، تعليق/ عبد المنعم خليل، صـ (٧٦)، الناشر/ دار الكتب العلمية، ط/ الثانية (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)- العطار "حسن بن محمد": حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، (جـ٢/٢٠٩)، الناشر/ دار الكتب العلمية، بدون رقم طبعة وتاريخ- مجموعة من الباحثين: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، (جـ١/٢٤-٢٦)، الناشر/ دار الفضيلة – الرياض، ط/ الأولى (١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م).

٢- أنه مقدَّمٌ على الكتاب والسنة عند التعارض نظرًا لقوته المستمدة من كونه يَعتمدُ على أدلة شرعية معتبرة - وإن خفيت علينا- في بعض الأحيان لكن لا بد أن يتأكد من ثبوته أولًا، إذ ما أكثر ما يُدَّعى الإجماع في مسائل لا يثبت فيها.

٣- أن الإجماع دليلٌ على وجود دليل شرعي يعتمد عليه وإن خفي علينا، لأن الإجماع لا بد له من مستند عند الجمهور، وهذا المستند إن كان من كتاب أو سنة فهو جائز باتفاق، وإن كان من قياس ونحوه فهو جائز أيضًا عند كثير من العلماء.

٤-أن الإجماع حجةٌ قاطعةٌ لا يدخله النسخ.

٥-أن الإجماع يشترك مع الكتاب والسنة في تكفير منكر القطعي منها.

وبهذه الأمور كلِّها تظهر مكانة الإجماع بين الأدلة الشرعية، وأنه يتبوأ منهما مكانًا رفيعًا، وأن له ثقله ووزنه إذا ذُكِرَ، مما يحث على مزيد من الاهتمام به بما يليق بمكانته[١]، ويعدُّ الإجماع هو ثالث مصدر للتشريع الإسلامي، وعند أهل السنة دليل مقطوع به، يُستدل به على مسائل العقيدة، لا سيما إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين-؛ ولهذا فإن القاسمي قد اعتمد عليه وعَدَّهُ من مصادر التشريع، وذلك عندما قرر حجيته من خلال تأويله لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٢]، فقال: "استُدلَ بالآية على أن الإجماع حجة؛ لأن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة، والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها، فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله، فإجماع الأمة حق، لا تجتمع الأمة- والحمد لله- على ضلالة"[٣].

---

[١] البُوصي "عبد الله بن مبارك": موسوعة الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية، (جـ١/٩-١٠)، الناشر/ دار البيان الحديثة- الطائف، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

[٢] سورة البقرة من الآية (١٤٣).

[٣] محاسن التأويل (جـ٢/٢٨٦).

كذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[١]، وذلك بما نقل عن ابن كثير مقررًا له: ".. وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ؛ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها، والذي عوّل عليه الشافعيّ- رحمه الله- في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته، هذه الآية الكريمة، بعد التروّي والفكر الطويل، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها"[٢]، وقال القاسمي في موضع آخر: "وقد أجمع السلف على أنّ الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص، ثم إنه إذا أطلق دخلت فيه الأعمال"[٣].

من هذه النقول يظهر لنا أن القاسمي أخذ بحجية الإجماع وأنه من مصادر التشريع الإسلامي، موافقًا بهذا منهج ابن تيمية وغيره من السلف.

رابعًا: أقوال السلف[٤]**:**

---

[١] سورة النساء الآية (١١٥).

[٢] محاسن التأويل (جـ٥/١٥٤٦).

[٣] المرجع السابق (جـ٢/٨١).

[٤] **تعريف السلف لغةً:** ذكر ابن منظور أن للسلف معنيين: **أحدهما:** كل شيءٍ قدمه العبد من عمل صالح، أو ولدٍ صالح. **والثاني:** الذي يتقدم الإنسان من آبائه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السن. يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، (جـ٩/١٥٩)، وقال ابن الأثير: (سَلَفُ الْإِنْسَانِ: مَن تقَدمه بالمَوت مِنْ آبائهِ وَذَوِى قَرابته، وَلهذا سُمِّى الصدر الْأَوَّلُ من التَّابعين السَّلَف الصالِحَ). يُنظر: ابن الأثير "مجد الدين أبو السعادات": النهاية في غريب الحديث والأثر، (جـ٢/٣٩٠)، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، الناشر/ المكتبة العلمية، بيروت، ط/ الأولى (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، ويشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾. سورة الزخرف من الآية (٥٦). قال الإمام البغوي في تفسيره لهذه الآية: "وَالسَّلَفُ: من تَقَدَّم من الآباء، فجعلناهم مُتقدمين ليتعظَ بهم الآخرون". يُنظر: البغوي "الحسين بن مسعود": معالم التنزيل في تفسير القرآن، (جـ٧/٢١٨)، تحقيق/ محمد عبد الله النمر، =

لقد كان القاسمي من العلماء الذين اهتموا بأقوال السلف في تقرير مسائلهم الاعتقادية، فأقوال السلف عنده من مصادر التلقي، فعلى سبيل المثال[١]:

=وغيره، الناشر/ دار طيبة، ط/ الرابعة (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م). مما تقدم نستخلص أن معنى السلف يدل: على التقدم والسبق سواء كان ذلك بتقدم زمني كتقدم الآباء وذوي القرابة وغيرهم على من يأتي من بعدهم من الأبناء وسائر الأقارب، ولذا سُمِّي الصدر الأول بالسلف الصالح لتقدمهم في الزمن على من جاء من بعدهم، كما يطلق السلف أيضًا: على ما يقدمه العبد من العمل الصالح٠

والسلف اصطلاحًا: يدور حول مفهومين: **أحدهما:** السفلية الزمنية، **والثانية:** السلفية المنهجية، فالبنسبة للسلفية الزمنية؛ قد حصل خلاف بين العلماء في تحديدها: منهم من قال: إن المراد بالسلف هم الصحابة فقط، ومنهم من قال: الصحابة والتابعون، ومنهم من قال: هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين، وهذا الأخير هو قول جمهور أهل العلم. يُنظر: ابن تيمية "تقي الدين": درء تعارض العقل والنقل، (جـ٧/١٣٤)، تحقيق/ الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/ الثانية (١٤١١هـ- ١٩٩١م)، بينما يري الدكتور محمد السيد الجليند أن تحديدَ السلف بالقرون الثلاثة هو الحاسم للموقف والخلاف فيقول: "... وحسمًا للموقف أرى ألا نتخطى القرون الثلاثة خاصةً وأن تراثنا الإسلامي قد تعرض لهزات عنيفة ابتداءً من القرن الثالث الهجري، وعبثت به الأهواء...). يُنظر: الجليند "أ.د/ محمد السيد": الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، صـ (٥٢)، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، ط/ الخامسة (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م)٠

<u>أما السلفية المنهجية</u>: فإن المقصود بها المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة المفضلة من أتباع الكتاب والسنة، وفهمهما الصحيح النقي غير المشوب بشائبة البدع والهوى، وكل من اقتدى بهم، وسار على دربهم فهو على منهجهم ويمكن أن يُقال له: (سلفي) وأن يقول: أنا على مذهب السلف الصالح، أو يقول: هذا الذي أقول به قال به السلف الصالح. للمزيد ينظر: علي أمير "جابر إدريس": منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة، (جـ١/٣٥٠٤٠)، الناشر/ أضواء السلف، ط/ الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)٠

[١] مستفاد من رسالة الدكتور فهد عامر العجمي: منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، (جـ١/١١٣)٠

١-استدلاله بأقوال السلف على إثبات صفة العلو لله تعالى:

قال: "روى البيهقي[١] في كتاب (الأسماء والصفات)[٢] بإسناد صحيح عن الأوزاعيّ[٣]، قال: (كنا وَالتَّابعون متوافرون نقولُ: إِنَّ اللَّهَ تعالى ذِكْرُهُ فوق عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بما وردت السُّنَّةُ به من صِفَاتِهِ جَلَّ وعلا، فقد حكى الأوزاعيّ- وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم: مالك[٤] إمام أهل الحجاز، والأوزاعيّ إمام أهل الشام، والليث[٥] إمام أهل مصر، والثوريّ[٦] إمام أهل العراق- حكى شهرة هذا القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله فوق العرش، وبصفاته السمعية، وإنما قال الأوزاعيّ هذا بعد ظهور

---

[١] **البيهقي:** هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة التي منها: الأسماء والصفات، والسنن وغيرهما كثير، (ت:٤٥٨هـ). يُنظر: الذهبي "شمس الدين محمد": العبر في خبر من غبر، (جـ٢/٣٠٨)، تحقيق/ محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)- سير أعلام النبلاء، (جـ ١٨/١٦٣)٠

[٢] أبو بكر البيهقي " أحمد بن الحسين": الأسماء والصفات، (جـ٢/٣٠٤)، تحقيق/ عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر/ مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)٠

[٣] **الإمام الأوزاعي:** هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، الفقيه، ثقة جليل، (ت:١٥٧هـ). يُنظر: ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي": تقريب التهذيب، صـ (٤٩٣)، تحقيق/ محمد عوامة، الناشر/ دار الرشيد – سوريا، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م)- سير أعلام النبلاء، (جـ٧/١٠٧)٠

[٤] **الإمام مالك:** هو مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، كتب الموطأ، ولد عام ٩٣هـ وتوفي عام ١٧٩هـ. يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ٨/٤٨)- تهذيب التهذيب، (جـ١٠/٥-١٩)٠

[٥] **الليث:** هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث، المصري، ثقةً ثبت، (ت:١٧٥هـ). يُنظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، صـ (١٣٨)، سير أعلام النبلاء، (جـ٦/١٣٦)٠

[٦] **الثوريّ:** هو سفيان بن سعد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقةً حافظ فقيه عابد، (ت١٦١هـ). يُنظر: تقريب التهذيب، صـ (٣١١)، سير أعلام النبلاء، (جـ٧/٢٢٩)٠

مذهب جهم[١] المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف هذا"[٢].

٢-استشهاده بأقوال السلف على إثبات صفة الاستواء لله:

وذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]، قال: "قال أبو العالية الرياحي[٤]: استوى إلى السماء أي: ارتفع، نقله عنه البخاريّ[٥] في صحيحه[٦].

---

[١] **جهم:** هو جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولاهم، الكاتب المتكلم، رأس الضلالة، ورأس الجهمية، كان يُنكر الصفات ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها وإن الإيمان عقد القلب وإن تلفظ بالكفر. يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ٦/٢٦).

[٢] محاسن التاويل (جـ١/٣٤٢).

[٣] سورة البقرة الآية (٢٩).

[٤] **أبو العالية:** هو رفيع بن مهران، أبو العالية، ثقةً كثير الإرسال، (ت: ١٩٠هـ). يُنظر: التقريب لابن حجر، صـ (٢٥٢)، سير أعلام النبلاء، (جـ٤/٢٠٧).

[٥] **الإمام البخاري:** هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، له مصنفات كثيرة منها: التاريخ الكبير، والأدب المفرد وغيرهما، (ت: ٢٥٦هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ١٢/٣٩١)- ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي": تهذيب التهذيب، (جـ٥/٣٣)، الناشر/ مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط/ الأولى (١٣٢٦هـ).

[٦] البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، رقم(٤٠٣).

كما رواه محمد بن جرير الطبريّ(١) في تفسيره(٢) عن الربيع بن أنس(٣)، وقال البغويّ(٤): قال ابن عباس، وأكثر المفسّرين: ارتفع إلى السماء"(٥).

كما أن القاسمي أكثر من النقل عن ابن تيمية خاصةً في مسائل العقيدة، فالمتتبع لمحاسن التأويل يجد أن القاسمي لا يمرُّ على آية لها تعلق بمسائل العقيدة إلا وينقل فيها عن ابن تيمية.

ظهر لنا من هذه النقول أن القاسمي أخذ بأقوال السلف واعتدَّ بها في تقرير العقيدة، وهو بهذا يقرر منهج ابن تيمية وابن القيم.

---

(١) **الإمام الطبري:** هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، الإمام المفسر، له مصنفات منها: جامع البيان في تأويل آي القرآن، تاريخ الأمم والملوك وغيرهما، (ت: ٣١٠هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ١٤/٢٦٧)، ابن العماد الحنبلي "عبد الحي بن أحمد": شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (جـ١/٢٩-٣١)، تحقيق/ محمود الأرناؤوط، الناشر/ دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

(٢) الطبري "ابن جرير": جامع البيان في تأويل آي القرآن، (جـ١/٤٥٦)، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

(٣) **الرَّبِيع بن أنس:** هو الربيع بن أنس البكري، البصري، صدوق له أوهام، (ت١٤٠هـ)، يُنظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، صـ (٢٤٣).

(٤) **الإمام البغوي:** هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، الشافعي، من مؤلفاته: معالم التنزيل، شرح السنة وغيرهما، (ت: ٥١٦هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء (جـ١٩/٤٣٩)- ابن العماد: شذرات الذهب، (جـ٤/٤٨).

(٥) محاسن التأويل (جـ٢/٩٠-٩١).

خامسًا: العقل[1]**.**

يقول ابن تيمية: "العقلُ شرطٌ في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلمُ والعَمل، ولكنه ليس مستقلاً بذلك، لكونه غريزة في النفس، وقوة فيها، فهو بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يُبصر الأمور التي يَعجزُ وحده عن دَرْكها، وإن عُزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبةٌ، ووجدٌ، وذوقٌ كما يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأحوال المخالفة للعقل باطلة"[2].

والإمام القاسمي قد اهتم بالعقل وجعله من مصادر التلقي، بل جعله في المرتبة الأولى من مراتب إدراك الحقائق بل قدّم ما يُدركه العقل على ما يُدركه الحس وجعله أقوى من الإدراكات الحسية؛ فقال: "اتفق الحكماء على أن الإنسان إنما يدرك حقائق الأمور بطريقتين: أحدهما: ما يدركه بالحواس الخمس، ويشاركه في إدراكها البهائم والحيوانات كلها،

---

[1] **تعريف العقل لغةً:** جميع تصاريف كلمة (عقل) في مدلولها اللغوي تدل على: (الإمساك، والمنع، والحبس). يُنظر: ابن فارس "أحمد": معجم مقاييس اللغة، (جـ٤/٦٩)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، الناشر/ دار الفكر، ط/ الأولى (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)- لسان العرب، (جـ١١/٤٥٨-٤٦٠)- الفيروزآبادى: القاموس المحيط، صـ (١٠٣٤-١٠٣٣)- ابن تيمية "تقي الدين": بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، صـ (٢٥١-٢٤٩)، تحقيق/ موسى الدويش، الناشر/ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط/ الثالثة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

تعريف العقل اصطلاحًا: هو القوة الغريزية التي جعلها الله تعالى في الإنسان يُدرك بها العلوم.يُنظر: ابن تيمية "تقي الدين": الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، صـ (٢٠٩)، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، الناشر/ مكتبة دار البيان، دمشق، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، بدون رقم الطبعة- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، (جـ١/٨٩).

[2] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٣/٣٣٨-٣٣٩).

والآخر: ما يدركه بالعقل، وهو ما يختص به الإنسان ويتميز به عن البهائم ويُفضل به عليها، فمن ارتاض بما يفتح عيون عقله وأدمن النظر إلى المعقولات حتى ألفها تبين له شرف المعقولات، وفضلها على المحسوسات، وظهر له ظهورًا بيِّنًا أن المحسوس عند العقل بمنزلة الشيء المموه عند الشيء المحقق، فأفضى به العقل إلى ما أفضى بغيره من أهل الحكمة، ووقف به حيث وقفوا، ولذا كان تعويل القرآن الكريم في الدعوة إلى الاعتراف بوجود الله ووحدته، إنما هو على تنبيه العقل...، ثم قال: "وقد برهن علماء الحكمة على أن مدركاتِ العقل أشرف من مدركات الحس وأن الإدراكات العقلية أقوى من الإدراكات الحسية...."[1]، وبيّن أن العقل لا يمكنه إدراك كل شيء بل هناك أمورٌ يعجز عن إدراكها ومعرفتها، فقال: "كل من تعرض لمعرفة الذات العلية بعقله، فقد تعرض لمن يعجز عنه، ولا يمكنه بلوغ الأرب منه"[2].

وقد أشار أيضًا إلى مطابقة العقل للشرع وأن العلم والدين أليفان متحابان ولا يمكن أن يسلب أحدهما الآخر؛ وذلك عندما نقل عن ابن تيمية قوله: "والعقل الصريح دائما موافق للرسول ﷺ لا يخالفه قط، فإن الميزان مع الكتاب، واللّه أنزل الكتاب بالحق والميزان، لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به، فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا فيه، لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه، فَالرُّسُلُ – صلوات اللّه وسلامه عليهم– تخبر بمحارات العقول لا تخبر بمحالات العقول"[3].

والقاسمي نقل كلام ابن تيمية مقرًّا له ثم عقَّب بعده: "ولذا اتفق العلماء على أنه إذا تعارض العقل والنقل، أُوِّلَ النقل بالعقل إذ لا يمكن الحكم بثبوت مقتضي كل منهما لما يلزم منه اجتماع النقيضين، ولا بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتفاع النقيضين.."[4].

---

[1] القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (١٦-١٥).

[2] المرجع السابق صـ (٧٨).

[3] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ١٧/٤٤٤).

[4] القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (١٢٩-١٢٨).

وقال أيضًا: "وبالجملة، فالعلم والدين أليفان متحابان يتفرعان من أصل واحد ولذلك لا يمكن أن يسلب أحدهما ما يوجبه الآخر"[١].

وبهذا يتبين قيمة العقل عند القاسمي وأنه من مصادر التلقي عنده، ولكن لا يستغنى بالعقل عن غيره بل يحتاج إلى تنبيه الشرع وإرشاده إلى الأدلة؛ لأن الاعتماد على محض العقل سبيل التفرق والتنازع والضلال[٢].

هذه تُعدُّ أهم المصادر والأصول التى اعتمد عليها القاسمي في بيان منهجه العقدي في تفسيره، وهو بهذا لم يخرج عمّا قرره السلف، واعتمدوا عليه في منهجهم الاعتقادي.

---

[١] القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (١٣٠).

[٢] من أراد المزيد في هذه المسألة فليراجع كتاب (ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل)، فقد بسط فيها الكلام أفضل بسط.

الفصل الثاني:

توحيد الربوبية والألوهية في تفسير محاسن التأويل

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التوحيد، وبيان أقسامه،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم التوحيد.

المطلب الثاني: أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: توحيد الربوبية،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: أدلة معرفة الخالق وإثبات وحدانيته.

المبحث الثالث: توحيد الألوهية،

ويشتمل على أربعةِ مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الألوهية.

المطلب الثاني: تعريف العبادة وشروطها.

المطلب الثالث: من أنواع العبادة.

المطلب الرابع: المسائل التي تقدح في التوحيد.

المبحث الأول:

تعريف التوحيد، وبيان أقسامه،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم التوحيد.

المطلب الثاني: أقسام التوحيد.

المطلب الأول:

مفهوم التوحيد

أولًا: تعريف التوحيد لغةً:

هو جعل الشيء واحدًا، والحكم عليه بأنه واحد، ونسبته إلى الانفرادية والوحدانية ونفي الشركاء عنه٠

وفيما يلي كلام علماء اللغة:

١- يُقال: وحده، وأحده، كما يُقال: ثناه وثلثه[١]٠

٢- وحده توحيدًا، جعله واحدًا[٢]٠

٣- الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد[٣]٠

٤- النسبة إلى الوحدانية، نحو: فسقت زيدًا، نسبته إلى الفسق[٤]٠

٥- وَحَّدْتُهُ: عَلِمْتُهُ وَاحِدًا[٥]٠

٦- والوحدانية تُفِيد نفي الأشكال والنظراء وَلَا تسْتَعْمل فِي غير الله ...[٦]٠

---

[١] زين الدين الرازي: مختار الصحاح، (جـ٢/٥٤٨) – لسان العرب، (جـ٣/٤٤٨)٠

[٢] الفيروزآبادى: القاموس المحيط، صـ (٤١٤)٠

[٣] الجرجاني "علي بن محمد": معجم التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، صـ (٦٩)، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/ الأولى (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م)٠

[٤] الكرماني "محمد بن يوسف": الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (جـ٢٥/٩٥)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط/ الأولى (١٣٥٦هـ–١٩٣٧م)٠

[٥] ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي": فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، (جـ١٣/٣٤٥)، الناشر/ دار المعرفة – بيروت، ط/ الأولى (١٣٧٩هـ)٠

[٦] أبو هلال العسكري " الحسن بن عبد الله بن سهل": الفروق اللغوية، صـ (١١٤–١١٥)، تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، الناشر/ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط/ الأولى (١٣٥٣هـ)٠

فالله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الذي انفرد بذاته وصفاته مع عدم المثيل والنظير، وقد أشار القاسمي إلى هذا في تأويله لسورة الإخلاص حيث نقل عدة نقولات عن علماء التفسير، وعلماء اللغة، فقال: "قال الزمخشري[١]: أَحَدٌ بمعنى واحد، وقال ابن الأثير[٢]: (الأحد) في أسمائه تعالى، الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر. والهمزة فيه بدل من الواو. وأصله (وحد) لأنه من الوحدة. وفي (المصباح): يكون (أحد) مرادفا (لواحد) في موضعين سماعا: أحدهما- وصف اسم البارئ تعالى فقال هو الواحد وهو الأحد، لاختصاصه بالأحدية، فلا يشركه فيها غيره، ولهذا لا ينعت به غير الله تعالى، فلا يقال (رجل أحد) ولا (درهم أحد) ونحو ذلك٠

والموضع الثاني-أسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال، فيقال أحد وعشرون، وواحد وعشرون، وفي غير هذين يقع الفرق بينهما في الاستعمال، بأن (الأحد) لنفي ما يذكر معه، فلا يستعمل إلا في الجحد، لما فيه من العموم، نحو ما قام أحد، أو مضافا نحو (ما قام أحد الثلاثة)، و (الواحد) اسم لمفتتح العدد، ويستعمل في الإثبات، مضافا وغير مضاف، فيقالُ: (جاءني واحد من القوم)"[٣]٠

---

(١) **الزَّمَخْشَرِيُّ:** أبو القاسم محمود بن عمرَ بن محمد، العَلامة، كبيرُ المعتزِلَةِ، الخوارزميُّ، النحويُّ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، صَاحِبُ (الكَشَّافِ)، وَ(المُفَضَّلِ)، وَ(أَسَاسُ البلاغَةِ)، (ت: ٥٣٨هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ٢٠/١٥١-١٥٦)- ياقوت الحموي: معجم البلدان، (جـ٣/١٤٧)، الذهبي: تذكرة الحفاظ (جـ٤/١٢٨٣)٠

(٢) **ابْنُ الأَثِيْرِ:** المُبارك بن محمد بن محمد الشَّيبانيُّ، مجدُ الدينِ، أبو السعاداتِ، الجزريُّ، ثم الموصلِيُّ، الكاتبُ، ابن الأثير، صاحب (جامع الأصول)، و(غريب الحدِيثِ)، وغير ذلك، (ت: ٦٠٦هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ٢١/٤٨٨، وما بعدها)- ابن العماد: شذرات الذهب، (جـ١/٥٢)٠

(٣) القاسمي: محاسن التأويل، (جـ١٧/٦٢٥٩)٠

ثم قال: ".. الواحد من صفات الله تعالى، معناه أنه لا ثاني له. ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد. فأما أَحَدٌ فلا ينعت به غير الله تعالى، لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه.."[1].

فالتوحيد في اللغة مصدر وحَّد يوحِّد، أي جعل الشيء واحد وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له فمثلًا نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله سبحانه وتعالى ويثبتها لله وحده[2].

هذه هي أقوال أهل اللغة التي تبين المعني اللغوي لكلمة التوحيد ونخلص منها إلى أن المعني اللغوي لكلمة التوحيد يدور حول شيء واحد ألا وهو الانفراد والتفرد والتوحد فالله سبحانه منفرد في ذاته وصفاته وأفعاله ويجب إفراده في العبادة، وهذا ما اختاره القاسمي.

ثانيًا: <u>تعريف التوحيد اصطلاحًا</u>:

جاء تعريف التوحيد اصطلاحًا عند السلف بألفاظ متنوعة كي يشملَ أقسامه كالتالي:

١-الاعتقاد بأن الله واحد في ملكه، وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له[3].

٢-العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال وإفراده وحده بالعبادة[4].

---

[1] القاسمي: محاسن التأويل، (جـ١٧/٦٢٥٩).

[2] فالح "عامر عبد الله": معجم ألفاظ العقيدة، (جـ١/١٠٢)، الناشر/ مكتبة العبيكة – الرياض، ط/ الأولي (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

[3] عبد الوهاب "سليمان بن عبد الله": تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، صـ (١٧)، تحقيق/ زهير الشاويش، الناشر/ المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط/ الأولى (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

[4] السعدي "عبد الرحمن بن ناصر": القول السديد شرح كتاب التوحيد، صـ (١٧)، الناشر/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ط/ الثانية (١٤٢١هـ).

٣-اعتقاد أنه إله واحد لا شريك له، ونفي المثل، والنظير عنه، والتوجه إليه وحده بالعبادة، وأنه منفرد في ذاته وصفاته فلا ربَّ غيره ولا مشارك له في صفاته ولا إله غيره[١].

٤-علم العبد واعترافه واعتقاده بتفرد الرب بكل صفة كمال، وأنه لا شريك في كماله وفي أنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين[٢].

فالتوحيد هنا يشمل أقسام التوحيد الثلاثة (الربوبية- الألوهية- الأسماء والصفات)، وهذا المعنى هو الذي اختاره القاسمي في تفسيره، فعند تأويله لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣]، قال: "أي إلى قول معتدل لا يميل إلى التعطيل ولا إلى الشرك، متفق عليها لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا **اللَّهَ** وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ أي لا نرى غيره مستحقًّا للعبادة فنشركه معه، بل نفرد العبادة لله وحده، لا شريك له"[٤].

ومن هنا يمكننا التأكيد على أن الإسلام "له أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم"[٥]، وبالتالي يصح القول بأن التوحيد "عقيدة إلهية أرسل الله تعالى بها رسله أجمعين، ومن ثم لا يكون هناك خلاف بين ما قاله موسى عليه السلام، وما قاله عيسى عليه السلام، وما قاله محمد ﷺ"[٦].

---

(١) هراس "محمد خليل": دعوة التوحيد، صـ (٧-٨)، الناشر/ دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ -١٩٨٦م).

(٢) السلمان "عبد العزيز المحمد": الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، صـ (٤١٧)، الناشر/ مكتبة الرياض الحديثة، ط/ السادسة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

(٣) سورة آل عمران الآية (٦٤).

(٤) محاسن التأويل (جـ٣/٨٦١).

(٥) لوبون "جوستاف": حضارة العرب. ترجمة. عادل زعيتر. مطبعة الحلبي. القاهرة. صـ (١٢٥).

(٦) ميهوب أ.د/ سيد عبد الستار: الإلهيات عند ناصر الدين البيضاوي، صـ (٣٥-٣٤)، الناشر/ مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/ الأولى (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

المطلب الثاني:

أقسام التوحيد:

تقسيم التوحيد هو تقسيم نظري حديث دليلُه الاستقراء، وسار عليه السلف والخلف، وهو على النحو التالي:

الأول: تقسيم ثلاثي[1] (توحيد الربوبية – توحيد الأسماء والصفات– توحيد الألوهية (العبادة))۰

الثاني: تقسيم ثنائي[2] (توحيد المعرفة والإثبات (توحيد الربوبية والأسماء والصفات) – توحيد القصد والطلب (توحيد العبادة))۰

كل هذه الأقسام متلازمة في الشرع لا يكون المرء موحدًا حتى يأتي بها جميعًا وتتحقق فيه۰

وقد سار الشيخ القاسمي في تقسيم التوحيد إلى ربوبية، وألوهية، وصفات موافقًا القسمة الثلاثية، واطرد ذلك في كلامه، ولا بد أن القاسمي وقد وقف على مؤلفات ابن تيمية، وابن القيم، قد وجد فيها هذا التقسيم فمشى عليه باعتباره مذهب السلف، فقد قال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[3]، "أي فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو

---

(1) ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر": طريق الهجرتين وباب السعادتين، صـ (٣٠)، الناشر/ دار السلفية، القاهرة، مصر، ط/ الثانية (١٣٩٤هـ)– التميمي "محمد خليفة": معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، صـ (٣٧–٣٨)، الناشر/ أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)۰

(2) مما ذكر ذلك أيضًا ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر" في كتابه (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، (جـ١/٤٨)، تحقيق/ محمد حامد الفقي، الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثانية (١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م)۰

(3) سورة محمد من الآية (١٩)۰

تصلح له الألوهية ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء. يدين له بالربوبية كل ما دونه"[١]، فأراد بذلك توحيد الربوبية.

وقال عند تأويله لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢]، "وفيه إعلام بما صدع به الإسلام من تحرير الأنفس لله تعالى وتخليصها لعبادته وحده، أعني: أن لا يشرك شيئا ما معه، لا في محبته كمحبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب، فإن كل ذلك إنما يستحقه فاطر الأرض والسماوات وحده، وذلك أن لفظ العبادة يتضمن كمال الذّل بكمال الحب. فلا بد أن يكون العابد محبًّا للإله المعبود كمال الحب، ولا بد أن يكون ذليلا له كمال الذل، وهما لا يصلحان إلا لله وحده. فهو الإله المستحق للعبادة، الذي لا يستحقها إلّا هو، وهي كمال الحب والذل والإجلال والتوكل"[٣]، يقصد بذلك توحيد الألوهية.

أما توحيد الأسماء والصفات؛ فقد ذكر عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤]، "قال السيوطي[٥] في (الإكليل): في الآية ردٌّ على المشبهة، وأنه تعالى ليس بجوهر ولا بجسم ولا عرض ولا لون ولا حالّ في مكان ولا زمان. انتهى،

---

[١] محاسن التأويل (جـ١٥/٥٣٨٣).

[٢] سورة الفاتحة الآية (٥).

[٣] محاسن التأويل (جـ٢/٩-١٠).

[٤] سورة الشورى من الآية (١١).

[٥] **السيوطي:** عبد الرَّحْمَن بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عُثْمَان، المشهور بجلَال الدين السُّيُوطِيّ الأَصْل الطولوني الشَّافِعِي. ولد سنة تسع وَأَرْبَعين وَثَمَانمِائَة، نسب إلى (أسيوط) وهو اسم لمدينة غربي النيل بصعيد مصر له مصنفات كثيرة منها: (الدر المنثور في التفسير بالمأثور- الأشباه والنظائر – الجامع الكبير في الحديث – تدريب الرواي في شرح النواوي – حسن المحاضرة) وبلغت مؤلفاته أكثر من خمسمائة مؤلف كما ذكر تلميذه الداوودي، (ت: ٩١١هـ). يُنظر: ابن العماد: شذرات الذهب (جـ١٠/٧٤-٧٩)- السخاوي "شمس الدين محمد بن عبد الرحمن": الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (جـ٤/٦٥-٧٠)، الناشر/ دار الجبل-بيروت، ط/ الأولى (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

وكان حقه أن يتم الاستنباط، فكما أن صدر الآية فيه ردٌّ على المشبهة، فكذا تتمتها وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردٌّ على المعطلة؛ ولذا كان أعدل المذاهب مذهب السلف، فإنهم أثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه، وذلك أن المعطلين لم يفهموا من أسماء الله تعالى وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فجمعوا بين التمثيل والتعطيل)[١].

من هنا تبين أن القاسمي سار على طريقة تقسيم التوحيد بالقسمة الثلاثية كما تقدم.

---

[١] محاسن التأويل (جـ١٤/٥٢٢٦-٥٢٢٧).

المبحث الثاني:

توحيـــــــــــد الربوبية،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: أدلة معرفة الخالق وإثبات وحدانيته.

المطلب الأول:

توحيد الربوبية

أولًا: تعريف توحيد الربوبية لغةً:

كلمة الربوبية مأخوذة كما هو معروف من كلمة (الربّ) وهو الله عز وجل، قال تعالي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[1]، قال القاسمي: "الذي يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره، وهو رب العالمين كلهم والخالق للجميع"[2].

وَفَهْمُ معني الربوبية في اللغة متوقف على فهم معني كلمة (الرب)، ومعني كلمة (رب) في اللغة هو كالتالي: الراء والباء تدل على أصول أربعة، وهي:

١- إصلاح الشيء والقيام عليه؛ ولذا يُطلق الربُّ على المصلح للشيء، فالله تعالى هو الربُّ؛ لأنه مُصلحُ أحوال خلقه[3].

٢- لزوم الشيء والإقامة عليه[4].

٣- ضم الشيء للشيء، وهناك تناسب بين هذه المعاني الثلاثة[5].

٤-مأخوذ من التربية، وهي: "إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلي حد التمام"[6].

وفي اللسان: "..الرَّبُّ ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرَّبُّ المالك، ويكون الرَّبُّ السّيدَ المطاع؛ قال الله تعالى: ﴿... فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾[7] أي: سَيِّدَه؛ ويكون الرَّبُّ المصلح، رَبَّ الشيءَ إذا أَصْلَحَه ... وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ : "لَأَنْ يَرُبَّنِي بَنُو عَمِّي

---

(1) سورة الناس الآية (١)٠

(2) محاسن التأويل (جـ١٧/٦٣١١)٠

(3) ابن فارس: مقاييس اللغة (جـ٢/٣٨٢)٠

(4) المرجع السابق، (جـ٢/٣٨٢)٠

(5) يُنظر: المرجع السابق، (جـ٢/٣٨٢)٠

(6) الراغب الأصفهانى "الحسين بن محمد": المفردات في غريب القرآن، (جـ١/٣٣٦)، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، الناشر/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط/ الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م)٠

(7) سورة يوسف من الآية (٤١)٠

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي غَيْرُهُمْ"[١] أَي يكونون عليَّ أمراء وسادة..، ورَبَّ ولَدَه والصبي يَرُبُّهُ رَبّاً، ورَبَّبَه تَرْبِيباً وتربَّةً، وفي الحديث: "هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟"[٢] أَي: تَحْفَظُها وتُراعِيها وتُرَبِّيها، كما يُرَبِّي الرجلُ ولدَه ... "[٣]، والرّبّ مصدرٌ مستعار للفاعل[٤]، فمعنى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٥]: رابُّ العالمين[٦].

فالمعاني اللغوية لكلمة "رب" هي: المصلح للشيء، القائم عليه، المنمي له حتى يبلغ كماله، وأيضًا: صاحبه وسيده، وهذه المعاني اللغوية باقية على أصلها في الشرع، لم تتحول عنه، فإن الربَّ تبارك وتعالى: هو الخالق المالك القائم بأمر عباده وتربيتهم خلقًا وشرعًا.

ولقد عرَّفَ الشيخ القاسمي كلمة (الرب) فقال: ".. الربُّ: يُطلق على السيد المطاع وعلى المصلح وعلى المالك تقول: ربّه يربّه فهو ربّ كما تقول: نمّ عليه ينمّ فهو نمّ- فهو صفة مشبهة، ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى التربية وهي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، وصف به الفاعل مبالغةً كما وصف بالعدل"[٧].

وهذه المعاني الثلاثة لكلمة (ربّ) التي ذكرها القاسمي وغيره، وأعني بها: (السيد المطاع، والمصلح المربي، والمالك) هي التي أقرها العلماء والمفسرون؛ لأنها هي الأصول اللغوية لمعني الكلمة، وأي معني آخر فهو مندرجٌ تحت أصلٍ من هذه الأصولِ الثلاثة.

---

(١) البخاري (جـ٦/٦٦)، رقم (٤٦٦٦).

(٢) النووي "محيي الدين يحيى بن شرف": المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،(جـ١٦/١٢٤)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الثانية ١٣٩٢هـ.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، (جـ١/٤٠٠-٤٠١).

(٤) الراغب الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، صـ (٣٣٦).

(٥) سورة الفاتحة من الآية (٢).

(٦) المقريزي "أحمد بن علي": تجريد التوحيد المفيد، تحقيق الدكتور/ علي بن محمد العمراني، صـ(٣٧)، الناشر/ دار العصيمي، ط/ الثالثة (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

(٧) محاسن التأويل (جـ٢/٧-٨).

"وقد يتصرف أيضًا معنى "الربّ" في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة، فربّنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلقُ والأمرُ"(١).

تعقيب: اختص اسم (الربّ) بالله تعالى لأن الألف واللام تدل على العموم، بمعنى: (ربّ كل شيء)، ولا يكون لأحدٍ هذا اللفظ إلا لربِّ العالمين سبحانه وتعالي، "ولا يقال لمخلوق: هذا الرب؛ معرَّفا بالألف واللام؛ كما يقال لله، إنما يقال: هذا ربُّ كذا، فيعرَّفُ بالإضافة؛ لأن الله مالكُ كل شيء، فإذا قيل: الربُّ؛ دلَّت الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق: ربُّ كذا وربُّ كذا؛ نُسِب إلى شيء خاص: لأنه لا يَملِك [شيئًا] غيره.."(٢).

قال القاسمي: "والربُّ- باللام- لا يقال إلا لله عزّ وجلّ، وهو في غيره على التقييد بالإضافة- كربّ الدار- ومنه قوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ﴾(٣)، ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ﴾(٤)"(٥)، "وقد جاءَ في الشِّعْر مُطْلَقًا على غيرِ اللّه تعالى، وليس بالكثيرِ ولم يُذْكَر في غير الشِّعْر"(٦).

وهذه التعريفات التي ذكرها القاسمي هي تعريفات لغوية شرعية، لأن معاني هذه الكلمة العظيمة بقيت على أصلها اللغوي فهي صحيحة في حقه سبحانه بما يليق بكماله وجلاله، وهو بذلك يوافق أهل اللغة.

---

(١) الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، (جـ١/١٤٣).

(٢) ابن قتيبة "عبد الله بن مسلم": غريب القرآن، صـ (٩)، تحقيق/ أحمد صقر، الناشر/ دار الكتب العلمية، ط/ الأولى (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

(٣) سورة يوسف من الآية (٥٠).

(٤) سورة يوسف من الآية (٢٣).

(٥) محاسن التأويل (جـ٢/٧-٨).

(٦) لسان العرب (جـ١/٣٩٩-٤٠٠).

والكلمة لها معانٍ كثيرة يطول ذكرها، واكتفينا بهذا القدر؛ لأن هذه المعاني التي ذُكِرت أنفًا هي المقصودة في بحثنا.

ثانيًا: تعريف توحيد الربوبية اصطلاحًا:

هو الإقرار بأن الله رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه هو المحيي والمميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على كل شيء ليس له في ذلك شريك، "... فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"(١)، فيدخل ما قدره وقضاه وإن لم يكن مما أمر به وأوجبه وأرضاه والعبد مأمور بأن يعبد الله ويفعل ما أمر به وهو توحيد الإلهية ويستغفر الله على ذلك وهو توحيد له فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٢) واللَّهُ أعلم(٣).

وقد تكلم القاسمي عن هذا المعنى فقال: "فأمّا التوحيد ففي قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾(٤)؛ لأنه ناطق بأن كل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهو له تعالى، ولا يصح ذلك إلّا إذا كان سبحانه مصدر كلّ نعمة في الكون تستوجب الحمد، ومنها نعمة الخلق والإيجاد والتربية والتنمية، ولم يكتف باستلزام العبارة لهذا المعنى فصرّح به بقوله: ﴿رَبِّ الْعالَمِينَ﴾، ولفظ (رب) ليس معناه المالك والسيد فقط، بل فيه معنى التربية والإنماء، وهو صريح بأن كل نعمة يراها الإنسان في نفسه وفي الآفاق منه عزّ وجلّ، فليس في الكون متصرف بالإيجاد، والإشقاء، والإسعاد سواه .."(٥).

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ١٠/٣٣١).

(٢) سورة الفاتحة الآية (٥).

(٣) يُنظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٢٢/٤٤٨).

(٤) سورة الفاتحة الآية (٢).

(٥) محاسن التأويل (جـ٢/٢٦).

وقال أيضًا عند تأويله لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾[١]، "وضح أن الله تعالى هو الخالق والرازق، فهو بهذا يستحق العباده وحده، فقال: "... فمضمونه أنّه الخالق، الرازق، مالك الدار وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره"[٢].

أيضًا أشار عند تأويله لقوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[٣]؛ إلى أن الله سبحانه وتعالى بقدرته وأفعاله فهو الإله الحق الثابت وحدانيته؛ فقال: "﴿فَذَلِكُمُ﴾ إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت وحدانيته ثباتا لا ريب فيه"[٤].

كذلك بيَّن رحمه الله عند تأويله لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٥] أن الله تعالى هو رب العالمين، وهو الخالق للجميع، وأنه هو الإله المعبود سبحانه؛ فقال: "الذي يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره، وهو رب العالمين كلهم والخالق للجميع ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي الذي ينفذ فيهم أمره وحكمه وقضاؤه ومشيئته دون غيره ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أي معبودهم الحق وملاذهم إذا ضاق بهم الأمر، دون كل شيء سواه، والإله المعبود الذي هو المقصود بالإرادات والأعمال كلها"[٦].

---

[١] سورة البقرة من الآية (٢٢).
[٢] محاسن التأويل (جـ٢/٧٠).
[٣] سورة يونس الآية (٣٢).
[٤] محاسن التاويل (جـ٩/٣٣٤٥).
[٥] سورة الناس الآية (١).
[٦] محاسن التأويل (جـ١٧/٦٣١١).

المطلب الثالث:

أدلة معرفة الخالق وإثبات وحدانيته

أولًا: الأدلة العقلية:

١- دليل الفطرة:

والفطرة من حيث اللغة[١] تدور حول معاني الشق[٢]، وخَلْق الشيء وإيجاده وابتداؤه[٣]، ويُراد بها في الاصطلاح العام: الاستعداد لقبول الإسلام[٤]، يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ

---

(١) يُنظر: الفراهيدي "الخليل بن أحمد": العين، تحقيق الدكتور/ مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (جـ٧/٤١٧)، الناشر/ دار ومكتبة الهلال- مرتضى الزبيدي "محمد بن عبد الرزاق": تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ مجموعة من المحققين، (جـ١٣/٣٢٥)، الناشر/ دار الهداية، بالكويت، ط/ الثانية (١٩٦٥م) – الأزهري "محمد بن أحمد": تهذيب اللغة، تحقيق/ محمد عوض مرعب، (جـ٢/٣٧٠)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الأولى (٢٠٠١م)- معجم مقاييس اللغة، (جـ٤/٥١٠)- الجوهري "إسماعيل بن حماد": الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، (جـ٢/٧٨١)، الناشر/ دار العلم للملايين – بيروت، ط/ الرابعة (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) – لسان العرب (جـ٥/٥٦)- القاموس المحيط، صـ (٥٨٧)، كلهم مادة (فطر)٠

(٢) منه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾. (سورة مريم:٩٠)، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: "كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ". رواه البخاري (جـ٦/١٣٥)، رقم (٤٨٣٧)٠

(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. (سورة فاطر:١)٠

(٤) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، (جـ٨/٤١٠)، وللمزيد يُنظر: القرني "علي عبد الله": الفُطرة، حقيقتها ومذاهب الناس فيها، صـ (١٥١-٢٩)، الناشر/ دار المسلم، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)- صالح الربعي "سليمان بن عبد العزيز": موافقات الفرق الكلامية لأهل السنة في أصول الاعتقاد: التوحيد والقدر نموذجًا، مخطوط دكتوراه، المملكة العربية السعودية، صـ (٢٨٨-٢٨٦)، الناشر/ جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، ط/ الأولى (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)٠

الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وفي الحديث: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ..."[2].

والفطرة عند القاسمي هي التوحيد، ومعرفة ربوبيته سبحانه وتعالى؛ قال عند تأويله لقول الله تعالى ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[3]، "مثّل تعالى خلقهم على فطرة التوحيد، وإخراجهم من ظهور آبائهم، شاهدين بربوبيته شهادة لا يخالجها ريب، بحمله إياهم على الاعتراف بها بطريق الأمر، ومسارعتهم إلى ذلك من غير تلعثم أصلا.."[4].

فبنو آدم شهدوا على أنفسهم ولكن الشياطين حولتهم عن هذه الشهادة وأنستهم، يقول القاسمي: ".. والقصد من الآية الاحتجاج على المشركين بمعرفتهم ربوبيته تعالى معرفة فطرية، لازمة لهم لزوم الإقرار منهم والشهادة. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[5]، والفطرة هي معرفة ربوبيته..، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد فطرهم على التوحيد .. حتى من خُلِقَ مجنونًا مطبقًا مصطلمًا، لا يفهم شيئًا، ما يحلف إلا به، ولا يلهج لسانه بأكثر من اسمه المقدس، فطرة بالغة"[6]، ثم ذكر القاسمي بأن الناس في تذكر هذه الشهادة على ضربين:
ضرب أدركوا حقائقها في خواطرهم فكانوا كمن حملوا شهادة فنسوها ثم تذكروها، قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[7]، وقال: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[8]، وضربٌ أهملوا أنفسهم ولم يشتغلوا

---

(1) سورة الروم الآية (٣٠).
(2) البخاري (جـ٢/٩٤)، رقم (١٣٨٥)، ومسلم (جـ٤/٢٠٤٧)، رقم (٢٦٥٨).
(3) سورة الأعراف من الآية (١٧٢).
(4) محاسن التأويل (جـ٧/٢٨٩٧).
(5) سورة الروم من الآية (٣٠).
(6) محاسن التأويل (جـ٧/٢٩٠٢).
(7) سورة الأعراف من الآية (١٣٠).
(8) سورة ص من الآية (٢٩).

بتذكر ما حملوا من الشهادة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾[1] فهم في الجهالة يتسكعون، ثم ختم القاسمي هذا البرهان بقولٍ نَقَلَهُ عن الإمام علي بن طالب ﷺ ما يدل دلالة واضحة على أن وجود الله تعالى مستقر في القلوب، "سأل رجلٌ عليّا ﷺ: هل رأيت ربّك؟ فقال: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: كيف تراه؟ قال: "لَا تُدْرِكهُ الْعُيُون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان"[2].

فوجود الله تعالى أمر مستقرٌ في قلوب الخلائق يهتدي الإنسان إلى معرفة ربه بفطرته، فليس وجوده تعالى من المسائل المعقدة التي يحتاج الإنسان فيها إلى كدٍّ وتعب، فالرجل الأعرابي عندما سئل عن وجود الله تعالى قال بلسان فطرته: إن البعر يدل على البعير، وإن الأثر يدل على المسير؛ فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؛ أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير[3].

وكذلك الجنّ لما سمعوا القرآن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدً﴾[4]، حتى هدهد سيدنا سليمان –عليه السلام– توصل إلى أن لهذا الكون إلهًا واجدًا يستحق السجود له، غير الشمس التي رأي بلقيس وقومها يسجدون لها من دون الله، ونسب هذا الصنيع بلسان فطرته إلى تزيين الشيطان لهم، قال تعالى: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ، أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا

---

(1) سورة الصافات الآية (١٣).

(2) يُنظر: القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (٣٢-٣١)- الشريف الرضي "محمد بن الحسين": نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية/ الدكتور صبحي الصالح، خطبة ١٧٩، صـ (٢٨٥)، الناشر/ دار الكتاب المصري -القاهرة، دار الكتاب اللباني- بيروت، ط/ الرابعة (١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م).

(3) الأشقر "عمر بن سليمان": العقيدة في الله، صـ (٧٣)، الناشر/ دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط/ الثانية عشر (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

(4) سورة الجنّ من الآيتين (٢-١).

تُعْلِنُونَ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[١][٢]، ولقد كان منهج الشيخ القاسمي في مسألة معرفة الله تعالى أنها فطريةٌ نظرية[٣]، فقد قال عند تأويله لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٤]، "إن معرفته تعالى فطرية ضرورية، قال تعالى: ﴿قالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[٧]، وقال عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ﷺ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي: (كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟) قال: سَبْعَةً، سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: (فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَلِرَهْبَتِكَ؟) قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، ..."[٨]، فالله تعالى فطر الخلق كلهم على

---

[١] سورة النمل الآية (٢٦-٢٤)٠

[٢] يُنظر: دبدوب "علي محمود": القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (١٣٥)٠

[٣] افترقت الطوائف في أصل المعرفة بالله-هل هي نظرية أم ضرورية- على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر٠ وهذا قول كثير من أهل الكلام من معتزلة وماتريدية وأشعرية، ومن وافقهم من أصحاب المذاهب الأربعة٠ والقول الثاني: أن معرفة الله تحصل ضرورة في قلوب العباد، فالله تعالى يبتدي تلك المعرفة اختراعًا في قلوب العقلاء البالغين من غير سبب يتقدم ومن غير نظر٠ وقد قال بهذا القول كثيرٌ من أهل الكلام والصوفية والشيعة وغيرهم، كما يحكى عن بعض المعتزلة، كصالح قبة، وفضل الرقاشي، وغيرهما. والقول الثالث: أن معرفة الله يمكن أن تقع ضرورةً، ويمكن أن تقع بالنظر٠ وهذا هو قول أهل السنة، وهو قول جمهور طوائف المسلمين، وقال به جماعة من المتكلمين، ومنهم: الغزالي، والرازي، والآمدي وغيرهم. يُنظر: ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل (جـ٧/٣٥٢-٣٥٤، ٣٩٥- ٤٠٥) - ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ١٦/٣٤٨)٠

[٤] سورة الأعراف الآية (١٧٣)٠

[٥] سورة إبراهيم من الآية (١٠)٠

[٦] سورة لقمان من الآية (٢٥)٠

[٧] سورة المؤمنون الآيتان (٨٧-٨٦)٠

[٨] أخرجه الترمذي، (جـ٥/٣٩٧)، رقم (٣٤٨٣)، وقال: هذا حديث غريب، وقال الألباني: ضعيف. انظر: الألباني: ضعيف سنن الترمذي، تعليق/ زهير الشاويش، صـ (٤٥٢)، الناشر/ المكتب الاسلامي – بيروت، ط/ الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م)٠

معرفته فطرة التوحيد"[١]، كما ذكر القاسمي كلامًا لابن تيمية مقرًّا له في هذه المسألة، فقال: "قال التقي ابن تيمية[٢]: إن الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته، حتى يحتاج إلى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس، وعليه حذاق النظار أن المعرفة تحصل بالضرورة، وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته، كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين"[٣].

فبهذا يتبين أن القاسمي موافق لمنهج السلف في أن معرفة الله يمكن أن تقع ضرورةً، ويمكن أن تقع بالنظر إذا احتاج إلى ذلك، قال مؤكدًا ذلك: ".. ذهب طوائف من النظار إلى أن معرفة الله واجبة[٤]، ولا طريق لها إلا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد،

---

[١] محاسن التأويل (جـ٧/٢٩٠١-٢٩٠٢).

[٢] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ١٦/٣٢٨).

[٣] محاسن التأويل (جـ٧/٢٩٠١-٢٩٠٢) - القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (٣٠-٢٩).

[٤] اختلفت الطوائف في مسألة النظر في معرفة الله تعالى هل هو واجب أم لا؟ منها: ١- أن النظر في معرفة الله تعالى واجبٌ شرعي، وإليه ذهب الأشاعرة، بينما أوجبه المعتزلة عقلًا. يُنظر: الإيجي "عضد الدين بن عبد الرحمن": المواقف في علم الكلام، صـ (٢٩-٢٨)، الناشر/ عالم الكتب، بيروت، دار سعد الدين، ط/ الثالثة (١٩٩٩م)- أبو المعالي الجويني "عبد الملك": الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق/ أسعد تميم، صـ (٩)، الناشر/ مؤسسة الكتب الثقافية، ط/ الثانية (١٤١٣هـ). ٢- يجب في حال دون حال، وهذا هو مذهب السلف. يُنظر: ابن تيمية "تقي الدين": مجموعة الرسائل الكبرى، (جـ٢/٣٤٧-٣٤٨)، الناشر/ إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/ الثانية (١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م). ٣- يمكن حصول المعرفة بدون نظر، لكنه طريق صحيح، وهو قول: السمناني من الأشاعرة. يُنظر: ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (جـ١/٧١-جـ١٣/٣٤٩). ٤- ليس بواجب مطلقًا، وإليه ذهب ابن حزم. يُنظر: ابن حزم الأندلسي "علي بن أحمد بن سعيد": الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، (جـ٤/٦٧-٧٨)، الناشر/ دار الجيل، بيروت، ط/ الأولى، بدون تاريخ. ٥- أنه واجب في الجملة، وهو قول أبي الفرج المقدسي. وللمزيد في هذه المسألة يُنظر: حسن "عثمان بن علي": منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنة والجماعة، (جـ١/٢١٠-٢١٣)، الناشر/ مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الخامسة (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) - علي القرني: الفُطرة، حقيقتها ومذاهب الناس فيها، صـ (٢٩٦-٢٨٩).

وهذا القول إنما اشتهر في الأمة عن المعتزلة ونحوهم، ولهذا قال أبو جعفر السمناني[١] وغيره: إيجاب الأشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال، وذكر رحمه الله- يعني ابن تيمية[٢]- أن الذي يدل عليه كلامه الأئمة والسلف- وهو أعدل الأقوال- أن النظر يجب في حال دون حال، وعلى شخص دون شخص. فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الأحوال، لا من اللوازم العامة، والذين أوجبوا النظر ليس معهم ما يدل على عموم وجوبه، إنما يدل على أنه قد يجب، كقوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[٤]، فإنه خطاب مع المتكبرين الجاحدين، أمروا بالنظر، ليعرفوا الحق، ويقرّوا به، ولا ريب أن النظر يجب على هؤلاء"[٥].

فمن هنا يظهر أن القاسمي يرى أن النظر يجب في حال دون حال، وعلى شخص دون شخص، وبهذا يكون قد وافق ابن تيمية في هذه المسألة كما قال بعد أن ذكر رأي ابن تيمية: "وهذا أعدل الأقوال".

---

[١] **السَّمْنَانِيُّ:** هو محمد بنُ أحمدَ بنِ محمد السمناني الحنفي الأشعري، ولد في بغداد عام (٣٦١هـ)، ونشأ فيها، وولي القضاء بالموصل إلى أن تُوفي عام (٤٤٤هـ)، ولهُ ثلاثٌ وثمانونَ سنة. يُنظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق/ الدكتور بشار عواد معروف، (جـ٢/٢١٧-٢١٨)، الناشر/ دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)- سير أعلام النبلاء، (جـ١٧/٦٥١-٦٥٢).

[٢] يُنظر: ابن تيمية "تقي الدين": النبوات، تحقيق/ عبد العزيز بن صالح الطويان، (جـ١/٣٣٣-٣٣٤)، الناشر/ أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

[٣] سورة يونس من الآية (١٠١).

[٤] سورة الطارق الآية (٥).

[٥] محاسن التأويل (جـ٧/٢٩٠٢-٢٩٠٣).

ثم ذكر القاسمي مسألةً أخرى متعلقة بالنظر، ألا وهي مسألة التقليد في العقائد[1]، وقد استأنس القاسمي بقول الإمام السيوطي[2] في هذه المسألة عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[3]، "قال السيوطي: وقد استدل بالآية من قال بوجوب النظر، وإبطال التقليد في العقائد، .."[4].

ثم قال أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾[5]، ".. أي اذكر وقت قوله هذا، ليروا كيف تبرّأ عن التقليد وتمسّك بالدليل، أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بدّ من التقليد، فإنه أشرف آبائهم.."[6].

---

[1] اختلف أهل العلم في مسألة التقليد في الاعتقاد، هل يُكتفى بالظن فيها، أم يعتمد على اليقين؟ على أقوال منها: ١- كفاية التقليد في العقائد، فمن قلّد القرآن والسنة القطعية صح إيمانه، واختاره الحنابلة وأهل الظاهر. يُنظر: ابن أبي العز "صدر الدين علي بن علاء الحنفي": شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق/ أحمد شاكر، (جـ١/٢٢٠)، الناشر/ وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط/ الأولى (١٤١٨هـ). ٢- ذهبوا إلى أن المكلّفين صنفان: صنف يمتلك القدرة على النظر والاستدلال، وصنف ليس في مقدوره ذلك، فالأول: آثم إن لم يبذل وسعه في تحصيل الكمال بالنظر والاستدلال، والثاني: يكفيه التقليد؛ لأنه ليس أهلًا لذلك، وبهذا أخذ ابن حجر العسقلاني. يُنظر: ابن حجر: فتح الباري، (جـ١٣-٣٥١)- أحمد بن يحي الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب (جـ١١/٢٧٠)، تخريج/ مجموعة من العلماء بإشراف الدكتور/ محمد حجيي، الناشر/ وزارة الأوقاف المغربية(١٤٠١هـ -١٠٨١م). ٣- عدم كفاية التقليد، والمقلد- حسب مذهبهم- كافر؛ لأن المعرفة واجبة وجوب أصول لا وجوب فروع، وبهذا قال المعتزلة، كما وضحه ابن حجر بقوله: (ذَهَب أبو هاشم من المعتزلة (أبو هاشم الجبَائِيُّ عبد السلام بنُ مُحَمَّدِ بن عبد الوَهَّابِ الجبَائِي، المُعْتَزِلِي، من كِبار الأذكياء، أَخذ عن والده. له: كتَاب (الجَامِع الكَبِيْر)، وكتَاب (الْعرض)، وكتَاب (المَسَائِل العسكريَة)، وغيرها، (ت: ٣٢١هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ١٥/٦٣-٦٤) إلى أن من لا يعرف الله بالدليل فهو كافرٌ لِأَنَّ ضِدَّ الْمعرفَة النكرَة). يُنظر: ابن حجر: فتح الباري، (جـ١٣/٣٥٠-٣٥١).

[2] سبقت ترجمته، صـ (١١٢).

[3] سورة محمد من الآية (١٩).

[4] محاسن التأويل (جـ١٥/٥٣٨٣).

[5] سورة الزخرف الآية (٢٦).

[6] محاسن التأويل (جـ١٤/٥٢٦٧).

وقال كذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١]، "قال الرازي[٢] عليه الرحمة: إنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان، تنبيها على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد، وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال وترك التعويل على ما يقع في الخاطر من غير دليل، أو على ما يقوله الغير من غير دليل"[٣].

فمن هنا يظهر أن القاسمي في هذه المسألة يفرق بين من يملك القدرة والنظر والاستدلال وبين غيره فالأول ليس له أن يقلد بخلاف الثاني فليس في مقدروه ذلك فله التقليد، ومن خلال استقراء كلامه لا تجده أبدًا يشير إلى وجوب بناء العقائد على الأدلة العقلية القائمة على الجوهر[٤] والعرض في كل المباحث العقدية التي تعرض لها في تفسيره وسائر كتبه، وكذلك كان أبعد الناس عن تكفير عامة المسلمين.

---

[١] سورة البقرة من الآية (١٧٠).

[٢] **الرَّازِيّ**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر الْبكْرِيّ، الرَّازِيّ المولد، الملقب بفخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، ولد عام ٥٤٤هـ، من تصانيفه: (التفسير الكبير مفاتيح الغيب)، وفي علم الكلام أو العقيدة كتاب (الأربعون في أصول الدين)، (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين)، و(أساس التقديس) (تأسيس التقديس) و(المسائل والقضاء والقدر)، توفي في مدينة هراة عام (٦٠٦هـ). يُنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (جـ٤/٢٤٨ ومابعدها) – السبكي "تاج الدين عبد الوهاب": طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق/ د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، (جـ٨/٨١-٩٦)، الناشر/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ الثانية (١٤١٣هـ).

[٣] محاسن التأويل (جـ٣/٣٧٣-٣٧٤).

[٤] مشكلة الجوهر، وما يتبعه من ملحقات، مثل: التماثل والاختلاف والإدراك والخصائص والعدم، كانت هي مركز الفلسفة الطبيعية عند علماء الكلام بوجه عام، وعلماء المعتزلة بوجه خاص، كما أن هذه المشكلة كانت موضع خلاف بين شيوخ المعتزلة أنفسهم. يُنظر: أ.د/ سيد عبد الستار: أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية، صـ (٢٤٣).

٢- دليل قِيَاسُ الْخَلْفِ[١]:

قد أشار القاسمي إلى هذا الدليل عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢]، قال: "... وحيث انتفى التالي، علم انتفاء المقدم قطعًا، بيان الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييرًا وتبديلًا، وإيجادًا وإعدامًا وإحياءً وإماتةً، فبقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها، وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة، وإما بتأثير واحد منها، فالبواقي بمعزل من الإلهية قطعًا، واعلم أن جعل التالي فسادهما بعد وجودهما، لما أنه

---

(١) قياس الخلف: أحد صور القياس الشرطي المتصل عند المنطقيين، وهو إثبات الأمر ببطلان نقيضه؛ وذلك لأنَّ النقيضين، لا يجتمعان، ولا يخلو المحل من أحدهما، كالمقابلة بين العدم والوجود، والمقابلة بين نفي أمر معين، في مكان معين وزمان معين، وإثباته في هذه الحال، فإذا انتفى بالدليل كان ذلك حكمًا بوجود نقيضه، وذلك كإثبات الصدق ببطلان الكذب، أو إثبات الوجود ببطلان العدم، فهو قائم على إبطال النقيض للمعنى الثابت الذي سيق الدليل من أجله، كما استدل القرآن على إبطال ما عليه المشركون بإبطال عبادة الأوثان، فيثبت بذلك التوحيد، وهو قِياسٌ بسيط استثنائي مُرَكَّب من متصلة مُقدمها نقيض المطلوبِ، وتالِيها أمرٌ مُحَالٌ، وسمي بقياس الخلف: إما لكونه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف لأخذ المطلوب من المقدمة المتروكة والمجهولة، وهي مقدمة الخصم الكاذبة، وذلك بالبرهنة بكذبها على صدق نقيضها، وإما لكونه مضافًا إلى الخلف، وهو الكذب المناقض للصدق. يُنظر: أبو حامد الغزالي "محمد بن محمد الطوسي": معيار العلم في فن المنطق، تحقيق/ الدكتور سليمان دنيا، (١٥٨-١٦٠)، الناشر/ دار المعارف، مصر، عام النشر/ ١٩٦١م، بدون رقم الطبعة- أبو زهرة "محمد أحمد": المعجزة الكبرى القرآن، صـ (٢٧٢-٢٧١)، الناشر/ دار الفكر العربي، ط/ الأولى (٢٠١٠م)- الأصفهاني "محمود بن عبد الرحمن": بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق/ محمد مظهر بقا، (جـ١/١٣٩-١٤٠)، الناشر/ دار المدني، السعودية، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)- قبوس "إيمان بنت سالم": الاستدراك الأصولي دراسة تأصيلية تطبيقية على المصنفات الأصولية من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر هجريا، رسالة: دكتوراه في أصول الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إشراف: أ. د/ محمود بن حامد عثمان، العام الجامعي (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، صـ (٤٢٨-٤٣٢).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٢).

اعتبر في المقدم تعداد الآلهة فيهما، وإلا فالبرهان يقضي باستحالة التعدد على الإطلاق، فإنه لو تعدد الإله، فإن توافق الكل في المراد، تطاردت عليه القدر، وإن تخالفت تعاوقت، فلا يوجد موجودٌ أصلًا، وحيث انتفاء التالي تعين انتفاء المقدم"[١]، ثم قال بعد ذلك: "وتفصيلُه.. أنه لو وجد إلهان بصفات الألوهية، فإذا أراد أحدهما أمرًا كحركة جسم مثلًا، فإما أن يتمكن الآخر من إرادة ضده أولًا، وكلاهما محال، أما الأول فلأنه لو فرض تعلق إرادته بذلك الضد، فإما أن يقع مرادهما وهو محال، لاستلزامه اجتماع الضدين، أو لا يقع مراد واحد منهما، وهو محال لاستلزامه عجز الإلهين الموصوفين بكمال القدرة على ما هو المفروض، ولاستلزامه ارتفاع الضدين المفروض امتناع خلوّ المحل عنهما، كحركة جسم وسكونه في زمان معين، أو يقع مراد أحدهما دون الآخر وهو محال، لاستلزامه الترجيح بلا مرجح، وعجز من فرض قادرًا حيث لم يقع مراده، وهذا البرهان يُسمى برهان التمانع[٢]"[٣].

---

[١] محاسن التأويل (جـ١١/٤٢٥٨) – أبو السعود العمادي "محمد بن مصطفى": إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (جـ٦/٦١-٦٢)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط/ الأولى (٢٠١٠م).

[٢] وخلاصته كما يقول الأشعري: "فإن قال قائل: لم قلتم إن صانع الأشياء واحد؟ قيل له: لأن الاثنين لا يجرى تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولابد أن لا يلحقهما العجز أو واحدا منهما، لأن أحدهما إذا أراد أن يحيى إنسانًا وأراد الآخر أن يميته، لم يخل أن يتم مرادهما جميعًا، أو لا يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر، ويستحيل أن يتم مرادهما جميعا، لأنه يستحيل أن يكون الجسم حيًّا ميتًا في حال واحدة، وإن لم يتم مرادهما جميعا وجب عجزهما والعاجز لا يكون إلها ولا قديما وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب العجز لمن لم يتم مراده منهما، والعاجز لا يكون إلها ولا قديما فدل ما قلناه على أن صانع الأشياء واحد، وقد قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فهذا معنى احتجاجنا آنفا"، وشيخ الإسلام يقرر أن دليل التمانع دليل صحيح، موصل إلى المطلوب في إثبات وحدانية الله تعالى في ربوبيته. يُنظر: المحمود "عبد الرحمن بن صالح": موقف ابن تيمية من الأشاعرة، (جـ٣/١٠٢١-١٠٢٨)، الناشر/ مكتبة الرشد – الرياض، ط/ الأولى (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

[٣] محاسن التأويل (جـ١١/٤٢٥٨).

وقال القاسمي عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[١]، "أي: قل لهؤلاء المشركين- الزاعمين أن لله شركاء من خلقه، العابدين معه غيره، ليقربهم إليه زلفى-: لو كان الأمر كما تقولون، وأن معه آلهة تعبد لتقرّب إليه وتشفع لديه، لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه، ويبتغون الزلفى والطاعة لديه، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه، وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه...، وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[٢]، أي: لطلبوا إليه سبيلا بالمغالبة والممانعة، كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض"[٣]، وقال: "..وفيه إشارة إلى قياس اقترانيّ تقريره هكذا: ولو كان كما زعمتم معه آلهة لتقربوا إليه. وكل من كان كذلك ليس إلها، فهم ليسوا بآلهة"[٤].

فانتظام أمر العالم كلِّه وإحكام صنعه أدلّ دليل على أن مدبّره واحد، وملك واحد، وربّ واحد، لا إله للخلق غيره، ولا ربّ لهم سواه، كما قد دلَّ دليل التمانع على أن خالق العالم واحد، لا ربَّ غيره، فلا إله سواه، فذلك تمانع في الفعل والإيجاد، وهذا تمانع في العبادة والإلهية، فكما أنه يستحيل أن يكون للعالم ربَّان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان[٥].

---

[١] سورة الإسراء الآية (٤٢).

[٢] سورة الإسراء من الآية (٤٢).

[٣] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٩٣١).

[٤] المرجع السابق.

[٥] يُنظر: ابن تيمية "تقي الدين": منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، (جـ٣/ ٣٠٤-٣٢٨)، الناشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) - ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، (جـ٩/٣٥٩-٣٦٨).

فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته، مستقرٌ في الفطر، معلومٌ بصريح العقل بطلانه فكذا تبطل إلهية اثنين[١]٠

وبهذا يتضح أن منهج القاسمي في إثبات وجود الله تعالى بمسألة قياس الخلف وبرهان التمانع أمر مستقر في الفطر السليمة ومعلوم بصريح العقل بطلانه، وهذا هو اختيار ابن تيمية وغيره من السلف٠

٣- دليل قِيَاسُ الْأَوْلَى[٢]:

وهذا الدليل احتج به الجمهور ولم يخالف في الاحتجاج به إلا الظاهرية[٣]، وقد استخدم هذا الدليل العلَّامة القاسمي دون أن يسميه باسمه في معرض تفسيره فقال: "والله سبحانه حيٌّ قادرٌ متكلمٌ يأمرُ بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد، فإن أمره بالعدل، وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم له، راض به آمر

---

[١] ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، (جـ١/٣٩-٤٠)٠

[٢] قِيَاسُ الْأَوْلَى: هو ثبوت حكم المنطوق للمسكوت بفهم مناط الحكم لغةً، وَهُوَ أَن يُقَال كل كمالٍ وجوديٍّ غيرِ مستلزم للعدَم ولا للنقص بوجهٍ من الوجوه اتَّصف به المخلوق فالخالِقُ أولى أن يتَّصف به؛ لأنه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال، ولأنه لو لم يتَّصف بذَلك الكمال مع إمكان أن يُتَّصف به لكان في الممكنات من هو أكمل منه، وهو محالٌ، وكذلك كلُّ نقصٍ يتنزَّه عنه المخلوقُ، فالخَالِقُ أَوْلَى بالتنزُّه عنه، وهذا النوع من القياس هو الذي كان يسلكه السلف اتباعاً للقرآن الكريم وطريقة الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم في الاستدلال على الرب تبارك وتعالى، وأفعاله سبحانه، ويسمى عند الأصوليين بمفهوم الموافقة، أو دلالة النص، وفحوى الخطاب. يُنظر: ابن العربي "أبو بكر": العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، (جـ٢/٣٦٣)، الناشر/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط/ الثالثة (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)- الجربوع "عبد الله ابن عبد الرحمن": الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، (جـ١/١١٦ وما بعدها)، الناشر/ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)٠

[٣] سليمان الرومي "فهد بن عبد الرحمن": دراسات في علوم القرآن الكريم، صـ (٤٥٣)، الناشر/ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط/ الثانية عشرة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)٠

لعباده به، محب لأهله لا يأمر بسواه، بل تنزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدل كله..."[١].

وقال في ثنايا تأويله لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢]، "... فنفس نفي هذه الصفات نقص، كما أن إثباتها كمال، فالحياة من حيث هي هي، مع قطع النظر عن تعيين الموصوف بها، صفة كمال، وكذلك العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والعقل ونحو ذلك، وما كان صفة كمال فهو سبحانه أحق أن يتصف به من المخلوقات. فلو لم يتصف به مع اتصاف المخلوق به، لكان المخلوق أكمل منه"[٣].

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤]، "وقوله تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيهما، كالقدرة العامة والحكمة التامة، وذلك لأنّه لما جعل ما ذكر أهون عليه على طريق التمثيل، عقبه بهذا، فكأنه قيل هذا، لتفهم العقول القاصرة أن صفاته عجيبة وقدرته عامة وحكمته تامة، فكل شيء بدءًا وإعادةً وإيجادًا وإعدامًا، عنده على حد سواء، ولا مثل له ولا ند.."[٥]، فالمرادُ بالْمَثَلِ الْأَعْلَى على هذا المعنى: أي إن الوصف الأكمل ثابت لله وحده في قلوب المؤمنين، حيث يعتقدون تفرد الله بالألوهية والربوبية وسائر صفات الكمال، وما نتج عن ذلك من أعمال القلوب، ولا يشركون غيره معه في شيء من ذلك[٦].

---

[١] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٨٣٧).

[٢] سورة الشورى من الآية (١١).

[٣] محاسن التأويل (جـ١٤/٥٢٣٠).

[٤] سورة الروم الآية (٢٧).

[٥] محاسن التأويل (جـ١٣/٤٧٧٦).

[٦] يُنظر: عبد الله عبد الرحمن الجربوع: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، (جـ٣/٩٣٣).

٤-دليل التَّسْلِيمُ الْجَدَلِيِّ:

ولقد استخدم القاسمي هذا الدليل أيضًا دون أن يسميه باسمه فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١)، "..لأنه يجب أن يتخالفا بالذات، وإلا لما تصوّر العدد- والمتخالفان بالذات يجب أن يتخالفا في الأفعال فيذهب كل بما خلقه، ويستبد به، ويظهر بينهم التحارب والتغالب، فيفسد نظام الكون"(٢)، ومعنى ذلك أي: أنه ليس مع الله عز وجل إله، ولو سلم ذلك لكم لزم من ذلك ذهاب كل إله بما خلق وعلوُّ أحدهما على الآخر، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينتظم فيه حكم والواقع خلاف ذلك، لأن نظام العالم قائم على أحسن حال، والتناسق الموجود في الكون غاية في الجمال، فبطل إذن وجود آلهة غير الله عز وجل لأنه يلزم من ذلك اختلال النظام في العالم.

فمن هنا يظهر لنا أن مصادر المعرفة عند القاسمي تتمثل في الخبر والعقل والحس، وأن هذه الثلاثة تتكامل وتتداخل فيما بينها، فالخبر يعتمد على العقل في إثبات صحته لا في ثبوته في نفس الأمر، والعقل يعتمد على معطيات الحس ليجري عملياته القياسية ولهداية الخبر الصحيح، والحس يعتمد على الخبر والعقل لبيان الصحيح منه من غير الصحيح.

وقد جاء الشرع بالأدلة العقلية والفطرية ونبَّه إليها ودعا إلى إعمالها فالقرآن والسنة مليئة ووافية بالحجج والبراهين العقلية التي تدل على العقيدة وتدفع الشبه، قال العلماء قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد مبنيّ على كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٩١).

(٢) محاسن التأويل (جـ١٢/٤٤١٥).

أحدهما: بسبب ما قاله الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١)، والثاني: أن المائل إلى طريق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام(٢).

نخلص مما سبق أن العقل المبني على المقدمات النظرية، هو والفطرة يُعدَّانِ من مصادر المعرفة إلا أن لها حدودًا لا يمكن تجاوزها كما أن ما اتصل إليه له قيمته المعرفية التي لا يمكن إنكارها إلا أن المعارف والعلوم التي تصل إليها لا يمكن أن تصل في المرتبة إلى ما يصل إليه الشرع لا في قيمته المعرفية ولا في قدره.

ونختم هذا المبحث بقول القاسمي خلاصة لما تقدم: "ومن أعظم شواهد الفطرة ودلالة العقل الصريح على ربوبية الله تعالى ووحدانيته ما يلاحظه كل إنسان في نفسه من نطق الألسنة بذكر الله تعالى عند الكوارث، ولجوء النفوس إليه لدفع المضار، ولو قيّدَ لسان المضطر لنطق جنانه، وأفصحت إشاراته، وأركانه، ووجد حرارة تدفعه إلى بارئه، وتضطره إلى الاستكانة لمُنشئه، وهذا الشعور لا صنع فيه للبشر، ولا كسب فيه لا بتقليد ولا نظر، بل هو من لوازم الإنسانية وصفة من صفاتها الذاتية"(٣).

---

(١) سورة إبراهيم من الآية (٤).

(٢) يُنظر: محاسن التأويل (جـ١/٣٤٨) – جلال الدين السيوطي "عبد الرحمن بن كمال": الإتقان في علوم القرآن، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، (جـ٤/٦٠)، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم الطبعة (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) – الراغب الأصفهانى "الحسين بن محمد": تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق/ د. محمد عبد العزيز بسيوني، (جـ١/٢٧)، الناشر/ كلية الآداب– جامعة طنطا، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

(٣) القاسمي: دلائل التوحيد صـ (٢٣).

ثانيًا: دليل الخلق:

١ – حدوث العالم[١]:

ويقصد به الاستدلال بحدوث العالم على محدِثٍ صانع، هو الله سبحانه وتعالى، الذي أخرجه من حيِّز العدم إلى حيِّز الوجود، وهذا نجده من خلال حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه، فقد قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢].

وقد نقل القاسمي عن الزمخشري[٣] ما يبيّن ذلك، فقال: "قال الزمخشريّ: كان أبوه – إبراهيم عليه السلام– وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئًا منها لا يصح أن يكون إلها، لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها، وصانعا صنعها، ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها، وقول إبراهيم

---

(١) الحدوث لغة: مأخوذ من حدث حدوثًا وحداثة، يُنظر: الفيروزآبادى: القاموس المحيط، مادة (حدث)، صـ (١٧٠). واصطلاحًا: الخروج من العدم إلى الوجود. يُنظر: أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، صـ (٢٩، ٢١٨).

(٢) سورة الأنعام الآيات من (٧٥: ٧٩).

(٣) سبقت ترجمته، صـ (١٠٨).

لقومه: ﴿هذا رَبِّي﴾ إرخاءً للعنان معهم بإظهار موافقته لهم أولًا، ثم إبطال قولهم بالاستدلال؛ لأنه أقرب لرجوع الخصم.."[١].

ثم قال –القاسمي–: "قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[٢]، "أي: لا أحب عبادة من كان كذلك، فإن الأفول دناءة تنافي الإلهية، بل تمنع من الميل إلى صاحبها، فضلا عن اتخاذه إلها أو معبودا، فضلا عما يفتقر إليه"[٣].

٢- أفعال الله تعالى:

أي أفعال الله سبحانه وتعالى دليل على وجوده ووحدانيته، كالخلق، والرزق، والعدل، والإحسان، والتفضّل، والإنعام والثواب، والعقاب ...

ولقد استدل القاسمي بأفعال الله عز وجل على وجوده ووحدانيته، ببيان ما يتصف به تعالى من صفات الفعل منها الرزق، فقال– رحمه الله– عند تأويله لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾[٤]، "أي: جعلكم متفاوتين فيه، فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم، وهم بشر مثلكم ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾[٥] أي في الرزق، وهم الملاك ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ﴾[٦] أي: بمعطيهم إياه ﴿فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ﴾[٧] أي: فيستووا مع عبيدهم في الرزق، والآية مثل، ضُرِبَ للذين جعلوا له تعالى شركاء، أي: أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم، فكيف

---

[١] محاسن التأويل (جـ٦/٢٣٧٤).
[٢] سورة الأنعام من الآية (٧٦).
[٣] محاسن التأويل (جـ٦/٢٣٧٤).
[٤] سورة النحل من الآية (٧١).
[٥] سورة النحل من الآية (٧١).
[٦] سورة النحل من الآية (٧١).
[٧] سورة النحل من الآية (٧١).

رضيتم أن تجعلوا عبيدي شركاء في الإلهية والتعظيم؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[١] أي فيشركون معه غيره وهو المنعم عليهم"[٢].

ثم ذكر أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى، الذي خلق الإنسان، وأكثر نسله ورزقه من الطيبات، ومع ذلك يُشرك معه غيره في الألوهية، فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[٣]، "أي: في جنسكم وشكلكم إناثًا أزواجًا لتأنسوا بها وتحصل المودة والألفة والرحمة، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[٤] أي: بنات وأولاد أولاد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾[٥]، وهو منفعة الأصنام وشفاعتها، ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[٦]، أي في إضافة نعمه إلى الأصنام، أو في تحريم ما أحل لهم"[٧].

٣- دليل الآفاق والأنفس:

والمراد به أقطار السماوات والأرض من الشمس والنجوم واختلاف الليل والنهار، والرياح، والأمطار، والنبات، والجبال، والبحار، والإنسان، وغير ذلك من الأدلة الموجودة بالكون.

قال الله تعالي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

---

[١] سورة النحل من الآية (٧١).
[٢] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٨٣٢).
[٣] سورة النحل من الآية (٧٢).
[٤] سورة النحل من الآية (٧٢).
[٥] سورة النحل من الآية (٧٢).
[٦] سورة النحل من الآية (٧٢).
[٧] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٨٣٣).

مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١].

وقد أشار القاسمي إلى هذا الدليل فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[٢]، "أي: عبر وعظات لأهل اليقين، وهم الذين يقودهم النظر إلى ما تطمئن به النفس، وينثلج له الصدر، فيرون فيها مما ذرأ من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار، عبرًا وآياتٍ عظامًا، وشواهد ناطقة بقدرة الصانع ووحدانيته، جل جلاله"[٣].

ثم قال ممثلًا لذلك: ".. فكما أنا إذا رأينا مسكنًا مهيئًا للسكنى فيه على القوانين الموافقة، لتوالي الفصول والأمطار علمنا أن حكيمًا هيأه وأعده للسكنى، وكما إذا رأينا مركبًا سائرًا بالبخار نحو نقطة مقصودة علمنا أن قائدًا يقوده، فهكذا كل من نظر إلى هذه الدنيا وشاهد ما هي عليه من النظام والترتيب المحكم وارتباط العلل بمعلولاتها، وخدمة بعضها بعضًا، عُلِمَ أن العالم مجموع مبدعات فائقة المدارك والمشاعر أبدعها قادرٌ حكيم وحيٌّ قيوم .."[٤].

وقال أيضًا: "يرى كل من له قلب أن أنوار وجود الله تعالى تسطع على صفحات ذرات الكون، كالشمس ليس دونها حجاب، فإنه لما كان في غاية النظام والإحكام استلزم بداهةً وجود مدبر عالم بديع الصنع بيانُه أنَّا نشاهدُ هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على حال من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واستحالة بعض الموجودات إلى

---

(١) سورة البقرة الآية (١٦٤).

(٢) سورة الذاريات الآية (٢٠).

(٣) محاسن التأويل (جـ١٥/٥٥٢٩).

(٤) القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (٣٤).

بعض لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غاياته، فبالضرورة هذا الترتيب المحكم لا يكون له وجود لولا وجود خالقٍ مدبر لنظامه مريد لسيره في سننه ..."[١]٠

من هنا يتبين أن القاسمي قد استدل على وجود الله تعالى ووحدانيته بأدلة كثيرة كالأدلة العقلية من دليل الفطرة، ودليل قياس الخلف، ودليل قياس الأولى، كذلك استخدم أيضًا دليل التسليم الجدلي، كما استخدم بعض الأدلة الأخرى كدليل حدوث العالم، ودليل أفعال الله تعالى، ودليل الآفاق والأنفس، وهو بهذا يسير على طريقة ابن تيمية وابن القيم وغيرهما في قضية إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته باستخدام الأدلة العقلية وأدلة الخلق٠

---

[١] القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (٥١)٠

المبحث الثالث:

توحيد الألوهية،

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الألوهية.

المطلب الثاني: تعريف العبادة وشروطها.

المطلب الثالث: من أنواع العبادة.

المطلب الرابع: المسائل التي تقدح في التوحيد.

المطلب الأول:

مفهوم الألوهية

أولًا: تعريف الألوهية لغةً:

مصدر أَلَه يألَه أُلوهة وألوهية، والتأله هو: التعبد[١]، "فالْهَمْزَةُ واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبُّد. فالإله الله تعالى، وسمّيَ بذلك لأنّه معبود. وَيُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ: إِذَا تَعَبَّدَ"[٢]، وقيل: "أن في اشتقاق لفظ الإله ومعناه عشرين قولًا"[٣].

فالألوهية لفظ منسوب إلى الإله بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبوداً فهو إلهٌ عند متخذه، وألِه فلان يأله: عَبَدَ، وقيل: تأله، فالإله على هذا هو المعبود[٤].

والقرآن ولغة العرب تدلان على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٥]، فهم يستغربون ويستنكرون دعوة الرسول ﷺ إلى ترك عبادة الأصنام المتعددة والأشجار والأحجار والتوجه بالعبادة إلى الله الواحد الأحد[٦].

ولقد اختار القاسمي ورجح أن كلمة (إله) بمعنى معبود، فقال عند تأويله لقوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[٧]: الآلهة جمع (إله)، بمعنى المعبود[٨].

---

[١] يُنظر: الأزهري: تهذيب اللغة، (جـ٦/٢٢٣) – زين الدين الرازي: مختار الصحاح، (جـ١/٢٠) – لسان العرب، (جـ١٣/٤٦٧) – القاموس المحيط، صـ (١٢٤٢).

[٢] معجم مقاييس اللغة، (جـ١/١٢٧).

[٣] القاموس المحيط، صـ (١٢٤٢).

[٤] الراغب الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، صـ (٢١).

[٥] سورة ص الآية (٥).

[٦] الزاملي "أحمد علي": الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة دِرَاسَةٌ عَقَدِيَةٌ رسالة علمية، مخطوط دكتوراه، إشراف/ الدكتور محمد باكريم محمد عبد الله، (جـ١/٢٣٥)، الناشر/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، العام الدراسي (١٤٣٧ – ١٤٣٨هـ).

[٧] سورة الأعراف من الآية (١٢٧).

[٨] محاسن التأويل (جـ٧/٢٨٣٨).

ثانيًا: تعريف الألوهية اصطلاحًا:

ومعنى الألوهية في الشرع: أي مَا تَأْلَهُهُ القلُوبُ بالمحبَّةِ والتَّعظيمِ والرَّجاءِ والخَوْفِ والإجلالِ والإِعْظَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ من معاني العبودية، التي تقتضي فقر العباد إلى إلههم وحاجتهم إلى عبادته(١).

أما توحيد الألوهية فهو: إفراد الله -عز وجل-بالعبادة كلها قولًا وفعلًا وقصدًا، على وجه التقرب المشروع، ونفي العبادة عن كل ما سواه(٢).

يرى القاسمي أن توحيد الألوهية يقتضي إخلاص المحبة والخوف والرجاء والتوكل والعمل والنذر والخضوع والتذلل والتعظيم والتقرب لله وحده وألا يشرك معه شيء في ذلك، قال القاسمي في تأويله لقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٣)، "وفيه إعلام بما صدع به الإسلام من تحرير الأنفس لله تعالى وتخليصها لعبادته وحده، أعني: أن لا يشرك شيئا ما معه، لا في محبته كمحبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب، فإن كل ذلك إنما يستحقه فاطر الأرض والسماوات وحده"(٤)، واستشهد بقول ابن جرير في بيان معنى توحيد الألوهية فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾(٥)، "قال ابن جرير: أي إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعا، فاعبدوه وحده لا تشركوا معه في عبادته شيئا، فإنه لا يصح ولا ينبغي أن يعبد شيء سواه ﴿هَذَا صِرَاطٌ

---

(١) يُنظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ١١/٤٢٥).

(٢) ملكاوي "محمد أحمد": عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، صـ (١١٤وما بعدها)، الناشر/ مكتبة دار الزمان، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

(٣) سورة الفاتحة الآية (٥).

(٤) محاسن التأويل (جـ٢/٩-١٠).

(٥) سورة الزخرف الآية (٦٤-٦٣).

مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا الذي أمرتكم به، من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالألوهية، هو الطريق القويم"[١].

وقال القاسمي: "إنه لا يستحق العبادة غيره تعالى، وأن ليس لأحد سواه استعباد؛ لأنها حق الربوبية المطلقة"[٢]، واستشهد بقول ابن جرير في تأويله لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[٣]، "قال ابن جرير: أي فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء"[٤].

مما سبق يظهر أن القاسمي يرى أن توحيد الألوهية هو: إفراد الله بجميع أنواع العبادة وإخلاص الدين له وحده، وبهذا التعريف تظهر موافقته لابن تيمية، وغيره من أئمة السلف.

---

[١] محاسن التأويل، (جـ١٤/٥٢٨٢)- الطبري: جامع البيان، (جـ٢٠/٦٣٧).
[٢] المرجع السابق، (جـ١٤/٥٢٧٦).
[٣] سورة محمد من الآية (١٩).
[٤] محاسن التأويل (جـ١٥/٥٣٨٣)- جامع البيان، (جـ٢١/٢٠٨).

المطلب الثاني:

تعريف العبادة وشروطها:

أولًا: تعريف العبادة لغةً:

هي التذلل والخضوع، "فالعبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل"[١]، والعبادة هي الطاعة، والتعبد التنسك... وأصلُ العبوديةِ الخُضُوعُ وَالذُّلُّ[٢]، وفلَان عَابِد وَهُوَ الخاضع لربّه المستسلم لقضائه المنقاد لأَمره[٣]، وقيل: "العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة، وأنها تسمي الطريقَ المذلَّلَ الذي قد وَطِئته الأقدام، وذلّلته السابلة: معبَّدًا"[٤].

ثانيًا: تعريف العبادة اصطلاحًا:

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله[٥].

يقول القاسمي: "لفظ العبادة يتضمن كمال الذّل بكمال الحب، فلا بد أن يكون العابد محبًّا للإله المعبود كمال الحب، ولا بد أن يكون ذليلًا له كمال الذل، وهما

---

(١) الراغب الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، (جـ١/٣٣٦).

(٢) زين الدين الرازي: مختار الصحاح، (جـ١/١٩٨).

(٣) الأزهري: تهذيب اللغة، (جـ٢/١٤٠).

(٤) الطبري: جامع البيان، (جـ١/١٥٩).

(٥) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (جـ١٠/١٤٩-١٥٠).

لا يصلحان إلا لله وحده، فهو الإله المستحق للعبادة، الذي لا يستحقها إلّا هو، وهي كمال الحب والذل والإجلال والتوكل والدعاء بما لا يقدر عليه إلّا هو تعالى، وقد أشار لذلك تقديم المفعول، فإن فيه تنبيهًا على ما يجب للعبد من تخصيصه ربّه بالعبادة، وإسلامه وجهه لله وحده، لا كما كان عليه المشركون الذين ظهر النبي ﷺ عليهم، فقد كانوا متفرقين في عبادتهم، متشاكسين في وجهتهم: منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأحبار والرهبان، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ... إلى غير ذلك، كما بينه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾(١).. الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَكَ..﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبابًا..﴾(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى﴾(٥)، وحديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾- إلى قوله: ﴿وَهُوَ

---

(١) سورة فصلت من الآية (٣٧).

(٢) سورة سبأ الآيتان (٤١-٤٠).

(٣) سورة المائدة من الآية (١١٦).

(٤) سورة آل عمران من الآية (٨٠).

(٥) سورة النجم الآيتان (٢٠-١٩).

فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[١]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"[٢]، وأما عبادتهم للأحبار والرهبان ففي قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٣]، وَفِي حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ – وَكَانَ قَدْ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَصْرَانِيٌّ فَسَمِعَهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: فَقُلْت لَهُ إنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ؛ قَالَ: أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ قَالَ: فَقُلْت: بَلَى. قَالَ: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ[٤]، فالعبادة أنواع وأصناف، ولا يتم الإيمان إلّا بتوحيدها كلها لله سبحانه"[٥].

وبيّن القاسمي أنَّ العبوديةَ إظهار التذلل، فقال: "العبودية إظهار التذلل ولا عبادة أفضل منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى"[٦].

ثالثًا: <u>شروط العبادة:</u>

جاءت النصوص الشرعية دالة على أن لقبول العبادة ثلاثة شروط لا بدَّ من توافرها فيها: إخلاصُها لله– تعالى– بخلوصها من الشرك، والمتابعةُ للنبي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٧]، أيضًا تكون مبنية على أساس العقيدة الصحيحة، وإلا فهي مردودة على صاحبها غير مقبولة، وهي كالتالي:

---

[١] سورة الأعراف من الآيات (١٤٠–١٣٨)

[٢] إسناده صحيح على شرط مسلم. يُنظر: سنن الترمذي، (جـ٤/٤٥)، رقم (٢١٨٠) – ابن بلبان "علاء الدين الفارسي": الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، (جـ١٥/٩٤)، رقم (٦٧٠٢)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

[٣] سورة التوبة من الآية (٣١).

[٤] إسناده صحيح. يُنظر: الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (جـ٧/٨٦١)، رقم (٣٢٩٣)، الناشر/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م).

[٥] محاسن التأويل (جـ٢/٩–١٢).

[٦] القاسمي: الفضل المبين، صـ (٤٠١)، والعبارة من للراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن (جـ٣/٦٨)، نقلها القاسمي بتصرف منه.

[٧] سورة الكهف من الآية (١١٠).

الشرط الأول: أن يكون مبنيًا على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]، فقيَّد ذلك بالإيمان ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قُبِلَ منه ذلك العمل الصالح.

قال القاسمي: "هذا وعد منه تعالى لمن عمل صالحًا، وهو العمل التابع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من ذكر أو أنثى، وهو ثابت على إيمانه إلى الموت، بأن يحييه الله تعالى حياة طيبة"[٢].

الشرط الثاني: أن يكون خالصًا لله تعالى لأن الله جلّ وعلا يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٣].

قال القاسمي موضحًا أهمية الإخلاص: "الإخلاص هو روح العبادات"[٤]، ثم بيَّن حقيقة الإخلاص عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾[٥]، قال: "﴿قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: أي بترك الإخلاص له ﴿عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ﴾: أي أخصه بالعبادة، ﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ عن شوب الغير"[٦]، وقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُورًا﴾[٧]، "﴿وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾: أي مما كانوا يراءون به ابتغاء

---

[١] سورة النحل الآية (٩٧).
[٢] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٨٥٦).
[٣] سورة البينة الآية (٥).
[٤] محاسن التأويل (جـ٣/٦٨٦).
[٥] سورة الزمر الآيتان (١٤-١٣).
[٦] محاسن التأويل (جـ١٤/٥١٣٣).
[٧] سورة الفرقان الآية (٢٣).

السمعة والشهرة، ويرونه من مكارمهم ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾: أي مثل الغبار المنثور في الجوّ، في حقارته وعدم نفعه"[1].

<u>الشرط الثالث</u>: موافقتها لما جاء به النبي ﷺ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]، قال القاسمي: ".. فيه وجوب امتثال أوامره ونواهيه ﷺ"[3].

وقد أشير إلى هذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[4]، فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يدل على اشتراط الشرط الأول، وهو التوحيد الخالص من الشرك، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ يدل على اشتراط الشرط الثاني، وهو الإخلاص في العبادة، وخلوصها من النفاق والرياء والسمعة، وقوله تعالى: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ يدل على اشتراط الشرط الثالث وهو موافقة العبادة للسنة، وخلوصها عن البدعة.

وقد أشار القاسمي إلى هذا مضمونًا عند تأويله لتلك الآية الكريمة قائلًا: "أي: من كان طلبه الدنيا العاجلة، ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد ولا يرجو ثوابا ولا عقابًا من ربه على عمله، عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، أي: ما نشاؤه من بسط الدنيا عليه أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل به ذلك، أو من إهلاكه بما يشاء تعالى من عقوباته المعجلة، ثم يصلي جهنم في الآخرة مذمومًا على قلة شكره لمولاه، وسوء صنيعه فيما سلف له، مدحورًا مطرودًا من الرحمة، مبعدًا مقصيًّا في النار، ومن أراد الآخرة وإياها طلب، ولها

---

(1) محاسن التأويل (جـ١٢/٤٥٧٣).

(2) سورة الحشر من الآية (٧).

(3) محاسن التأويل (جـ١٦/٥٧٣٩).

(4) سورة الإسراء الآية (١٩).

عمل عملها الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه، فأولئك كان عملهم مشكورا بحسن الجزاء"[١].

وقال مقررًا ذلك أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٢]، "﴿قُلْ﴾ أي: لهؤلاء المشركين والكافرين من أهل الكتاب ﴿إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ﴾ أي: خصصت بالوحي وتميّزت عنكم به، ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ﴾ أي: يخاف المصير إليه، أو يأمل لقاءه ورؤيته، أو جزاءه الصالح وثوابه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحًا﴾ أي: في نفسه، لائقًا بذلك المرجوّ، وهو ما كان موافقا لشرع الله ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي: من خلقه إشراكًا جليًّا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكًا خفيًّا كما يفعله أهل الرياء، ومن يطلب به أجرًا من المدح وتحصيل المال والجاه، ودلت الآية- كما قال ابن كثير[٣]- على أن للعمل المتقبّل ركنين: كونه موافقًا شرع الله المنزل، ومُخلَصًا أريدَ به وجهه تعالى، لا يخلط به غيره، وتسمية الرياء شركًا أصغر، ثبت في السنة، وصح فيها حبوط العمل بالرياء، ودخول الرياء في الآية، باعتبار عموم معناها،

---

[١] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٩١٦)- وللمزيد يُنظر: الأفغاني "شمس الدين": جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (جـ١/٣٤٣)، الناشر/ دار الصميعي (أصل هذا الكتاب مخطوط دكتوراه من الجامعة الإسلامية)، ط/ الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ١/ ٧٠، ١٨٩)- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، (جـ١/٨٤-٨٥).

[٢] سورة الكهف الآية (١١٠).

[٣] **الإمام ابن كثير:** هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْء بن كثير، القرشيُّ، البُصْرَويّ، الدمشقيُّ، عماد الدين، أبو الفداء، الإمام، الْمُحَدِّث، المُفَسِّر، الحافظ، البارع، المعروف بابن كثير، ولد عام (٧٠١هـ)، كان عالمًا بالتفسير، والحديث والفقه والتاريخ، له مصنفات كثيرة من أشهرها: (البداية والنهاية)، و(تفسير القرآن العظيم)، و(اختصار علوم الحديث)، مات عام (٧٧٤هـ). يُنظر في ترجمته: ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي": الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق/ محمد عبد المعيد ضان، (جـ١/٤٤٥)، الناشر/ مجلس دائرة المعارف العثمانية- صيدر اباد/ الهند، ط/ الثانية (١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م) - ابن العماد: شذرات الذهب، (جـ١/٦٧-٦٨).

وإن كان السياق في الشرك الجليّ، للخطاب مع الجاحدين، والله تعالى هو الموفق والمعين"[١].

وذكر القاسمي عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]، "﴿بَلى﴾ إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنّة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره، وإنما عبر عن النفس بالوجه، لأنه أشرف الأعضاء، ومجمع المشاعر، وموضع السجود، ومظهر آثار الخضوع، أو المعنى: من أخلص توجهه وقصده، بحيث لا يلوي عزيمته إلى شيء غيره ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله، موافق لهديه ﷺ، وإلا لم يقبل، ولذا قال ﷺ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)[٣]"[٤].

تبيَّن من هذه النقول أن القاسمي في قضية تعريف العبادة لغةً واصطلاحًا، كذلك قضية شروط العبادة موافقًا لمنهج السلف، وابن تيمية وغيره.

---

[١] محاسن التأويل (جـ١١/٤١٢٢-٤١٢٣).

[٢] سورة البقرة الآية (١١٢).

[٣] أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة مرفوعًا بلفظ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". وفي لفظ مسلم (١٧١٨) (١٨) : "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد".

[٤] محاسن التأويل (جـ٢/٢٢٤-٢٢٥).

المطلب الثالث:

من أنواع العبادة:

قال القاسمي عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١]، "﴿أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم، لأنهم حققوا الإيمان القلبيّ بالأقوال والأفعال"[٢].

فالعبادة تكون بالقلب واللسان والجوارح، وكل واحد من هذه الأقسام تندرج تحته أنواع كثيرة وسنقتصر – بمشيئة الله– على ذكر ما تطرق إليه القاسمي.

---

[١] سورة البقرة الآية (١٧٧).

[٢] محاسن التأويل (جـ٣/٣٩٤).

أولًا: <u>الدعاء</u>[١]:

لقد بيّن القاسمي أن الدعاء من أنواع العبادة، فقد قال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِناثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾[٢]، "وقد روى الإمام أحمد في مسنده، وغيره عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)[٣]، ورواه الترمذيّ عن أنس بلفظ: (الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ)[٤]"[٥].

---

[١] **<u>تعريف الدُّعَاءِ لُغَةً:</u>** دعوت الله أدعوه دعاءً ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدًا ناديته وطلبت إقباله. يُنظر: الفيومي "أحمد بن محمد بن علي": المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق/ الدكتور عبد العظيم الشناوي، (جـ١/١٩٤)، الناشر/ دار المعارف، ط/ الثانية (١٩٧٧م)، **<u>واصطلاحًا:</u>** هو الكلامُ الإِنْشَائِيُّ الدَّال على الطلب مع الخُضوع، ويسمَّى أيضًا سؤالًا، وهو استدعاء العبد ربه -عز وجل- العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود، والكرم إليه. يُنظر: أبو سليمان الخطابي "حمد بن محمد بن إبراهيم": شأن الدعاء، تحقيق/ أحمد يوسف الدّقاق، (جـ١/٤)، الناشر/ دار الثقافة العربية، ط/ الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)- البركتي "محمد عميم الإحسان": قواعد الفقه، صـ (٢٩٢)، الناشر/ الصدف ببلشرز- كراتشي، ط/ الأولى (١٤٠٧هـ).

[٢] سورة النساء الآية (١١٧).

[٣] أخرجه ابن المبارك في (الزهد) (جـ١٠/ ١٥١) والبخاري في (الأدب المفرد) رقم (٧١٤) وأبو داود (جـ١/٥٥١) والترمذي (جـ٤/ ١٧٨،٢٢٣) وابن ماجه (جـ٢/ ٤٢٨ - ٤٢٩) وابن حبان (٢٣٩٦) والحاكم (جـ١/ ٤٩١)، وأحمد (جـ٤/١٦٧،٢٧١،٢٧٦،٢٧٧)، وقال الحاكم: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح)-. يُنظر: الحاكم النيسابوري " محمد بن عبد الله": المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، (جـ١/٦٦٧)، الناشر/ دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

[٤] قال الألباني: ضعيف بهذا اللفظ - الروض النضير (جـ٢/ ٢٨٩)، المشكاة ٢٢٣١ (ضعيف الجامع الصغير وزيادته ٣٠٠٣)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. يُنظر: الألباني: ضعيف سنن الترمذي، صـ (٤٤١) - الترمذي: سنن الترمذي، (جـ٥/٣١٦)، رقم (٣٣٧١).

[٥] محاسن التأويل (جـ٥/١٥٦٤-١٥٦٥).

وقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]، "أي اعبدوني أثبكم، قال الزمخشري: (والدعاء بمعنى العبادة، كثير في القرآن، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾[٢]: أي صاغرين أذلّاء...؛ لأن الدعاء من العبد غاية في التذلل لربه، وهو محبوب لربه، فإذا أتى العبد بمحبوب الرب عظمه بالاستجابة، وإذا لم يستجب له في الدنيا عوّضه في الآخرة، ولحبه التذلل أمر العباد بالعبادة، فإن استكبروا كان لهم غاية الإذلال"[٣].

ثانيًا: التوكل[٤]:

لقد بين القاسمي أن التوكّل يعدُّ من أنواع العبادة، فقد قال عند تأويله لقوله تعالى:

---

[١] سورة غافر من الآية (٦٠).

[٢] سورة غافر من الآية (٦٠).

[٣] محاسن التأويل (جـ١٤/٥١٧٧).

[٤] **تعريف التوكل لُغَةً**: مادة (وك ل): التوكل: تَفَعُّل من الوكالة، بفتح الواو وكسرها: وهو إظهار العَجْز في الأمر والاعتمادُ على غيرك، وقيل: وَكِلَ بِاللَّهِ وتَوَكَّلَ عَلَيْهِ واتَّكَلَ: استَسْلم إِليه، وعليه؛ والوِكَالَةُ يُراد بها أمران، أحدهما: التَّوْكِيلُ، وهو الاسْتِنَابَةُ والتَّفْوِيضُ، والثاني: التَّوَكُّلُ، وهو التعرفُ بطريق النيابةِ عن المُوَكِّلِ، وهذا من الجانِبَيْن، فإنَّ اللَّه تبارك وتعالى يُوَكِّلُ العبدَ ويقيمه في حفظ ما وَكَّلَهُ فيه، والعبدُ يُوكِّلُ الرَّبَّ ويعتمدُ عليه. يُنظر: مقاييس اللغة، (جـ٦/ ١٣٦)- لسان العرب، (جـ١١/٧٦٤)- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، (جـ٢/١٢٦).

واصطلاحًا: هو: صِدْقُ اعتماد القلب على اللَّه -عَزَّ وَجَلَّ- في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وَكِلَةُ الأُمُورِ كلها إليه، وَتَحْقِيقُ الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنَعُ ولا يَضُرُّ ولا ينفعُ سِوَاهُ، ولا يكون المؤمن متوكّلًا على الله حق توكله إلا بالثقة بالله، وحسن الظن به سبحانه، والتسليم لأمره. يُنظر: ابن رجب الحنبلي "زين الدين عبد الرحمن": جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، (جـ٢/٤٩٧)، الناشر/ مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/ السابعة (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)- ابن أبي يعلى الحنبلي "محمد بن الحسين": التوكل، تحقيق/ د. يوسف بن علي الطريف، صـ (٣٣)، الناشر/ دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، ط/ الأولى (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).وللمزيد يُنظر: الدميجي "د/ عبد الله بن عمر": التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب، صـ (١٨-١٣)، الناشر/ دار الفضيلة، ط/ الثانية (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

﴿.. وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، "والتوكل: تفعُّل، من وكل أمره إلى فلان إذا اعتمد في كفايته عليه، ولم يتوله بنفسه، وفي الآية إشارة إلى أنه ينبغي أن يدفع الإنسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله، وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكل"[2].

كما نقل القاسمي كلام ابن تيمية بصيغة الإقرار له فقال: "وعلم القرآن مجتمع في الفاتحة في هذين الأصلين: عبادة الله والتوكل عليه، وإذا أفرد لفظ العبادة دخل فيه التوكل، فإنه من عبادة الله كقوله: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4]، وإذا قرن به التوكل كان مأمورًا به بخصوصه، وهذا كلفظ الإسلام والإيمان، والإيمان والعمل، ولفظ الصلاة مع العبادة ومع اتباع الكتاب، ولفظ الفحشاء والبغي مع المنكر، ونظائر ذلك متعددة ..."[5].

وقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[6]، "﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه، لعلمهم أنه لا ناصر سواه، ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه"[7].

فبهذا يتضح أن منهج القاسمي في أن التوكل من أنواع العبادة التي يجب صرفها لله تعالى.

---

[1] سورة آل عمران من الآية (١٦٠).

[2] محاسن التأويل (جـ٤/٩٥٩).

[3] سورة البقرة من الآية (٢١).

[4] سورة الذاريات الآية (٥٦).

[5] محاسن التأويل (جـ٦/١٩٠٩).

[6] سورة آل عمران الآية (١٦٠).

[7] محاسن التأويل (جـ٤/١٠٢٣-١٠٢٤).

ثالثًا: **الخوف والرجاء**[1]:

الخوف والرجاء من العبادات القلبية العظيمة الباعثة على ما سواها من العبادات،

---

[1] **تعريف الخوف لُغَةً**: تدلّ مادّة (خ وف) على الذُّعْرِ والفزعِ، قال تعالى: ﴿إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ﴾. (آل عمران: ١٧٥): أي يجعلكم تخافون أولياءه، أو يخوّفكم بأوليائه. والخيفة: المخافة، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾. (الأعراف:٢٠٥)، والخيفة: الخوف، والجمع خيف، وأصله الواو. يُنظر: معجم مقاييس اللغة (جـ٢/٢٣٠)- مختار الصحاح، (جـ١/٩٨)- لسان العرب، (جـ٩/٩٩)- القاموس المحيط، صـ (٨٠٩).

واصطلاحًا: عرّفه العلماء عدّة تعريفات تبعا لاختلاف نظرة كلّ منهم، فيقول الرّاغب: الخوف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضادّه الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدّنيويّة والأخرويّة. يُنظر: المفردات في غريب القرآن، صـ (٣٠٣)- لسان العرب، (جـ٩/٩٩).

تعريف الرجاء لُغَةً: الرّجاء مصدر قولهم رجوت فلانا أرجوه وهو مأخوذ من مادّة (ر ج و) الّتي تدلّ على الأمل الّذي هو نقيض اليأس، ممدود، يُقال: رجوت فلانا رجوا ورجاء ورجاوة، ويُقال: ما أتيتك إلّا رجاوة الخير، وترجّيته، ترجية بمعنى رجوته، وقد يكون الرّجو، والرّجاء بمعنى الخوف. قال تعالى: ﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقارًا﴾. (نوح: ١٣): أي تخافون عظمة الله. قال الرّاغب: ووجه ذلك أنّ الرّجاء والخوف يتلازمان قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ﴾. (النساء: ١٠٤). يُنظر: الصحاح، (جـ٦/٢٣٥٢)- المفردات في غريب القرآن، صـ (٣٤٦)- لسان العرب، (جـ١٤/٣٠٩-٣١٠)- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، (جـ٢/٣٥).

واصطلاحًا: هو تأمّل الخير وقرب وقوعه، وقيل: الرّجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل، وقيل: الرّجاء هو النّظر إلى سعة رحمة الله، وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرّبّ تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه، وقيل: هو الثّقة بجود الرّبّ تعالى، وقيل: الرّجاء ظنّ يقتضي حصول ما فيه مسرّة، وقال المناويّ: الرّجاء ترقّب الانتفاع بما تقدّم له سبب ما. يُنظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، (جـ٢/٣٥)- المفردات في غريب القرآن، صـ (٣٤٦)- الجرجاني: معجم التعريفات، صـ (١٠٩)- المناوي "محمد عبد الرؤوف": التوقيف على مهمات التعاريف، صـ (١٧٤)، الناشر/ عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط/ الأولى (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

"لا تتمُّ العبادَةُ إلا بالخوف والرجاء، فبالخَوْفِ يَنْكَفُّ عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات"[١].

والخوف والرجاء متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، إذ الخوف بلا رجاء يأس وقنوط، والرجاء بلا خوف أمن من مكر الله، وكلاهما من كبائر الذنوب[٢].

وقد قرر أهل السنة والجماعة ذلك، وذكروه في عقائدهم، "فالأَمْنُ والإياسُ ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة"[٣]، وقد أوضح القاسمي أن العبادة لا تتم إلا بالرجاء والخوف، فبالرجاء تكثر الطاعات، وبالخوف تقل السيئات، فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٤]، "إشارة إلى أن العبادة لا تتم إلا بالرجاء والخوف، فبالرجاء تكثر الطاعات وبالخوف تقل السيئات"[٥]، وقال مُستشهدًا بهذه الآية في قواعده في التفسير: ".. وهذا على الجملة، فإن غلب عليه طرف الانحلال والمخالفة، فجانب الخوف عليه أقرب، وإن غلب عليه طرف التشديد والاحتياط فجانب الرجاء إليه أقرب، وبهذا كان عليه السلام يؤدب أصحابه"[٦].

كذلك أشار القاسمي إلى هذه القضية عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ

---

[١] ابن كثير "إسماعيل بن عمر": تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، (جـ٥/٨٢)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى (١٤١٩هـ).

[٢] يُنظر: ابن مفلح "شمس الدين محمد": الآداب الشرعية والمنح المرعية، (جـ٢/٣٠)، الناشر/ عالم الكتب، بدون سنة طبع.

[٣] ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، (جـ١/٣١٢).

[٤] سورة الإسراء الآية (٥٧).

[٥] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٩٤٢).

[٦] المرجع السابق (جـ١/١٢٩).

الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، قائلًا: ".. إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهما، لينجع في كلّ بحسبه، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، إنه قريب مجيب"[٢].

من هنا يتبين أن القاسمي موافق لمنهج أهل السنة والجماعة في مسألة الخوف والرجاء وعلاقتهما بالعبادة.

رابعًا: الوَلاء وَالبرَاء[٣]:

---

[١] سورة الأنعام الآية (١٦٥).

[٢] محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٩٨).

[٣] **تعريف الوَلاء لُغَةً**: مِنَ الْوَلْيِ، وهو أصلٌ يدل على الْقُرْبِ. قَال الراغب: ويستعارُ ذلك للقرب من حَيْثُ المكانُ، ومن حَيْثُ النسبة، ومن حَيْثُ الدِّينُ، ومن حَيْثُ الصَّداقة والنصرة والاعتقادُ، ومن الباب: المولى، ويقال لابن العمِّ والنَّاصِرِ والحلِيفِ والصَّاحِبِ والمُعِينِ والمُعْتَق والجار وغيرهم، أمّا الولاءُ بالكسر والتَّوالي، فمَعناهما المُتابعة، وهي أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، والباب كلُّه- كما قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة- راجع إلى القُرْب. يُنظر: معجم مقاييس اللغة، (جـ٦/١٤١)- المفرادت في غريب القرآن، صـ (٨٨٥)- الفيومي: المصباح المنير، (جـ٢/٦٧٢).
واصطلاحًا: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا. يُنظر: القحطاني "محمد بن سعيد بن سالم": الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، (جـ١/٩٠)، الناشر/ دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، بدون تاريخ.
تعريف البَرَاء لُغَةً: برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر. يُنظر: لسان العرب، (جـ١/٣٣)- القاموس المحيط، صـ (٣٤).
واصطلاحًا: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار. يُنظر: القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام، (جـ١/٩٠).
شرح تعريف الولاء والبراء: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الولاية: ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبة والتقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد... والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا: أي يقترب منه، ومنه =

الولاء والبراء نوعان من أنواع العبادة، وهما بمعنى الحب والبغض، والولاء الذي هو الحب والنصر يكون لله ولرسوله ولدينه ولعباد الله الصالحين، والبراء الذي هو البغض يكون لكل عدو لله ولرسوله ولعباد الله الصالحين، ولا يتم إيمان العبد إلا بالولاء والبراء، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[١]٠

والقاسمي بيَّن الحكم الشرعي في الولاء والبراء كما بيَّن أن الحب في الله والبغض في الله بابٌ عظيم وأصل من أصول الإيمان، قال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، "والمحبة في الله، والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان، وقوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حال أي متجاوزين المؤمنين إليهم استقلالا أو اشتراكا، وفيه إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسان، وهذا أمر معقول، فإن موالاة الوليّ وموالاة عدوه متنافيان"[٣]٠

ثم قال: "واعلم أن الموالاة، التي هي المباطنة والمشاورة وإفضاء الأسرار للكفار، لا تجوز، فإن قيل: قد جوز كثير من العلماء نكاح الكافرة، وفي ذلك من الخلطة والمباطنة بالمرأة ما ليس بخاف، فجواب ذلك: أن المراد موالاتهم في أمر الدين، وفيما فيه تعظيم

= قوله ﷺ: "أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ": أي لأقرب رجل إلى البيت. هذا الحديث أخرجه البخاري كتاب الفرائض (جـ١١/١١) ومسلم (جـ١٢٣٣/٣) كتاب الفرائض، فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له ... فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه). يُنظر: القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، (جـ١/٩٠-٩١)- ابن تيمية: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، صـ (٩)٠

[١] سورة البقرة من الآية (٢٥٦)٠

[٢] سورة آل عمران من الآية (٢٨)٠

[٣] محاسن التأويل (جـ٤/٨٢٢-٨٢٣)٠

لهم.."[1]، وقال كذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ﴾[2]، "أي: لا يتخذ أحد منكم أحدا منهم وليّا، بمعنى: لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الأحباب ومعاشرتهم"[3].

وقال: "إن الموالاةَ المحرمةَ بالإجماع، هي أن تحب الكافر لكفره، والعاصي لمعصيته، لا لسبب آخر، من جلب نفع أو دفع ضرر، أو خصلة خير فيه"[4].

خامسًا: <u>الْمحبَّة</u>[5]:

المحبة قسمان:

<u>الأول</u>: محبة الربِّ عز وجل لعبده.

<u>الثاني</u>: محبة العبد لربه عز وجل.

---

[1] محاسن التأويل (جـ٤/٨٢٤).

[2] سورة المائدة من الآية (٥١).

[3] محاسن التأويل (جـ٦/٢٠٢٤).

[4] المرجع السابق (جـ١٦/٥٧٣٢)، نقلًا عن ابن المرتضى "محمد بن إبراهيم" في (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد)، صـ (٣٧١)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الثانية ١٩٨٧م.

[5] **<u>تعريف الْمحبَّة لُغَةً</u>**: تدل على اللُّزومُ والثباتُ، والحُبُّ: نَقِيضُ البُغْضِ. والحُبُّ: الودادُ والمحبَّةُ، وكذلك الحِبُّ بالكسر، وَتقول: أحبَبْتُ الشيء فأنا مُحِبٌّ وَهو مُحَبّ. يُنظر: لسان العرب، (جـ١/٢٩٠)– تهذيب اللغة، (جـ٤/٨).

<u>واصطلاحًا</u>: الْمحبَّة: الْميل إِلَى الشَّيْء السار، وقال الراغب: "المحبة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا"، وقال الهروي: "الْمحبَّة: تعلق الْقلب بَين الهمة والأنس فِي الْبَذْل وَالْمَنْع على الْإِفْرَاد". يُنظر: المعجم الوسيط، (جـ١/١٥١)– الراغب الأصفهانى "الحسين بن محمد": الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق/ د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، صـ (٢٥٦)، الناشر/ دار السلام – القاهرة، ط/ الثالثة (١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م) – أبو إسماعيل الهروي "عبد الله بن محمد": منازل السائرين، صـ (٨٨)، رقم(٦١)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، بدون رقم طبع، (١٤٠٨هـ–١٩٨٨م).

وللقاسمي كلام في كلا القسمين، وفي هذا المطلب نعرض القسم الثاني من المحبة فقط، وأما القسم الأول من المحبة فسنرجئ الحديث عنه عند الحديث عن صفات الله تعالى٠

ولقد دلت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة على وجوب محبة الله سبحانه وتعالى وتقديم محبته سبحانه وتعالى على سائر المحاب٠

قال القاسمي عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، "قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه تلك، حتى يتبع الشرع المحمديّ في جميع أقواله وأفعاله"[٢]٠

وقال عند قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٣]، "قال الرازي: الآية تدل على أنه إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين، وبين جميع مهمات الدنيا، وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا"[٤]٠

كما بيّن القاسمي كيفية الشرك في مسألة المحبة؛ وذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿.. وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[٥]، قال: "﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من المشركين لأندادهم، لأنّ أولئك أشركوا في المحبة، والمؤمنون أخلصوها كلّها لله، ولأنهم يعلمون أن جميع الكمالات له ومنه، ولأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره، بخلاف المشركين فكانوا يعبدون الصنم

---

[١] سورة آل عمران الآية (٣١)٠

[٢] محاسن التأويل (جـ٤/٨٢٨)٠

[٣] سورة التوبة الآية (٢٤)٠

[٤] محاسن التأويل (جـ٨/٣٠٩٢)٠

[٥] سورة البقرة من الآية (١٦٥)٠

زمانًا ثم يرفضونه إلى غيره أو يأكلونه، كما أكلت باهلة إلهها من حيس، عام المجاعة"[١]، ثم قال: ".. أما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلّا بالتّوبة، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله تعالى، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولذا قالوا لآلهتهم في النار ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾[٢] مع إقرارهم بأن الله تعالى وحده خالق كلّ شيء، وربّه، ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تميت ولا تحيي، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة، والتعظيم، والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم..! بل كلّهم يحبون معبوديهم، ويعظمونها، ويوادّونها من دون الله تعالى..! وكثير منهم- بل أكثرهم- يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله تعالى..!"[٣].

ونقل القاسمي فتوى ابن تيمية في هذه المسألة، قائلًا: ".. والمتّخذُ إلهه هواه، له محبّة كمحبّة المشركين لآلهتهم، ومحبّة عبّاد العجل له، وهذه محبّة مع الله لا محبّة لله! وهذه محبّة أهل الشرك..! والنفوس قد تدّعي محبّة الله، وتكون في نفس الأمر محبّة شرك تحبّ ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله! وقد يخفى الهوى على النفس، فإنّ حبّك الشيء يعمي ويصمّ..! وهكذا الأعمال التي يظنّ الإنسان أنه يعملها لله وفي نفسه شرك قد خفي عليه وهو يعلمه: إمّا لحبّ رئاسة، وإمّا لحبّ مال، وإمّا لحبّ صورة...."[٤].

ثم بيَّن القاسمي كيف تكون المحبة، وطريق المحبة؛ فقال: "... فلمّا صار كثير من الصوفية النسّاك المتأخّرين يدّعون المحبّة- ولم يزنوها بميزان العلم والكتاب والسّنّة- دخل فيها نوع من الشرك واتّباع الأهواء، والله تعالى قد جعل محبّته موجبة لاتباع رسوله ﷺ، فقال

[١] محاسن التأويل (جـ٣/٣٦٠).

[٢] سورة الشعراء الآيتان (٩٨-٩٧).

[٣] محاسن التأويل (جـ٣/٣٦٠-٣٦١).

[٤] المرجع السابق (جـ٣/٣٦٢).

تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[١]، وهذا؛ لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبّه الله، وليس شيء يحبّه الله إلا والرسول يدعو إليه..! وليس شيء يدعو إليه الرسول إلّا والله يحبّه..! فصار محبوب الربّ ومدعوّ الرسول متلازمين، بل هذا هو هذا في ذاته، وإن تنوعت الصفات..!"[٢].

وقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[٣]، "...؛لأن بذل النفس في سبيل الله لا يكون إلا عند خلوص النفس في محبة الله، إذ المرء إنما يحب كل ما يحب من دون الله لنفسه، فأصل الشرك ومحبة الأنداد، محبة النفس، فإذا سمح بالنفس، كان غير محب لنفسه، وإذا لم يحب نفسه فبالضرورة لم يحب شيئا من الدنيا، وإذا كان بذله للنفس في اللهو وفي سبيله لا للنفس، كما قال- ترك الدنيا للدنيا- كانت محبة الله في قلبه راجحة على محبة كل شيء، فكان من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[٤]، وإذا كانوا كذلك يلزم محبة الله إياهم، لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٥]"[٦].

---

(١) سورة آل عمران من الآية (٣١).

(٢) محاسن التأويل (جـ٣/٣٦٣).

(٣) سورة الصف الآية (٤).

(٤) سورة البقرة من الآية (١٦٥).

(٥) سورة المائدة من الآية (٥٤).

(٦) محاسن التأويل (جـ١٦/٥٧٨٢-٥٧٨٣).

المطلب الرابع:

المسائل التي تقدح في التوحيد:

تكلم القاسمي عن بعض الأقوال والأفعال التي تنافي توحيد الألوهية أو تقدح فيه، ويمكن تقسيم ذلك إلى قسمين[1]:

الأول: الأقوال التي تقدح في توحيد الألوهية.

الثاني: الأفعال التي تقدح في توحيد الألوهية.

وسنتكلم عن كل قسم على حِدَة.

أولًا: الأقوال التي تقدح في توحيد الألوهية.

ذكر القاسمي بعض الأقوال التي تنافي وتقدح في توحيد الألوهية منها:

١- الحلف[2] بغير الله تعالى:

الحلف نوع من العبادات القولية، وأصل اليمين إنما شرعت تأكيدًا للأمر المحلوف عليه، وتعظيمًا للخالق، ولهذا وجب أن لا يحلف إلا بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك، ومن تمام هذا التعظيم أن لا تحلف بالله إلا صادقا، ومن تمام هذا التعظيم التنزه عن كثرة

---

(١) مستفاد من رسالة الدكتور فهد عامر العجمي: منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، (جـ١/١٩٦).

(٢) **تعريف الحَلِف لغة:** الحَلِفُ لغةً: هو القسم، وفيه لُغَتَانِ، حَلَفَ أَي أَقْسَم يَحْلِفُ حَلْفاً وحِلْفاً وحَلِفاً ومَحْلُوفاً، وَهُوَ أَحد مَا جَاءَ مِنَ الْمَصَادِرِ عَلَى مَفْعُولٍ مِثْلَ المَجْلُودِ والمَعْقُولِ ..، والحِلْفُ، بالكسرِ: العَهْدُ بَيْنَ القَوْمِ، والصَّداقَةُ، والصَّديقُ يَحْلِفُ لِصاحِبِهِ أنْ لا يَغْدِرَ به، ج: أحْلافٌ.. يُنظر: لسان العرب (جـ٩/٥٣) – القاموس المحيط، صـ (٨٠١).

واصطلاحًا: هو تحقِيقُ أمرٍ غير ثابتٍ ماضِيًا كان أو مُستَقْبَلًا نفيًا أو إثباتًا مُمكِنًا أو مُمتنعًا مع العلم بالحالِ أو مع الجهل به. يُنظر: الخطيب الشربيني" شمس الدين محمد بن أحمد": مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، اعتنى به/ محمد خليل عيتاني، (جـ٤/٤٣٠)، الناشر/ دار المعرفة– بيروت، ط/ الأولى (١٤١٨هـ–١٩٩٧م).

الحلف، فالكذب وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد، "وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّ اليمينَ لا تكونُ إلَّا باللَّهِ، أوْ بصفاتِهِ، وأجمعوا على المنع من الحلفِ بغيره"[١].

وقد بيّن القاسمي أن من خصائص توحيد الألوهية الحلف بالله تعالى تعظيمًا وإجلالًا؛ فقد نقل كلام ابن القيم مقررًا له ومُستشهدًا به، وهو: "إذا عُرف هذا، فمن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به، ومنها التوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به، ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به، ومنها الحلف باسمه تعظيمًا وإجلالًا، فمن حلف بغيره فقد شبهه به"[٢].

وقال القاسمي: "الحلف لا يكون إلا باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته، وأما بغير ذلك فمكروه أو حرام"[٣]، كما بيَّن أن قسم الله بمخلوقاته يتضمن ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته، وأما قسم المخلوق بالمخلوقات هو شرك لخالقها، والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور، قائلًا: "فإن إقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته، ما يحسن معه إقسامه، بخلاف المخلوق، فإن إقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها، كما في (السنن) عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)[٤]، وفي لفظ: (فَقَدْ كَفَرَ)، وقوله ﷺ: (مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ)[٥]، وقوله ﷺ: (لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ. فإِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)[٦]، وقوله ﷺ: (مَنْ حَلَفَ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى

---

[١] قاسم "عبد الرحمن بن محمد": حاشية كتاب التوحيد، صـ (٣٠٣)، الناشر/ المطابع الأهلية للأفست، الرياض، ط/ الأولى (١٣٩٦هـ)، ٠

[٢] محاسن التأويل (جـ٥/١٣٠٥)٠

[٣] المرجع السابق (جـ١٣/٤٩٢٨)٠

[٤] أخرجه أبوداود، رقم (٣٢٥١)، والترمذي، رقم (١٥٣٥)، والإمام أحمد في مسنده (جـ١٠/٢٤٩)، وقال الترمذي: حديث حسن٠

[٥] أخرجه البخاريّ (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر٠

[٦] رواه البخاري، رقم (٦٦٤٧)، ومسلم، رقم (١٦٤٦)٠

فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ)[1]، وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة، أو بما يعتقد هو حرمته- كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي ﷺ والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين وسراويل الفتوّة وغير ذلك ... - لا ينعقد يمينه، ولا كفارة في الحنث بذلك، والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور"[2].

من هنا يتبيَّن أن القاسمي يرى أن الحلف بغير الله تعالى طعنٌ في الألوهية.

---

(1) أخرجه البخاري (٦١٠٧)، ومسلم (١٦٤٧)، وأبو داود (٣٢٤٧)، وغيرهم.

(2) محاسن التأويل (جـ٦/١٩٧٢-١٩٧٣).

٢- سَبُّ الدَّهْرِ[١]:

سب الدهر مما جاءت الأثار الصحيحة بالنهي عنه، وتكاثرت في التحذير منه، وهو مما يُنافي التوحيد ويقدح فيه؛ لأنه في حقيقته سبٌّ لله تعالى إذ هو خالق الدهر والمتصرف فيه بما شاء، ففي الحديث القدسي قال الله تعالى: "يُؤذيني ابنُ آدم يَسبُّ الدَّهر، وأنا الدَّهر، بيدي الأمر، أُقلِّب اللَّيلَ والنَّهار"[٢].

---

[١] **تعريف الدهر لغة:** هو الأبد الممدود، ورجل دهري: قديم، والدهري الذي يقول ببقاء الدهر ولا يؤمن بالآخرة.. والدهر النازلة، دهرهم أمر أي نزل بهم مكروه، وقيل: الدهر الزمان.. ويجمع على دهور، ويُقال: الدهر: الأبد، وجاء في اللسان: الدهر الأمد الممدود..قال الأزهري: الدهر عند العرب يقع على بعض الدهر الأطول، ويقع على مدة الدنيا كلها، وقد سمعت غير واحد من العرب يقول أقمنا على ماء كذا وكذا دهرًا، ودارنا التي حللنا بها تحملنا دهرًا، وإذا كان هذا هكذا جاز أن يُقال الزمان والدهر واحد في معنى دون معنى، فالدهر في اللغة يقع على الزمان، ومدة الدنيا كلها، أو على الأبد. يُنظر: معجم العين، (جـ٤/٢٣-٢٤)- مقاييس اللغة، (جـ٢/٣٠٦)- لسان العرب (جـ٤/٢٩٢-٢٩٤)- مختار الصحاح، (جـ٢/٦٦١).

واصطلاحًا: قال ابن الأثير: "والدهر اسم للزمان الطويل، ومدة الحياة الدنيا"، وقال الراغب: "الدهر في الأصل اسم لمدة العالم، من مبدأ وجوده إلى انقضائه.. ثم يعبر به عن كل مدة كثيرة"، وذكر شيخ الإسلام في معنى الدهر أنه "هو الزمان أو ما يجرى مجرى الزمان"، والزمان وما يجري مجراه، هو تقدير الحركة، أو مقارنة حادث لحادث، أو مرور الليل والنهار، والزمان المطلق مقدار الحركة المطلقة، وجنس الزمان باق عند المسلمين بعد قيام القيامة، ولأهل الجنة أزمنة هي مقادير حركات هناك غير حركة الفلك. فالدهر إذًا لا ينحصر في مدة الحياة الدنيا، بل هو اسم للزمان، وهو عرض مخلوق. يُنظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، صـ (٣١٩)- الفيروزآبادى "مجد الدين محمد بن يعقوب": بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق/ محمد علي النجار، (جـ٢/٦٠٩)، الناشر/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط/ الثالثة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٢/٤٩٤)- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (جـ١/١٧٢) – محمد المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، صـ (١٦٨)- أبو البقاء الحنفي: الكليات، صـ (٤٤٤).

[٢] رواه البخاري (٤٨٢٦) ومسلم (٢٢٤٦)، وأبو داود (٥٢٧٤)، وأحمد (جـ٢/٢٣٨).

وقد نقل القاسمي كلام الزمخشري[١] والخطابي[٢] مستأنسًا به ومقرًّا له، ذاكرًا أن من سبَّ الدهر، فإن الله هو الدهر؛ لأنه سبحانه هو الآتي بالحوادث حقيقة، لا الدهر؛ وذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٣]، قال: "أي: وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين، وبِذَلِكَ إشارة إلى نسبة الحوادث إلى الدهر، أو إلى إنكار البعث، أو إلى كليهما، قال الزمخشري: (كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة وحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان، ومنه قوله ﷺ: (لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ)[٤] أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر)[٥]، وقال الخطابي: (معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي تنسبونها إلى الدهر، فمن سبَّ الدهر من أجل أنه

---

[١] سبقت ترجمته، صـ (١٠٨).

[٢] **الخطَّابي**: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ كان فقيهًا أديبًا مُحدثًا له التصانيف البديعة منها "غريب الحديث" و"معالم السنن في شرح سنن أبي داود" و"أعلام السنن في شرح البخاري" وكتاب "الشحاح" وكتاب "شأن الدعاء" وكتاب "إصلاح غلط المحدثين"، وغير ذلك، ولد عام (٣١٩هـ)، وتوفي عام (٣٨٨هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ١٧/٢٣-٢٨)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، (جـ٢/٢١٤-٢١٦) – الذهبي: تذكرة الحفاظ، (جـ٣/١٠١٨-١٠٢٠).

[٣] سورة الجاثية الآية (٢٤).

[٤] مسلم (جـ٦/٥٩٢٨) من حديث أبي هريرة، وهو في "الموطأ" (جـ٢/٩٨٤) بلفظ: "لَا يَقُلْ أَحَدُكَمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ"، وفي البخاري (٦١٨٢) بنحوه، وأحمد (جـ٥/ ٢٩٩)، ورجاله ثقات. قال الهيثمي (جـ٨/٧٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، قال الألباني: "صحيح". يُنظر: ابن الجوزي "عبد الرحمن بن علي": جامع المسانيد، تحقيق/ الدكتور علي حسين البواب، (جـ٢/٢٦٤)، الناشر/ مكتبة الرشد- الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)- الألباني "محمد ناصر الدين": صحيح الجامع الصغير وزياداته، حديث رقم : ٧٣١٣، الناشر/ المكتب الإسلامي، ط/ الثالثة (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

[٥] الزمخشري "محمود بن عمرو": الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (جـ٤/٢٩١)، الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثالثة (١٤٠٧هـ).

فاعل هذه الأمور، عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفًا لمواقع الأمور، وكان عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر فقالوا: بؤسًا للدهر، وتبًّا للدهر)[١]. انتهى"[٢].

من هنا يتبيَّن أن القاسمي يرى تحريم سبِّ الدهر؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الآتي بالحوادث، لا الدهر.

---

[١] الخطابي "حمد بن محمد بن إبراهيم": أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تحقيق/ د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، (جـ٣/١٩٠٤)، رقم(٩٤٤)، الناشر/ جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط/ الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

[٢] محاسن التأويل (جـ١٤/٥٣٢٥-٥٣٢٦).

٣- **الاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ**[1]:

الله عز وجل هو الذي ينزل الأمطار والغيوث، ونسبة نزول ذلك إلى غيره منافية لتوحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

والقاسمي بيَّن هذه المسألة عندما ذكر علمَ الأنواء، وأوقاتِ نزول المطر وإنشاء السحاب، فبيَّن المشروعَ منه، وهو نسبة نزول المطر إلى الله تعالى، والمنهيَّ عنه، والذي يطعن في توحيد الألوهية بالنسبة لقائله وهو نسبة نزول المطر للنوء، فقد قال عند تأويله

---

[1] **تعريف الاسْتِسْقَاءِ لغة:** السقيا اسم السقي، والسقاء القربة للماء واللبن، والسقاية الموضع يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها.. والاستقاء الأخذ من النهر والبئر، وقال الجوهري: "وسقاه الله الغيث وأسقاه..السقي على فعيل السحابة العظيمة القطر، الشديدة الوقع"، فالاستسقاء في اللغة طلب السقيا. ينظر: معجم العين، (جـ٥/١٨٩-١٩٠)- مقاييس اللغة، (جـ٣/٨٤-٨٥) - الصحاح، (جـ٦/٢٣٧٩).

تعريف الأَنْوَاءِ لغة: "النوء مهموز من أنواء النجوم، وذلك إذا سقط نجم بالغداة فغاب مع طلوع الفجر، وطلع في حياله نجم في تلك الساعة، على رأس أربعة عشر منزلاً من منازل القمر، سمي بذلك السقوط والطلوع نوءًا من أنواء المطر والحر والبرد، وذلك من قولك ناء ينوء.. والشيء إذا مال إلى السقوط، تقول: ناء ينوء نوءاً، بوزن ناع، وإذا نهض في تثاقل يقال ناء ينوء به نوءاً إذا أطاقه"، وقال الجوهري: "قال أبو عبيد: ولم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها، وقال الأصمعي: إلى الطالع منها في سلطانه، فتقول: مطرنا بنوء كذا. والجمع أنواء ونوآن أيضًا"، فالنوء يطلق على النجم وعلى السقوط والنهوض في تثاقل. يُنظر: معجم العين، (جـ٨/٣٩١) –ابن منظور: لسان العرب، (جـ١/١٧٥-١٧٦)- الصحاح، (جـ١/٧٨-٧٩).

فالاستسقاء بالأنواء في اللغة: يعني طلب أو نسبة السقيا إلى النجوم بسقوطها وطلوعها.

واصطلاحًا: هو أن يُطلب من النجم أن ينزل الغيث، ويدخل فيه أن يُنسب الغيث إلى النجم، كما كان أهل الجاهلية يزعمون، فكانوا إذا نزل مطر في وقت نجم معين نسبوا المطر إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء كذا، أو هذا مطر الوسمي، أو هذا مطر الثريا، ويزعمون أن النجم هو الذي أنزل هذا الغيث. يُنظر: سليمان بن عبد الوهاب: تيسير العزيز الحميد صـ (٤٥٧،٤٥٩- ٤٦٠)- ابن عبد البر: التمهيد، (جـ١٦/٢٨٧)- النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، (جـ٢/٦١).

[2] سورة لقمان الآية (٣٤).

لقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[١]، "خرّج الترمذيّ[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: (﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، قَالَ: شُكْرَكُمْ، يَقُولُ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا وَنَجْمِ كَذَا وَكَذَا)، وفي الحديث: (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ...)[٣]. الحديث في الأنواء"[٤].

فظهر بذلك أن منهج القاسمي في مسألة الاستسقاء بالأنواء منهيٌّ عنه ويعتبر منافيًا لتوحيد الألوهية.

٤- **التَّوَسُّل**[٥]:

أخذ القاسمي برأي ابن تيمية في التوسل، فعندما جاء عند تأويل قول الله تعالى:

---

(١) سورة الواقعة الآية (٨٢).

(٢) رواه الترمذي، وقال عنه: حديثٌ حسنٌ غَرِيبٌ، تعليق الألباني: ضعيف الإسناد. يُنظر: الترمذي: سنن الترمذي، (جـ٥/٤٠١)، رقم (٣٢٩٥).

(٣) رواه البخاري رقم(٨٤٦،١٠٣٨،٤١٤٧)، ومسلم، رقم(١٢٥،٧١)، والنسائي (١٥٢٥).

(٤) محاسن التأويل (جـ١/٨٥) في المقدمة.

(٥) **تعريف التَّوَسُّل لُغَةً:** في المصباح: (وَسَلْتُ إلى الله بالعمل "أَسِلُ" من باب وعد: رغبت وتقرّبت، ومنه اشتقاق "الوَسِيلَةِ" وهي ما يتقرّب به إلى الشيء والجمع "الوَسَائِلُ"، و"الوَسِيلُ" قيل جمع "وَسِيلَةٍ"، وقيل لغة فيها، و"تَوَسَّلَ" إلى ربِّه بوسيلة تَقَرَّبَ إليه بعمل)، وفي القاموس: (الوسِيلَةُ والواسِلَةُ: المَنْزِلَةُ عند المَلِكِ، والدَّرَجَةُ، والقُرْبَةُ. وَوَسَّلَ إلى الله تعالى توسيلاً: عَمِلَ عَمَلاً تَقَرَّبَ به إليه، كتَوَسَّلَ. والواسِلُ: الواجِبُ، والراغِبُ إلى الله تعالى)، وفي الصحاح: (الوَسيلَةُ: ما يتقرَّب به إلى الغير، والجمع الوَسيلُ والوَسائِلُ. والتوسيل والتَوَسُّلُ واحد. يقال: وَسَّلَ فلانٌ إلى ربّه وَسيلَةً، وتوَسَّلَ إليه بوَسيلَةٍ، أي تقرَّب إليه بعمل).
وكل ما تقدّم في معنى الوسيلة، قاله سائر علماء اللغة. يُنظر: الصحاح، (جـ٥/١٨٤١)- الفيومي: المصباح المنير، (جـ٢/٦٦٠)- القاموس المحيط، صـ (١٠٦٨).
واصطلاحًا: هو التقربُ إلى الله تعالى بطاعته وعبادته، واتباع أنبيائه ورسله، وبكلِّ عمل يحبه الله ويرضاه. قال ابن عباس رضي الله عنه: "إن الوسيلة هي القربة"، وقال قتادة في تفسير القربة: "أي تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما يُرضيه"، وهكذا... فإن كلَّ ما أمر به الشرعُ من الواجبات والمستحبات، فهو توسل شرعي ووسيلة شرعية. يُنظر: الرفاعي "محمد نسيب": التوصّل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، صـ (٢٠)، الناشر/ دار لبنان، ط/ الثالثة (١٣٩٩هـ).

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١] قال: ".. ﴿وَابْتَغُوا﴾ أي اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: القربة.."[٢]، ثم قال: "ما ذكرناه في تفسير (الوسيلة) هو المعوّل عليه، وقد أوضح إيضاحًا لا مزيد عليه، تقي الدين بن تيمية عليه الرحمة في (كتاب الوسيلة) فرأينا نقل شذرة منه، إذ لا غنى للمحقّق في علم التفسير عنه، قال رحمه الله بعد مقدّمات: (إن لفظ الوسيلة والتوسل، فيه إجمال واشتباه، يجب أن تعرف معانيه ويعطى كلّ ذي حق حقه، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك، ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه، فإن كثيرا من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها، حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب، فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٣] وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلًا أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُورًا﴾[٤]، فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغي إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك، سواء كان مُحرمًا أو مُكروهًا أو مُباحًا، فالواجب والمستحب: هو ما شرعه الرسول ﷺ فأمر به أمرَ إيجابٍ واستحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها، هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحدٍ إلى الله إلّا ذلك، و(الثاني) لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة: كقوله ﷺ:

---

(١) سورة المائدة الآية (٣٥).

(٢) محاسن التأويل (جـ٦/١٩٦٨).

(٣) سورة المائدة من الآية (٣٥).

(٤) سورة الإسراء الآية (٥٧-٥٦).

(سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْعَبْدَ, فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1] وَقَوْلُهُ: (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ, حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2] فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصةً، قد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبرنا أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله، وهو يرجو أن يكون ذلك العبد، وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول ﷺ، وأخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة؛ لأن الجزاء من جنس العمل؛ فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم، فإن الشفاعة نوع من الدعاء كما قال: (إِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)[3]، وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة، فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به السؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح، وحينئذ، فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة، فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء، فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته، والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم، فهذان جائزان بإجماع المسلمين، ومن هذا قول عمر بن الخطاب ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجْدَبْنَا تَوَسَّلْنَا إِلَيْك بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْك بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا)[4] أى بدعائه وشفاعته، وقَوْله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[5] أي: القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ طاعته،

---

[1] البخاري، رقم(٤٣٥٠)، ومسلم، رقم(٥٧٧)، والترمذي، رقم (١٩٥)، والمناقب (٣٥٤٧)، وغيرهم.

[2] رواه البخاري (جـ٢/٩٤-٦١٤)، وأبو داود (جـ١/٨٨)، والترمذي (جـ١/٦٢٢- ٦٢٣)، وغيرهم، وقال الترمذي: (حديث صحيح حسن غريب).

[3] البخاري في التفسير برقم(٤٣٥٠)، ومسلم في الصلاة برقم (٥٧٧).

[4] البخاريّ برقم(١٠١٠،٣٧١٠).

[5] سورة المائدة من الآية (٣٥).

قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[1] فهذا التوسل الأول: هو أصل الدين، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين، وأمّا التوسّل بدعائه وشفاعته- كما قال عمر رضي الله عنه- فإنه توسّل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسّل به إلى التوسل بعمه العباس رضي الله عنه ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس، عُلِمَ أن ما يُفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له، فإنه مشروع دائمًا.

فلفظ التوسل يُراد به ثلاثُ معانٍ: (أحدهما) التوسّل بطاعته، فهذا فرض لا يتمّ الإيمان إلّا به، و(الثاني) التوسّل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته، و(الثالث) التوسّل به، بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عن من ليس قوله حجة،.."[2].

فمن خلال تلك النقول والاستشهادات من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكذلك نقله – أعني القاسمي- لكلام ابن تيمية دون تعليق، يظهر موافقته لابن تيمية تمامًا وإقرارًا لما ذكر في هذه القضية العقدية، وهو بهذا يُدين بمنهج أهل السنة والجماعة.

---

(1) سورة النساء الآية (٨٠).

(2) محاسن التأويل (جـ٦/١٩٦٩-١٩٧١)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى (جـ١/١٩٩- ٢٠٤).

ثانيًا: <u>الأفعال التي تقدح في توحيد الألوهية.</u>

ذكر القاسمي بعض الأفعال التي تُنافي وتَقدح في توحيد الألوهية منها:

١- الذبح [١] لغير الله تعالى:

الذبح نوعان:

<u>الأول</u>: عبادة، وهو ما كان بقصد التقرب.

<u>الثاني</u>: عادة، وهو ما كان بقصد اللحم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، قال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[٣]، "أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما: الصلاة، والنسك الدالتين على القرب والتوضع والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله،....، والمقصود أن الصلاة والنسك هما أجَلّ ما يتَقَربُ به إلى الله .... وأجل العبادات البدنية الصلاة وأجل العبادات المالية النحر"[٤].

والقاسمي أوضح هذه القضية عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[٥]، قال: "..أي: نُودي عليه بغير اسم الله، وكان العرب في الجاهلية، يذكرون أسماء

---

[١] **<u>تعريف الذبح لغة:</u>** يقول ابن فارس: (ذَبَحَ) الذَّالُ والبَاءُ والحَاءُ أَصْلٌ واحدٌ، وهو يدل على الشَّقِّ. فَالذَّبْحُ: مصدر ذَبَحْتُ الشَّاةَ ذَبْحًا، (والذِّبْحُ، بالكسر: ما يُذْبَحُ. والذَّبيحُ: المَذْبوحُ). يُنظر: مقاييس اللغة، (جـ٢/٣٦٩)- القاموس المحيط، صـ (٢١٧).

<u>واصطلاحًا</u>: هو قتل حيوان، مقدور عليه، مباح أكله، بقطع الحلقوم أو المرئ. يُنظر: الكاساني "أبو بكر بن مسعود بن أحمد": بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (جـ٥/٤١)، الناشر/ دار الكتب العلمية، ط/ الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) - البهوتي "منصور بن يونس": كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق/ محمد أمين الضناوي، (جـ٥/١٧٦)، الناشر: عالم الكتب، ط/ الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

[٢] سورة الأنعام الآية (١٦٢).

[٣] سورة الكوثر الآية (٢).

[٤] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ١٦/٥٣١-٥٣٢).

[٥] سورة المائدة من الآية (٣).

أصنامهم عند الذبح، فحرم الله ذلك بهذه الآية، وقال ابن كثير في الآية: أي ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله، فهو حرام، لأن الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمن عدل بها عن ذلك، وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات، فإنها حرام بالإجماع"[١].

وقال عند قول الله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٢]، "أي: عند ذبحه، أي: بأن ذكر عليه اسم غيره، يعني: ذبح لغيره تعالى، ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[٣] والفسق ما أهلّ لغير الله به"[٤].

وقال أيضًا عند قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[٥]، "أي: فاجعل صلاتك لربك وحده، وانحر ذبيحتك مما هو نسك لك لله وحده، فإنه هو مربيك ومسبغ نعمه عليك دون سواه"[٦].

من هنا يتبيَّن أن منهج القاسمي في قضية الذبح لغير الله أو بغير اسمه من الأمور المحرمة.

---

(١) محاسن التأويل (جـ٦/١٨١٦)- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (جـ٣/١٣).

(٢) سورة الأنعام من الآية (١٢١).

(٣) سورة الأنعام من الآية (١٢١).

(٤) محاسن التأويل (جـ٦/٢٤٨٢).

(٥) سورة الكوثر الآية (٢).

(٦) محاسن التأويل (جـ١٧/٦٢٧٧).

٢- **النَّذْرُ**[١]:

النَّذر هو من أنواع العبادة التي يجب صرفها لله تعالى، ويحرم صرفها لغيره[٢]، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٤].

والقاسمي بيَّن أن نذر الطاعة يجب الوفاء به لأنه نذر برٍ وخيرٍ بخلاف نذرِ المعصية فإنه لا يجوز الوفاء به؛ لأنه ناشيء عن معصية، قال – رحمه الله–: "وإن قصد به –أي النذر– وهو الغالب من العامة تعظيم البقعة والقبر والتقرب إلى من دفن فيها أو نسب إليه فهذا نذر باطل غير منعقد، فإنهم يعتقدون أنَّ لهذه الأماكن خصوصيات لأنفسهم ويرون أن النذر لها مما يندفع به البلاء، وهو اعتقاد فاسد وإشراك به تعالى"[٥].

---

[١] **تعريف النَّذْرُ لغة:** هو النَّحْبُ، وهو ما يَنْذِرُهُ الإنسانُ فيجعلُهُ على نفسِه نَحْبًا واجبًا، يُقَال: نذر على نفسِه لِلَّهِ كذا، يَنْذِرُ، وَيَنْذُرُ، نَذْرًا وَنُذُورًا، كما يُقَال: أُنْذِرُ وَأَنْذِرُ نَذْرًا، إذا أوجبت على نفسِك شيئًا تَبَرُّعًا، من عبادة أو صدقة، أو غير ذلك. يُنظر: القاموس المحيط، صـ (٤٨١)- لسان العرب (جـ٥/٢٠٠)- الفيومي: المصباح المنير (جـ٢/٥٩٩).

واصطلاحًا: هو إِلْزَامٌ مكلَّفٍ مختار نفسَهُ لِلَّهِ تعالى بالقول شيئًا غير لازم عليه بأصل الشرع. يُنظر: الكاساني: بدائع الصنائع، (جـ٥/٨٢) – البهوتي: كشاف القناع، (جـ٦/٢٧٣).

[٢] الصنعاني "محمد بن إسماعيل": محمد بن علي بن محمد الشوكاني: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، تحقيق/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، صـ (٧٣)، الناشر/ مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ)- أبابطين "عبد الله بن عبد الرحمن": الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، تحقيق/ الوليد بن عبد الرحمن الفريان، صـ (٧٥)، الناشر/ دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، بدون رقم الطبعة (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

[٣] سورة البقرة من الآية (٢٧٠).

[٤] سورة الإنسان الآية (٧).

[٥] القاسمي: إصلاح المساجد، صـ (٢١٠).

كما أورد حديثًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ..﴾[١]، عن ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ[٢] قَالَ: (نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟)، قَالُوا: لَا قَالَ: (فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟) قَالُوا: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ)[٣]، ثم قال: "ففيه، أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة. وفيه المنع من النذر إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله، أو عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله أيضًا، وأنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية وفيه الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده"[٤].

من ذلك يظهر أن القاسمي يرى أن النذر من أنواع العبادة التي يجب صرفها لله، ويحرم صرفها لغيره، وهو بهذا يوافق منهج أهل السنة والجماعة.

---

[١] سورة المائدة من الآية (٣).

[٢] هو: ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ بن خليفة الأَنْصَارِيُّ بنِ ثَعْلَبَةَ بن عديٍّ بنِ كَعْبِ بنِ عبدِ الأَشْهَلِ، يُكنى أبا زَيْدٍ، يُقالُ: إنه أخو أبي جَبِيرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ، ودليلُ النَّبِيِّ ﷺ إلى حمراء الأَسَدِ، شهد الشجرة بالحديبية، كان رديف النَّبِيِّ ﷺ يوم الخندق، ودليله إلى حمراء الأسد بالحديبية، (ت: ٦٤هـ). يُنظر: أبو نعيم الأصبهاني "أحمد بن عبد الله": معرفة الصحابة، (جـ١/٤٦٧)، تحقيق/ عادل بن يوسف العزازي، الناشر/ دار الوطن للنشر، الرياض، ط/ الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)- الزركلي: الأعلام ، (جـ٢/٩٨).

[٣] أخرجه أبو داود برقم (٣٣١٣)، ومن طريقه البيهقي (جـ١٠/٨٣)، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم(١٣٤١)، وإسناده صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم، وقد صححه الحافظ في التلخيص (جـ٤/١٨٠)، والألباني في حاشية مشكاة المصابيح (جـ٢/١٠٢٤). يُنظر: ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي": المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، (جـ٨/٥٨٤)، تحقيق/ مجموعة من الباحثين، الناشر/ دار العاصمة للنشر والتوزيع – دار الغيث للنشر والتوزيع، ط/ الأولى، (١٤١٩هـ).

[٤] محاسن التأويل (جـ٦/١٨٢٣).

٣- السِّحْرُ[١]:

عرَّف القاسمي (السِّحْرَ) فقال: "واعلم أن لفظ السحر، في عرف الشرع، مختص بكل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد، أفاد ذم فاعله، قال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾[٢]، يعني موّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيّهم تسعى، وقد يستعمل مُقيدًا: فيما يمدح ويحمد، كما قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا)[٣]؛ لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل، ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه، وبليغ عبارته، وبالجملة، فالسحر المطلق: إنما هو تخييل بشعوذة صارفة للأبصار، أو تمتمة مزخرفة عائقة للأسماع .."[٤].

---

(١) **تعريف السِّحْرِ لغة:** هو الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والجمع أسحار، وسحور، وسحره يسحره سَحرًا وسِحرًا وسَحّره، ورجل ساحر من قوم سحرة وسُحّار، وسَحّار من قوم سحّارين، ولا يكسر، والسحر أيضًا: البيان في فطنة كما جاء في الحديث أنه ﷺ قال: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا). البخاري برقم (٥١٤٦)، وقال ابن الأثير: يعني إن من البيان لسحرًا: أي منه ما يصرف قلوب السامعين وإن كان غير حق، وقيل معناه إن من البيان ما يكسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الذم، ويجوز أن يكون في معرض المدح، لأنه تستمال به القلوب ويرضى به الساخط ويستنزل به الصعب، قال الأزهري: وأصل السَّحر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيّل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه، وقال الفراء: في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾. سورة المؤمنون(٨٩)، معناه فأنى تصرفون، كما يأتي السحر ويراد به الخديعة، يُقالُ: سحره بالطعام والشراب: أي خدعه. يُنظر: لسان العرب (جـ٢/١٠٦-١٠٧)- القاموس المحيط، صـ (٤٠٥).

واصطلاحًا: هو كل ما فيه مخادعة أو تأثير في عالم العناصر نتيجة الاستعانة بغير الله من شيطان أو نحوه، يشبه الخارق للعادة وليس فيه تحد يمكن اكتسابه بالتعلم. يُنظر: المعتق "د/ عواد بن عبد الله": حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة، صـ (١٤٠)، الناشر/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط/ السنة ٣٤ - العدد ١١٥ - ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.

(٢) الأعراف من الآية (١١٦).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة نفسها.

(٤) محاسن التأويل (جـ٢/٢١٣-٢١٤).

كما بين القاسمي حقيقة السحر؛ وذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾(١)، فقال: "قال ابن جرير: أي ومن شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها، وبه قال أهل التأويل"(٢).

وبيَّن كذلك حكم استعماله وتعلمه؛ فقد قرر أن السحر كفر؛ لكونه يتوجه إلى الأفلاك والشياطين وعبادتها، وزعم أنها مؤثرة من دون الله تعالى، فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ..﴾(٣)، "أنه تعالى كنى عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر، وأن من كان نبيا كان معصومًا عنه، وإنما كان كفرًا لكونه يكون بالتوجه إلى الأفلاك والشياطين وعبادتها، وزعم أنها مؤثرة دونه تعالى"(٤)، وقال: "المراد بقوله: ﴿كَفَرُوا﴾(٥) كفرهم بآيات الله المنزلة، أو عبادتهم غيره تعالى، أو كفرهم باستعمال السحر والشعوذة، تعمية على الحق، وتغشية للبصائر"(٦)، وقال: "﴿وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ﴾ إرشاد إلى أن ليس في تعلم السحر إلا المضرة، لما فيه من التلبيس والتمويه، وإيهام الباطل حقًّا، والتوصل به إلى المفاسد والشرور، وقوله سبحانه: ﴿وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾ صرح به إيذانًا بأنه ليس من الأمور المشوبة بالنفع والضرر، بل هو شر بحت، وضرر محض"(٧).

فظهر بهذا أن منهج القاسمي في قضية السحر، وحكمه، وتعلمه، موافقٌ لمنهج أهل السنة والجماعة.

---

(١) سورة الفلق الآية (٤).

(٢) محاسن التأويل (جـ١٧/٣٦٠٧)- الطبري: جامع البيان، (جـ٢٤/٧٤٩).

(٣) سورة البقرة من الآية (١٠٢).

(٤) محاسن التأويل (جـ٢/٢٠٨).

(٥) سورة البقرة من الآية (١٠٢).

(٦) محاسن التأويل (جـ٢/٢٠٨).

(٧) المرجع السابق (جـ٢/٢١٤).

٤- التَّنْجِيمُ[١]:

تنوعت العبارات في تعريفه، ولعل أوضحها[٢] هذا التعريف: "ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات[٣] العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية"[٤].

---

[١] **تعريف التَّنْجِيم لغة:** قول الخليل: "النجم اسم يقع على الثريا، وكل منزل من منازل القمر سمي نجمًا، وكل كوكب من أعلام الكواكب يسمى نجمًا، والنجوم تجمع الكواكب كلها، ويقال لمن تفكر في أمره لينظر كيف يدبره نظر النجوم.. والمنجم الذي ينظر في النجوم، والنجوم وظائف الأشياء، وكل وظيفة نجم.. والنجم من النبات مالم يقم على ساق، كساق الشجر.. ونجم الناب إذا طلع، وأنجمت السماء، بدت نجومها"، وفي لسان العرب: والمنجم والمتنجم الذي ينظر في النجوم، يحسب مواقيتها وسيرها، فالمنجم هو الذي ينظر في النجوم، يحسب مواقيتها وسيرها، والتنجيم فعل ذلك. يُنظر: معجم العين (جـ٦/١٥٤- ١٥٥)- لسان العرب (جـ١٢/٥٦٨- ٥٧٠)- القاموس المحيط، صـ (١٤٩٩)- الصحاح (جـ٥/٢٠٣٩).

واصطلاحًا: هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن، والحوادث التي لم تقع، وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها، ويدعون لها تأثيرًا في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها، وتجري على قضايا موجباتها، وعرفه ابن تيمية بقوله: "هو الاستدلالُ على الحوادثِ الأَرْضِيَّةِ بالأحوال الفَلَكِيَّة والتَّمْزِيجِ بين القُوَى الفلكيِّ والقَوَابِلِ الأرضِيَّةِ كما يزعمون". يُنظر: الخطابي "حمد بن محمد بن إبراهيم": معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، (جـ٤/٢٢٩)، الناشر/ المطبعة العلمية- حلب، ط/ الأولى (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٣٥/١٩٢).

[٢] المشعبي "عبد المجيد بن سالم": التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، صـ (٣٦)، الناشر/ أضواء السلف، الرياض، ط/ الثانية (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

[٣] المولّد: المحدث من كل شيء. يُنظر: لسان العرب (جـ٣/٤٧٠).

[٤] ابن خلدون "عبد الرحمن بن محمد": ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (جـ١/٧١٤)، تحقيق/ خليل شحادة، الناشر/ دار الفكر، بيروت، ط/ الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

ولقد بيّن القاسمي أن هناك قسمًا من علم النُّجوم ليس له دخل في علم الغيب، بل هو علمٌ يُعرف بعلم النظر والاستدلال والتجربة والبحث، فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[1]، "وفي هذا إبطال الكهانة والتنجيم، لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط"[2]، ثم قال: ".. وهذا الجواب يلجأ إليه المتفقهة زعمًا بأن معرفة مواقيت الكسوف، وخواص المفردات مما يشمله علم الغيب، والصواب عدم شموله لمثله، لأنه مما يتيسر للناس أن يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث، كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية، وبالجملة فكل ما يمكن للإنسان أن يصل إليه بنفسه لا يكون من الغيب في شيء"[3].

وقال أيضًا عند تأويله لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4]، "ذكر تعالى في غير هذه السورة كون هذه الكواكب زينة للسماء، وكونها رجوما للشياطين، قال بعض السلف: ممن اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه: أن الله جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر"[5].

وبعد هذه النقول يتبيَّنُ أن القاسمي موافقٌ لمنهج أهل السنة والجماعة في قضية التنجيم، والحكم بكفر فاعله إذا كان فعله يتضمن دعوى مشاركة الله تعالى في علم الغيب الذي اختص به، والكفر بما أخبر به جل وعلا في كون الغيب لا يعلم به أحد سواه كما عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[6]، أي فإنه المتفرد بذلك

---

[1] سورة الجن الآية (٢٧).

[2] محاسن التأويل (جـ١٦/٥٩٥٤).

[3] المرجع السابق (جـ١٦/٥٩٥٥-٥٩٥٦).

[4] سورة الأنعام الآية (٩٧).

[5] محاسن التأويل (جـ٦/٢٤٣٢).

[6] سورة النمل من الآية (٦٥).

وحده"[1]، وبجواز تعلّمه إذا كان بعلم الحساب والمشاهدة، وليس بأمور خفية، كربط الأسباب بمسبباتها، والأمور بمقدماتها، مثل علم وقت طلوع الهلال بالحساب، وعلم وقت نزول المطر بمشاهدة الرياح، فهذا ليس من التنجيم المنهي عنه في شيء، "وأما الإخبار عما يسمى (بالطقس) أحوال الجو من أمطار، أو رياح أو غيوم أو صحو أو غير ذلك، فهي توقعات مبنية على مقدمات مستفادة من مراصد الأحوال الجوية التي تتأثر بالرطوبة واليبوسة ونحو ذلك، ولهذا كثيرًا ما يكون الأمر على خلاف ما قالوا"[2].

٥- **التطيّر**[3]:

وردت نصوص شرعية بالنهي عنه والتحذير منه، قال رسول الله ﷺ: "لَا عَدْوَى،

---

[1] يُنظر: محاسن التأويل (جـ١٣/٤٦٨٠) – أبو السعود: إرشاد العقل السليم، (جـ٦/٢٩٦).

[2] الغنيمان "عبد الله بن محمد": شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، (جـ١/١١٢)، الناشر/ مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ).

[3] **تعريف التطيّر لغة:** قال ابن منظور: "التّطيّر: التّشاؤم، والطّائر: ما تشاءمت به، والطّائر: الحظّ وهو الّذي تسمّيه العرب البخت، والطّيرة: ما يتشاءم به من الفأل الرّديء، وقال ابن فارس: "الطّاء والياء والرّاء أصل واحد يدلّ على خفّة الشّيء في الهواء، ثمّ يستعار ذلك في غيره وفي كلّ سرعة، من ذلك الطّير جمع طائر، سمّي بذلك لما قلناه ... ثمّ يقال لكلّ من خفّ قد طار ... فأمّا قولهم تطيّر من الشّيء فاشتقاقه من الطّير كالغراب وما أشبهه"، وقد بيّن الرّاغب العلاقة بين الطّير والتّطيّر فقال: "وتطيّر فلان، واطّيّر: أصله التّفاؤل بالطّير، ثمّ يستعمل في كلّ ما يتفاءل به ويتشاءم"، ويقول الفيّوميّ: "وتطيّر من الشّيء واطّيّر منه، والاسم طِيرَة على وزن عِنَبة، وهي التّشاؤم وكانت العرب إذا أرادت المضيّ لمهمّ مرّت بمجاثم الطّير وأثارتها لتستفيد، هل تمضي أو ترجع، فنهى الشّارع عن ذلك"، والطّيرة:- بكسر ففتح- ما يتشاءم به من الفأل الرّديء. يُنظر: لسان العرب، (جـ٤/٥١٢)- مقاييس اللغة، (جـ٣/٤٣٥-٤٣٦) – المفردات في غريب القرآن، صـ(٥٢٨)- الفيومي: المصباح المنير، (جـ٢/٣٨٢).

واصْطِلَاحًا: هو التشاؤم بمرئيٍ أو مسموعٍ أو غيرهما. يُنظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (جـ٧/٢٦٥) – ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر": مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق/ عبد الرحمن بن حسن بن قائ، (جـ٣/١٥٢٣)، الناشر/ دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط/ الأولى (١٤٣٢هـ).

وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَ، وَلا صَفَرَ"[١]، وقد بيّن القاسمي طريقة العرب قديمًا في الطيرة، فقال: "لما كان المسافر من العرب إذا خرج مرّ به طائر سانحا، وهو ما وليه بميسرته، أو بارحًا وهو ما وليه بميمنته- تيمنوا بالأول، وتشاءموا بالثاني، ونسبوا الخير والشر إلى الطائر، ثم استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته، أو من عمل العبد الذي هو سبب الرحمة والنقمة"[٢].

كما بيّن – رحمه الله – أن الطيرة من عادة الجهال هي أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه، فقال عند قول الله تعالى: ﴿قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]، "وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه، وآثروه وقبلته طباعهم، ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه، فإن أصابهم نعمةٌ أو بلاءٌ قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا"[٤]، وأوضح القاسمي أن سبب شؤمهم هو الكفر والمعاصي، فقال عند تأويله لقوله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[٥]، "﴿قالُوا﴾ أي: الرسل ﴿طائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: سبب شؤمكم معكم، وهو الكفر والمعاصي"[٦].

وبيّن القاسمي أن كل ما ينزل بالإنسان من الخير أو الشر فإنما هو بقضاء الله وقدره، فالكل من عند الله، فقال عند تأويله لقوله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٧]، "﴿أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: شدتهم، وما طار إليهم من القضاء والقدر

---

[١] البخاري رقم(٥٧٠٧، ٥٧٥٧)، مسلم رقم (٢٢٢٠).
[٢] محاسن التأويل (جـ١٣/٤٦٧٣).
[٣] سورة يس الآية (١٨).
[٤] محاسن التأويل (جـ١٤/٤٩٩٦).
[٥] سورة يس الآية (١٩).
[٦] محاسن التأويل (جـ١٤/٤٩٩٦).
[٧] سورة الأعراف الآية (١٣١).

عند الله، لا عند غيره، أي من قبله تعالى ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن ما أصابهم من الله تعالى"[١]٠

من هنا يتبين منهج القاسمي في هذه القضية في أن التطير هو التشاؤم وهو من عادة الجهال، وأن من قام على التوحيد والاعتقاد الصحيح، فإن التطير والشؤم عنه بعيد، وأن ما أصاب الناس من الخير والشر فهو من قضاء الله وقدره٠

٦- البناء على القبور واتخاذها مساجد والتَّبَرُّك بها:

من أعظم الأمور خطرًا على عقيدة المسلم، هذه الفتنة التي انتشرت في الكثير من بلاد المسلمين، ألا وهي فتنة البناء على القبور واتخاذها مساجد وإنفاق الأموال الكثيرة على زخرفتها فإذا رآها الجاهل عظمها في قلبه، ودخلت عليه المهابة من صاحب القبر، فصار ذلك وسيلة للوقوع في الشرك، إذ قد يزين له الشيطان أن يطلب من صاحب القبر – الذي اعتقد أنه عظيم من العظماء وقعت في قلبه مهابته – ما لا يقدر عليه إلا الله فيقع في الشرك الذي حذرنا منه رسولنا الكريم ﷺ[٢]٠

لقد بيّن القاسمي أن أصل عبادة الأصنام هو البناء على القبور والتبرك بها، كما بيّن سرَّ مقصود النبي ﷺ بنهيه عن تعظيم القبور واتخاذ المساجد عليها، فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾[٣]، "أي من المتنازعين، وهم أرباب الغلبة ونفوذ الكلمة ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ أي نصلي فيه، تبركًا بهم وبمكانهم، قال ابن كثير[٤]: (حكي في القائلين ذلك قولان: أحدهما: إنهم المُسْلِمُونَ منهم، والثاني: أهلُ الشِّرْكِ منهم، فَاللَّهُ أعلم، وَالظَّاهِرُ أن الذين قالوا ذلك هم أصحَابُ الكلمةِ

---

[١] محاسن التأويل (جـ٧/٢٨٤١)٠

[٢] يُنظر: فهد عامر العجمي: منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، (جـ١/٢١٤)٠

[٣] سورة الكهف من الآية (٢١)٠

[٤] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (جـ٥/١٣٣)٠

وَالنُّفُوذِ، ولكن هل هم مَحمُودُون أم لا؟ فِيهِ نَظَرٌ؛ لأن النبيّ ﷺ قال: (لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)[١]. يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا"[٢]، ثم قال القاسمي مُعقبًا على كلام ابن كثير: "وعجيب من تردده في كونهم غير محمودين، مع إيراده الحديث الصحيح بعده، المسجل بلعن فاعل ذلك، وهو أعظم ما عنون به على الغضب الإلهي والمقت الرباني، والسبب في ذلك أن البناء على قبر النبيّ والوليّ مدعاة للإقبال عليه والتضرع إليه، ففيه فتح لباب الشرك وتوسل إليه بأقرب وسيلة، وهل أصل عبادة الأصنام إلا ذلك؟ كما قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٣]، قال: (هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قومهم، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم، فهؤلاء لما قصدوا الانتفاع بالموتى، قادهم ذلك إلى عبادة الأصنام)، قال الإمام محمد بن عبد الهادي[٤] عليه الرحمة، في كتابه (الصارم المنكى) بعد إيراده ما تقدم: (يوضحه أن الذين تكلموا في زيارة الموتى من أهل الشرك، صرّحوا بأن القصد هو انتفاع الزائر بالمزور، وقالوا: من تمام الزيارة أن يعلق همته وروحه بالميت وقبره، فإذا فاض على روح الميت من العلويات الأنوار، فاض منها على روح الزائر بواسطة ذلك التعلق والتوجه إلى الميت، كما ينعكس النور على الجسم الشفاف، بواسطة مقابلته وهذا المعنى بعينه، ذكره عباد الأصنام في زيارة القبور، وتلقّاه عنهم من تلقاه ممن لم يحط علما بالشرك وأسبابه ووسائله، ومن هاهنا يظهر سر مقصود النبيّ ﷺ بنهيه

---

(١) أخرجه البخاري، رقم (٩٦)، ومسلم، رقم (٢١-٢٠-١٩).

(٢) محاسن التأويل (جـ١١/٤٠٣٦).

(٣) سورة نوح الآية (٢٣).

(٤) **ابن عبد الهادي**: هو: شمس الدّين مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الْهَادِي بن يُوسُف بن مُحَمَّد بن قدامَة الْمَقْدِسِي الْحَنْبَلِيّ الجماعيلي الأصل ثم الصالحي، اعتنى بالرجال والعلل والحديث والفقه، من مؤلفاته: الصارم في الرد على السبكي، (ت٧٤٤). يُنظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ (جـ٤/٢٠٢)- جلال الدين السيوطي "عبد الرحمن بن كمال": طبقات الحفاظ، (جـ١/٥٢٤-٥٢٥)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٣هـ).

عن تعظيم القبور واتخاذ المساجد عليها والسرج، ولعنه فاعل ذلك وإخباره بشدة غضب الله عليه، ونهيه عن الصلاة إليها، ونهيه عن اتخاذ قبره عيدًا، وسؤاله ربه تعالى أن لا يجعل قبره وثنا يعبد، فهذا نهيه عن تعظيم القبور، وذلك تعليمه وإرشادة للزائر أن يقصد نفع الميت والدعاء له والإحسان إليه، لا الدعاء به ولا الدعاء عنده)[1]"[2].

كما بيّن القاسمي أن المساجد لم تُشَدْ إلا ليذكر فيها اسمه تعالى وحده، فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[3]، "﴿وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: مختصة به ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي: فلا تعبدوا فيها غيره. تعريض بما كان عليه المشركون من عبادتهم غيره تعالى بمسجده الحرام، ونصبهم في التماثيل والأنصاب، وبما عليه أهل الكتاب، فإن المساجد لم تُشَدْ[4] إلا ليذكر فيها اسمه تعالى وحده، ومن هنا ذهبت الحنابلة إلى أنه لا يجتمع في دين الله مسجد وقبر، وأن أيهما طرأ على الآخر وجب هدمه"[5].

من هذه النقول يتضح منهج القاسمي في هذه القضية، وهو أنه لا يجوز البناء على القبور واتخاذها مساجد، كذا والتبرك بها فإن هذا الفعل يعتبر من نواقض التوحيد وأصل الشرك.

---

[1] ابن عبد الهادي "شمس الدين": الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ على السبكي، تحقيق/ عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، صـ (٢٨٦-٢٨٧)، الناشر/ مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

[2] محاسن التأويل (جـ١١/٤٠٣٧).

[3] سورة الجنّ الآية (١٨).

[4] لم تُشَدْ: من الفعل المبني للمجهول (تُشَاد)، عند الجزم تحذف الألف فنقول: (لم تُشَدْ).

[5] محاسن التأويل (جـ١٦/٥٩٥١).

الفصل الثالث:

توحيد الأسماء والصفات في تفسير محاسن التأويل

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الأسماء والصفات٠

ويشتمل على ثلاثةِ مطالب:

المطلب الأول: أسماء الله تعالى٠ المطلب الثاني: صفات الله تعالى٠

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات٠

المبحث الثاني: منهج القاسمي في أسماء الله تعالى٠

ويشتمل على أربعةِ مطالب:

المطلب الأول: أسماء الله تعالى حسنى٠

المطلب الثاني: أسماء الله تعالى توقيفية٠

المطلب الثالث: إحصاء أسماء الله تعالى الحسنى٠

المطلب الرابع: اسم الله تعالى الأعظم٠

المبحث الثالث: البحث في صفات الله تعالى٠

ويشتمل على أربعةِ مطالب:

المطلب الأول: صفاتُ الله تعالى توقيفيةٌ لا مجال للعقل فيها٠

المطلب الثاني: صفاتُ اللهِ تعالَى ثابتةٌ من غير تحريفٍ، ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل٠

المطلب الثالث: القول في الصفات كالقول في الذات٠

المطلب الرابع: صفاتُ الله تعالى متنوعةٌ في تعلقها بذاته٠

المبحث الرابع: رأي القاسمي في صفات الله٠

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهج القاسمي في الصفات الملازمة٠

المطلب الثاني: منهج القاسمي في الصفات الاختيارية٠

المبحث الأول:

توحيد الأسماء والصفات،

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسماء الله تعالى.

المطلب الثاني: صفات الله تعالى.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الأول:

أسماء الله تعالى:

أولًا: تعريف الاسم لغةً: اختلف علماء العربية في أصل كلمة (اسم) على قولين:

القول الأول: ذهب البصريون ومن تابعهم إلى أَنَّ الاسم مشتق من (السُّمُو) بمعنى الرفعة والعُلُو[(١)]، "والاسم مشتق من (سَمَوْت) لأنه تنويه ورفعة، واسْمٌ تقديره (افْعٌ) والذاهب منه الواو؛ لأنَّ جمعه (أسماء)، وتصغيره (سُمَيٌّ)، واختلف في تقدير أصله، فقال بعضهم: (فِعْلٌ)، وقال بعضهم (فُعْلٌ)، و (أَسْمَاء) يكون جمعًا لهذين الوزنين، مثل: جِذْعٍ وأَجْذَاعٍ، وقُفْلٌ وأَقْفَالٍ"[(٢)].

القول الثاني: وذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم مشتق من (الوَسْم) و(السِّمَة)، وهي العلامة[(٣)]، والقول الأول هو الأصح؛ لأنَّ معناه أَخَصُّ وَأَتَمُّ، وهو من الاشتقاق الخاص الذي يتفق فيه اللفظان في الحروف وترتيبها، فَإِنَّهُم يقولون: (سَمَّيْتُ)، ولا يقولون (وَسَمْتُ)، وفي جمعه: (أَسْمَاء) لا (أَوْسَام)، وفي تصغيره (سُمَيٌّ) لا (وَسيم)، ويقال لصاحبه: (مُسَمَّى) لا (مَوْسُوم)[(٤)]؛ وذلك لأنَّ العرب لا تعرف شيئًا دخلته ألف الوصل وحذفت فاء فعله، نحو قولك (عِدَة)، و (زِنَة)، وأصله (وِعْدَةٌ) و (وِزْنَةٌ)، فلو كان أصل الاسم (وَسْم) لكان تصغيره إذا حذفت منه ألف الوصل (وَسِيم)، وفي الجمع (أَوْسَام)، كما أَنَّ تصغير (عِدَة)، و(صِلَة):

---

(١) يُنظر: أبو إسحاق الزجاج "إبراهيم بن السري بن سهل": معاني القرآن وإعرابه، تحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي، (جـ١/٤٠)، الناشر/ عالم الكتب – بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)۰

(٢) لسان العرب، (جـ٤١٤/١٤) – الجوهري: الصحاح، (جـ٢٣٨٣/٦)۰

(٣) أبو البركات الأنباري "عبد الرحمن بن محمد": الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، (جـ١/٨)، الناشر/ المكتبة العصرية، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م)۰

(٤) البغوي: معالم التنزيل، (جـ١/٧١)۰

(وعيدة) و(وصيلة)، ولا يقدر أحد أن يرى أَنَّ في العربية ألف الوصل في ما حذفت فاؤه من الأسماء[١].

ومما يدل على ترجيح القول الأول أيضًا: "أَنَّ من قال الاسم مشتق من العلو يقول: لم يزل اللهُ سبحانه موصوفًا قبل وجود الخلق وبعد وجودهم وعند فنائهم، ولا تأثير لهم في أسمائه وصفاته، وهذا قول أهل السُّنَّة، ومن قال مشتق من السِّمة يقول: كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات، فإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة، وهذا قول المعتزلة، وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة، وهو أعظم من قولهم: إِنَّ كلامه مخلوق، تعالى الله عن ذلك"[٢].

وذكر العلماء في تعليل اشتقاق الاسم من السُّمُو وهو الرفعة ثلاثةَ أقوال:

القول الأول: لأنَّ صاحبه بمنزلة المرتفع به.

القول الثاني: لأنَّ الاسم يسمو بالمُسَمَّى فيرفعه عن غيره.

القول الثالث: إِنَّمَا سُمِّيَ الاسم اسمًا لأَنَّهُ علا بقوته على قسمي الكلام: الحرف والفعل، والاسم أقوى منهما بالإجماع؛ لأَنَّهُ الأصل، فَلِعُلُوِّهِ عليهما سمي اسمًا[٣].

ومع ترجيح القول الأول- وهو أن الاسم مشتق من (الوَسْم) و(السِّمَة)- وَعَدِّ صلة الاشتقاق بالمعنى أصح، إلاّ أَنَّ كلا المعنيين صحيح ومتقارب، ولهذا قيل: "وكلاهما أحسن من جهة المعنى، إلاّ أَنَّ اللفظ يشهد مع البصريين"[٤].

---

(١) يُنظر: الغصن "عبد الله بن صالح": أسماء الله الحسنى، صـ (٢٠)، دار الوطن، ط/ الأولى (١٤١٧هـ).

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (جـ١/١٠١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) ابن يعيش "يعيش بن علي": شرح المفصل، تحقيق/ د. إميل بديع يعقوب، (جـ١/٢٦)، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)- عبد الله الغصن: أسماء الله الحسنى، صـ (٢١).

وأما القاسمي فلم يُفصح عن ذلك بشيء إلا من خلال استقراء كلامه يُرى أنه يختار رأي البصريين، فقد قال عند تأويله لقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾[١]، "الاسم هنا بمعنى التسمية- كالكلام بمعنى التكليم"[٢].

ثانيًا: تعريف الاسم اصطلاحًا: الاسم في اللسان العربي له تعريفات ثلاث:

الأول: يطلق ويُراد به ما يقابل الفعل والحرف، وهذا أوسع إطلاقات الاسم عند النحاة، وله خمس علامات تميزه من غيره، وهي: دخول الجر عليه، والتنوين، والنداء، و(ال)، والإسناد إليه[٣]، "وهو ما كان فاعلًا أو مفعولًا، أو واقعًا في خبر الفاعل والمفعول به"[٤].

الثاني: يطلق ويُراد به ما يقابل الكنية واللقب[٥].

الثالث: يطلق ويُراد به الجامد (غير المشتق)، ويكون المراد بالمشتق الصفة[٦].

وفَصَّلَ أبو بكر بن فورك[٧]، فقال: "اختلف الناس في حقيقة الاسم، ولأهل اللغة فيه كلام، ولأهل الحقائق فيه بيان، وبين المتكلمين فيه خلاف، أما أهل اللغة فيقولون: الاسم

---

[١] سورة الفاتحة الآية (١).

[٢] محاسن التأويل (جـ٢/٥).

[٣] ابن هشام "عبد الله بن يوسف": أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، (جـ١/٣٧)، الناشر/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٩٤م)، بدون رقم الطبعة – عبد الله الغصن: أسماء الله الحسنى، صـ (٢١).

[٤] يُنظر: الزَّجَّاجي"عبد الرحمن بن إسحاق": الإيضاح في علل النحو، تحقيق/ الدكتور مازن المبارك، صـ(٤٨)، الناشر/ دار النفائس – بيروت، ط/ الخامسة (١٤٠٦هـ -١٩٨٦م).

[٥] عبد الله الغصن: أسماء الله الحسنى، صـ (٢١).

[٦] المرجع السابق.

[٧] **ابن فورك:** هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف في الأصول والعلم، روى مسند الطيالسي عن أبي محمد بن فارس، وتصدر للإفادة بنيسابور، وكان ذا زهد وعبادة وتوسع في الأدب والكلام والوعظ والنحو، (ت: ٤٠٦هـ) . يُنظر: الذهبي: العبر في خبر من غبر، (جـ٣/ ٩٧)- حاجي خليفة "مصطفى بن عبد الله": كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (جـ١/٤٣٩)، الناشر/ مكتبة المثنى، بغداد، ، تاريخ النشر (١٩٤١م).

حروف منظومة دالة على مفرد، ومنهم من يقول: إِنَّهُ قول يدل على قول مذكور يضاف إليه، يعني الحديث والخبر ... وأما أهل الحقائق فقد اختلفوا أيضًا في معنى ذلك، فمنهم من قال: اسم الشيءِ هو ذاته وعينه، والتسمية عبارة عنه ودلالة عليه، فيسمى اسمًا توسعًا، وقالت الجهمية والمعتزلة: الأسماء والصفات هي الأقوال الدالة على المُسَمَّيَات، وهو قريب مما قاله بعض أهل اللغة"[١].

وقيل: "الاسم ما دَلَّ على معنىً في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة"[٢]، وقيل: "هو ما كان موجودًا في الأعيان كالمحسوسات، أو في الأذهان كالمعقولات، وهناك وجود ثالث أيضًا وهو الوجود في اللسان، وهو الوجود اللفظي"[٣]، وعند أهل السنة[٤] الاسم هو: اللفظ الدال على المسمى[٥]، وأسماء الله هي: كل ما دل على ذات الله مع صفات

---

[١] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٦/١٨٩).

[٢] الجرجاني: معجم التعريفات، صـ (٢٤).

[٣] يُنظر: أبو حامد الغزالي "محمد بن محمد الطوسي": المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى، صـ(٢٧)، تحقيق/ بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر/ الجفان والجابي . قبرص، ط/ الأولى (١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م).

[٤] يُنظر: ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر": بدائعُ الفوائدِ، تحقيق/ علي بن محمّد العمران، (جـ١/٢٩)، الناشر/ دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط/ الأولى (١٤٢٥هـ) – ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٦/١٨٩).

[٥] **ما الفرق بين الاسم والمسمى؟** الاسم والمسمى إذا اجتمعا فيعنى بها بحث كلامي، ودخل فيه أهل السنة ردًّا على أهل الكلام وبيانًا للحق فيها، وإلا فبحث الاسم والمسمى ليس من البحوث الموجودة في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما الكلام فيها حادث؛ لكن جرّ إلى الكلام فيها أن المعتزلة خاضوا في ذلك توطئة لنفي الصفات ولتحريف الأسماء لله جل وعلا، وتلخيص المسألة: أنّ الاسم مثل: (الرحمن، الرحيم، الكريم، ونحو ذلك)، المسمى بهذا الاسم هو الله جل وعلا، إذًا الاسم دلالة عامة والمسمى انطباق هذا الاسم على العين أو على الذات، والمسألة التي اختلفوا فيها هي: قولهم هل الاسم عين المسمى أم أن الاسم غير المسمى؟ وهذه المسألة مبسوطة وطويلة الذيول؛ لكن اختصار القول فيها أن مذهب الأئمة، أن الاسم لا يطلق القول بأنه عين المسمى ولا أنه غير المسمى؛ بل المسألة فيها تفصيل في دلالة الاسم على المسمى وأن الأسماء مختلفة؛ لأنّ كل اسم يدل على المسمى وزيادة صفة، فهو يدل على الذات ويدل على الصفة التي تضمنها هذا الاسم، والذين قالوا: إن الاسم هو عين =

الكمال القائمة به، مثل القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر[1].

وقد ذكر القاسمي مؤيدًا ذلك عند تأويله لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[2]، "فقال: (و (الاسم) هنا كناية عن الذات العليّة؛ لأنه كثر اقتران الفعل المذكور معها، كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[4]، ونحوهما، وسر إيثار الاسم التنبيه على أنه لا يعرف منه تعالى إلا أسماؤه الحسنى؛ لاستحالة اكتناه الذات المقدسة، فما عَرَفَ اللهَ إلا اللهُ. هذا هو التحقيق[5].

= المسمى جعلوا أنه لا فرق بين الأسماء في دلالتها على المسمّى فجعلوا العليم هو الرحيم مطابقة، وجعلوا الملك هو الودود، ونحو ذلك، بدون تفرقة بين الاسم والصفة، يعني جعلوا أن الأسماء دالة على الذات كما قال المعتزلة عليم بلا علم، رحيم بلا رحمة، وهكذا وهلم وجرّ، والمسألة فيها طول لكن هذا بيان لأصلها. يُنظر: أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى، صـ (٢٤-٣١) – ابن تيمية: مجموع الفتاوى (جـ٦/١٨٥، وما بعدها) – اللالكائي "هبة الله بن الحسن": شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق/ أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (جـ٢/٢٣٢)، الناشر/ دار طيبة – السعودية، ط/ الثامنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)- الطبري "محمد بن جرير": صريح السنة، تحقيق/ يوسف المعتوق، صـ (٢٦)، الناشر/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ).

[1] اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى، (جـ٣/١١٦)، جمع وترتيب/ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر/: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ).

[2] سورة الرحمن الآية (٧٨).

[3] سورة الفرقان من الآية (٦١).

[4] سورة الملك من الآية (١).

[5] محاسن التأويل (جـ١٥/٥٦٣٣-٥٦٣٤).

المطلب الثاني:

صفات الله تعالى:

أولًا: تعريف الصفة لغةً: "الواو والصاد والفاء: أصلٌ واحد، هو تحْلِيَةُ الشَّيء، ووصَفْتُه أصِفُه وَصْفًا، والصِّفَة: الأمَارة اللاَّزِمةُ للشّيء"[١]، وجاء في لسان العرب: "وصَف الشيءَ له وعليه وصْفًا وصِفةً حَلاَّه والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصْف المصدر والصِّفةُ الحِلْية، وقال الليث[٢]: الوصف وصفك الشيء بحِلْيته ونَعْته وتواصَفُوا الشيءَ من الوصف وقوله عز وجل: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلى مَا تَصِفُونَ﴾[٣]؛ أَراد ما تصفونه من الكذب واستوْصَفَه الشيءَ: سأَله أَن يَصفه له، واتَّصَف الشيءُ: أَمكن وصْفُه"[٤]، وجاء في المعجم الوسيط أن الصفة هي: "الحالة التي يكون عليها الشَّيء من حليته ونعته كالسواد وَالْبَيَاض وَالْعلم وَالْجهل، وعند النحويين: النَّعْت واسم الفاعل واسم المَفعُول وَالصّفة المشبهة واسم التَّفضيل أَيْضا"[٥]، وفي المفردات: "الوَصْفُ: ذكرُ الشيءِ بحليته ونعته، والصِّفَةُ: الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته، كالزِّنَةِ التي هي قدر الشيء، والوَصْفُ قد يكون حقّا وباطلا،

---

[١] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (جـ٦/ ١١٥).

[٢] **الليث بن سعد:** هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية، أبو الحارث الليث بن سعد الفهمي، وهو إمام حجة فقيه كثير التصانيف، كان مولده سنة أربع وتسعين بقرقشند قرية بمصر، ومات سنة خمس وسبعين ومائة، وله إحدى وثمانون رحمه الله. يُنظر: ابن سعد "محمد": الطبقات الكبرى، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، (جـ٧/٣٥٨)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)- سير أعلام النبلاء (جـ٨/١٣٦)- ابن حجر: تهذيب التهذيب، (جـ٨/٤٥٩)- ابن قتيبة "عبد الله بن مسلم": المعارف، تحقيق/ ثروت عكاشة، (جـ١/٥٠٥)، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/ الثانية (١٩٩٢م).

[٣] سورة الأنبياء من الآية (١١٢).

[٤] ابن منظور: لسان العرب (جـ٩/٣٥٦).

[٥] المعجم الوسيط (جـ٢/١٠٣٧).

قال تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾[١]؛ تنبيهًا على كون ما يذكرونه كذبًا، وقوله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢]؛ تنبيه على أنّ أكثر صِفَاتِهِ ليس على حسب ما يعتقده كثير من النّاس لم يتصوّر عنه تمثيل وتشبيه، وأنه يتعالى عمّا يقول الكفّار، ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلى﴾[٣]"[٤].

وفي هذا يقول القاسمي: "الصفة يلزمها لوازم باختلاف محلها، فيظنّ القاصر، إذا رأى ذلك اللازم في المحل المحدث، أنه لزم لتلك الصفة مطلقا، فهو يفرّ من إثباتها للخالق سبحانه، حيث لم يتجرّد في ظنه عن ذلك اللازم، وهذا كما فعل من نفى عنه سبحانه الفرح والمحبّة والرضى والغضب والكراهة والمقت والبغض، وردّها كلّها إلى الإرادة، فإنه فَهِمَ فرحًا مستلزمًا لخصائص المخلوق من انبساط دم قلب، وحصول ما ينفعه، وكذلك فَهِمَ غضبًا هو غليان دم القلب طلبًا للانتقام، وكذلك فهم محبة ورضى وكراهة ورحمة مقرونة بخصائص المخلوقين، فإن ذلك هو السابق إلى فهمه، وهو المشهود في علمه الذي لم تصل معرفته إلى سواه، ولم يحط علمه بغيره، ولما كان هو السابق إلى فهمه لم يجد بدّا من نفيه عن الخالق والصفة لم تتجرد في عقله عن هذا اللازم، فلم يجد بدّا من نفيها"[٥].

---

[١] سورة النحل من الآية (١١٦).

[٢] سورة الصافات الآية (١٨٠).

[٣] سورة النحل من الآية (٦٠).

[٤] الراغب الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، صـ (٨٧٣).

[٥] محاسن التأويل (جـ١/٣٤٤).

ثانيًا: تعريف الصفة اصطلاحًا:

هي المعنى القائم بالله تبارك وتَعالى مِمّا وصف به نفسَه، أو وصفه به رسولُه ﷺ، من صِفات الذّات والفعل، مِمّا يدل على الكمال المُطلق له تعالى، وتنزيهه عن كل نقص، ونَظير، ومَثيل، من كل وجه على الإطلاق[١].

وفي ذلك يقول القاسمي: "كل من تعرض لمعرفة الذات بعقله، فقد تعرض لأمر يعجز عنه، ولا يمكنه بلوغ الأرب منه، والمرء إذا عجز عن معرفة كنه نفسه، بل عن اكتناه أبسط الأشياء لديه، فعن معرفة اكتناه الحق بالأولى، فمعرفتنا به سبحانه إنما هي علمنا بوجوده وبأسمائه الحسنى، وأنه ليس كمثله شيء"[٢].

---

[١] يُنظر: الأفغاني "شمس الدين": عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصِّفات، (جـ٢/٤٦٦)، الناشر/ مكتبة الصديق-الطائف، ط/ الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

[٢] القاسمي: دلائل التوحيد، صـ (٧٨).

المطلب الثالث:

توحيد الأسماء والصفات:

هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق[١].

وعرّفه ابن تيمية بقوله: فهو إفراد الله تعالى بأسمائه وصفاته وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيل[٢].

أو: إفراد الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بها، وبمعانيها وأحكامها[٣]، وهذا هو مذهب السلف في الأسماء والصفات، وقد سار على هذا المنهج القاسمي فقال في تفسيره: "أهل السنة والجماعة يؤمنون بما وصف

---

[١] نخبة من العلماء: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، صـ (٧٧)، الناشر/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، ط/ الأولى (١٤٢١هـ).

[٢] يُنظر: ابن تيمية "تقي الدين": التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع)، تحقيق/ د. محمد بن عودة السعوي، صـ(٧)، الناشر/ مكتبة العبيكان – الرياض، ط/ السادسة (١٤٢١هـ–٢٠٠٠م)- العثيمين "محمد بن صالح": تقريب التدمرية، صـ (١١٦)، الناشر/ دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط/ الأولى (١٤١٩هـ).

[٣] يُنظر: الجلينيد "أ.د/ محمد السيد": قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، صـ (٧٥- ٩١)، الناشر/ دار قباء – القاهرة، بدون رقم الطبعة، عام(٢٠٠١م)- محمد خليفة التميمي: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، صـ (٣١)- الحكمي "حافظ بن أحمد": معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر، (جـ١/٩٨)، الناشر/: دار ابن القيم – الدمام، ط/ الأولى(١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

الله به نفسه، وما وصفه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف وتمثيل"[١].

وقال أيضًا في موضع آخر: "ومذهب سلف الأمّة وأئمتها: إنهم يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله"[٢]، ونقل قول ابن عبد البر[٣] في ذلك فقال: "قال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز "[٤].

مسألة: الفرق بين الأسماء والصفات هو: أن الأسماء تدل على الذات مع دلالتها على صفات الكمال، وأما الصفات فإنها تدل على معنى قائم بالذات فقط، فالأسماء تدل على أمرين، والصفات تدل على أمر واحد[٥].

---

[١] محاسن التأويل (جـ٢/٢٩٣).

[٢] المرجع السابق (جـ٣/٥١٨).

[٣] سبقت ترجمته، صـ (٩٠).

[٤] محاسن التأويل (جـ٣/٥٢٠)- ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (جـ٧/١٤٥).

[٥] ابْن قَيِّم الجوزِيَّةِ: بَدائعُ الفوائد، (جـ١/٢٨٤-٢٩٧) - السمهري "محمد عبد الله": دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات، صـ (٣٧)، الناشر/ دار بلنسية، السعودية، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ).

المبحث الثاني:

منهج القاسمي في أسماء الله تعالى،

ويشتمل على أربعةِ مطالب:

المطلب الأول: أسماء الله تعالى حسنى.

المطلب الثاني: أسماء الله تعالى توقيفية.

المطلب الثالث: إحصاء أسماء الله تعالى الحسنى.

المطلب الرابع: اسم الله تعالى الأعظم.

المطلب الأول:

أسماء الله تعالى حسنى:

الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها[١].

وقد بيّن القاسمي أن أسماء الله سبحانه وتعالى تدل على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم، فقال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى﴾[٢]، "أي: الفضلى، لدلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية في الحسن"[٣]، وقال عند تأويله لقوله تعالى: ﴿ولِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها﴾[٤]، "و (الحسنى) تأنيث (الأحسن)، والمعنى: لله الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها، لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها"[٥]، وقال أيضًا عند قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[٦]، "أي: الدالة على محاسن المعاني، وأحاسن الممادح"[٧].

كما وضح القاسمي أنه لا يصح إطلاق اسم (الشيء) على الله، فقال: "وتمسك من منع إطلاقه عليه تعالى[٨] قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها﴾[٩]، والاسم إنما يحسن لحسن مسماه، وهو أن يدل على صفة من صفات الكمال، ونعت من نعوت الجلال،

---

(١) يُنظر: ابن تيمية "تقي الدين": شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق/ محمد بن رياض الأحمد، صـ (٣١)، الناشر/ المكتبة العصرية – بيروت، ط/ الأولى (١٤٢٥هـ).

(٢) سورة طه الآية (٨).

(٣) محاسن التأويل (جـ١١/٤١٧١).

(٤) سورة الأعراف من الآية (١٨٠).

(٥) محاسن التأويل (جـ٧/٢٩٠٩).

(٦) سورة الحشر من الآية (٢٤).

(٧) محاسن التأويل (جـ١٦/٥٧٥٤).

(٨) أي اسم (الشئ).

(٩) سورة الأعراف من الآية (١٨٠).

ولفظ (الشيء) أعمّ الأشياء، فيكون مسماه حاصلًا في أحسن الأشياء وفي أرذلها، ومتى كان كذلك، لم يكن المسمى بهذا اللفظ صفة من صفات الكمال، فوجب أن لا يجوز دعوة الله بهذا الاسم، لأنه ليس من الأسماء الحسنى، وقد أمر تعالى بأن يُدعى بها"(١)، وقد نقل القاسمي كلام ابن المرتضى اليماني(٢) مُقرًّا له، مستأنسًا به وهو أن مقام معرفة كمال الرب الكريم، وما يجب له من نعوته وأسمائه الحسنى، من تمام التوحيد الذي لا بد منه؛ لأن كمال الذات بأسمائها الحسنى، ولا كمال لذات لا اسم له، فقال: ".. مقَام معرفة كمال هذا الرب الكريم وما يجب لَهُ من نعوته وأسمائه الحسنى وذلك من تمام التوحيد الَّذِي لابد منهُ لأن كمال الذَّات بأسمائها الْحسنى ونعوتها الشريفة ولا كمال لذات لا نعت لها ولا اسم ولذلك عد مَذْهَب الْمَلَاحِدَة فِي مدح الرب بنفيها من أعظم مكائدهم للإسلام فإنهم عكسوا المَعْلُوم عقلًا وسمعًا فذموا الأمر الْمَحْمُود ومدحوا الأمر المذموم القَائِم مقَام النَّفْي والجحد الْمَحْض وضادوا كتاب الله ونصوصه الساطعة قَالَ الله جلّ جَلَاله: ﴿وَللَّه الْأَسْمَاء الْحسنى فَادعوهُ بهَا وذروا الَّذين يلحدون فِي أَسْمَائِهِ﴾(٣)"(٤).

من هنا يتبين أن منهج القاسمي في قضية (أسماء الله تعالى الحسنى)، أنها حسنى أي: أحسن الأسماء وأجلها؛ لإنبائها عن أحسن المعاني، موافقًا بهذا منهج أهل السنة والجماعة.

---

(١) محاسن التأويل (جـ٦/٢٢٦٧).

(٢) **ابن المرتضى:** هو مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي من آل الوزير، من كبار حفاظ الحديث والعلماء المجتهدين اليمانيين ومن أعيان اليمن، من مؤلفاته: (إيثار الحق على الخلق- تنقيح الأنظار في علوم الآثار- قبول البشرى بالتيسير لليسرى -وغيرها)، (ت: ٨٤٠هـ). يُنظر: الزركلي: الأعلام، (جـ٥/٣٠٠)- نويهض "عادل": معجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر)، (جـ٢/٤٦٨-٤٦٩)، الناشر/ مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط/ الثالثة (١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م) – معجم المؤلفين، (جـ٨/٢١٠).

(٣) سورة الأعراف من الآية (١٨٠).

(٤) محاسن التأويل (جـ٧/٢٩١٠)- ابن المرتضى: إيثار الحق على الخلق، صـ (١٥٧).

المطلب الثاني:

أسماء الله تعالى توقيفية:

بيّن القاسمي أن أسماء الله تعالى توقيفية، ولا مجال لغير الوحيين في إثباتها، فقد نقل كلام الإمام محمد بن المرتضى اليماني مستشهدًا به ومُقِرًّا له، فقال: "قال الله جل جلاله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .. ﴾[1]. الآية، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ..﴾[2]. الآية– فما كان منها منصوصا في كتاب الله، وجب الإيمان به على الجميع، والإنكار على من جحده، أو زعم أن ظاهره اسم ذم لله سبحانه، وما كان في الحديث وجب الإيمان به على من عرف صحته، وما نزل عن هذه المرتبة، أو كان مُخْتَلَفًا في صحته، لم يصح استعماله. فإن الله أجل من أن يسمى باسم لم يتحقق أنه تسمى به"[3].

يتضح من ذلك أن القاسمي أخذ بالقول أن أسماء الله الحسنى توقيفية، ولا مجال للعقل فيها، وأنه يجب الوقوف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة؛ وذلك لأنه لم يُعقِّب على كلام ابن المرتضى وأنه مُقرٌّ به، كما أنكر إطلاق اسم (الشيء)، وكذلك (العلّامة) على الله تعالى، وأنهما ليس من أسماء الله الحسنى، فقال: "وأجيب: بأن كونه– أي اسم (الشيء)– ليس من الأسماء الحسنى، لكونها توقيفية، وكونه لا يدعى به لعدم وروده"[4]، وقال: (وأما (العلّامة) فإنهم أجمعوا على أنه لا يجوز إطلاقه في حقه، ولعل السبب ما فيه من لفظ التأنيث. أفاده الرازيّ. على أن المختار أن أسماءه تعالى توقيفية"[5].

---

(1) سورة الأعراف من الآية (١٨٠).

(2) سورة الإسراء من الآية (١١٠).

(3) محاسن التأويل (جـ٧/٢٩١٠).

(4) المرجع السابق (جـ٦/٢٢٦٧).

(5) المرجع السابق (جـ٦/٢٢٠٩).

المطلب الثالث:

إحصاء أسماء الله تعالى الحسنى:

انقسم العلماء في عدد الأسماء الحسنى إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أن أسماء الله محصورة بعدد معين، فمنهم من يقول: "إنَّ أسماء الله تسعة وتسعون فقط"[١]، ومنهم من يحصرها بعدد آخر غير التسعة والتسعين[٢]، "هذا الذي قالوه ليس بحجةٍ لأن الحصر المذكور عندهم هو باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادعى على أن الوعد وقع لمن أحصى زائدًا على ذلك أخطأ، ولا يلزم من ذلك ألَّا يكون هناك اسمٌ زائد"[٣].

وقد تكلم العلماء- ومنهم الرازي في شرح الأسماء – عن سر هذا العدد المخصوص بكلام كثير[٤]، "(إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دخل الْجنَّة)[٥] التقييد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء، فهذه الجملة وهي قوله: (مَنْ أَحْصَاهَا دخل الْجنَّة) صفة للتسعة والتسعين ليست جملة مبتدأة ولكن موضعها النصب ويجوز أن تكون مبتدأة والمعنى لا يختلف والتقدير: أن لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق وألف درهم أعددتها للحج فالتقييد بالعدد

---

[١] ابن حزم الأندلسي "علي بن أحمد بن سعيد": المحلى بالآثار، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، (جـ٨/٣٠-٣١)، الناشر/ المطبعة المنيرية، ط/ الأولى (١٣٥٢هـ)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٦/٣٨٢).

[٢] يُنظر: ابن حجر: فتح الباري، (جـ١١/٢٢٥) – ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر": زاد المعاد في هدي خير العباد، (جـ١/٨٦)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط/ السابعة والعشرون (١٤١٥هـ /١٩٩٤م)، وعزاه إلى أبي الخطَّابِ بن دِحْيَةَ الكلبي.

[٣] ابن حجر: فتح الباري (جـ١١/٢٢١).

[٤] فخر الدين الرازي "محمد بن عمر": مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، (جـ١/١٤١-١٤٢)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الثالثة(١٤٢٠هـ).

[٥] أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (جـ١/٢٩٦)، رقم (٩٨١)، والترمذي، وقال عنه حديث حسن صحيح، يُنظر: الترمذي: سنن الترمذي، (جـ٥/٥٣٢)، رقم (٣٥٠٨).

هو في الموصوف بهذه الصفة لا في أصل استحقاقه لذلك العدد؛ فإنه لم يقل إن أسماء الله تسعة وتسعونَ"[١].

والفريق الثاني: يرى أن أسماء الله غير محصورة بعدد معين، يقولون: "إن أسماء الله الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل"[٢]، وهذا هو الصواب وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها، وهو قول جمهور العلماء ولم يخالفهم فيه إلا طائفة من المتأخرين كابن حزم وغيره[٣].

وقد اتفق القاسمي مع أصحاب هذا الرأي في أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعددٍ معين، وقد استدلَّ على ذلك بأمرين: الأول: أن الحديث الذي ورد فيه أن "إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا"، لا يدل على حصر الأسماء الحسنى في هذا العدد، ونص الحديث: "إن لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعينَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَاللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ"، وفي رواية: "مَنْ أَحْصَاهَا"[٤]، فالقاسمي بعد أن ذكر الحديث، قرر اتفاق العلماء على عدم دلالة الحديث على حصر الأسماء الحسنى في تسعة وتسعين، فقال: "..اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، وليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما المقصود من الحديث الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصرها"[٥]، الثاني: تضعيف القاسمي للحديث الذي أخرجه الترمذي في جامعه[٦]، في سرد

---

[١] يُنظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٦/٣٨١-٣٨٢).

[٢] ابن قَيِّم الجوزية: بدائعُ الفوائد، (جـ١/٢٩٣).

[٣] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ٢٢/٤٨٢).

[٤] البخاري (جـ١١/١٨٠-١٩٢)، في الدعوات، ورواه أحمد (جـ٢/٢٦٧)، ومسلم رقم (٢٦٧٧)، والترمذيُّ رقم (٣٥٠٦)، وابن ماجه رقم (٣٨٦٠).

[٥] محاسن التأويل (جـ٧/٢٩١١) – النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، (جـ١٧/٥).

[٦] يُقصد به ذكر التسعة والتسعين اسمًا كما ورد في حديث: "إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دخل الْجنَّة". تقدم تخريجه، صـ (٢٢٥).

أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، فقد نقل القاسمي عن الحافظ ابن كثير[١]، أنه قال: "والذي عول عليه جماعة من الحفاظ، أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج[٢] فيهِ"[٣]، كما نقل القاسمي أيضًا عن ابن المرتضى اليماني، أنه لا حصر لأسماء الله الحسنى، حيث قال: "وقد ثبت أن أسماء الله تعالى أكثر من ذلك المرويّ بالضرورة والنص، أما الضرورة، فإن في كتاب الله أكثر من ذلك، وأما النص، فحديث ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هُمٌّ وَحُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدَلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي،..)[٤]"[٥].

فبعد هذه النقولات يتبين أن منهج القاسمي موافق لرأي الفريق الثاني في هذا القضية، وهو أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعددٍ معين، موافقًا بهذا منهج أهل السنة والجماعة.

---

[١] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (جـ٣/٤٦٥).

[٢] المدرج: هو ما أُدخل في الحديث، وليس من كلام النبي ﷺ، وذلك بأن يذكر الراوي عقب كلام النبي ﷺ كلامًا لنفسه أو لغيره فيرويه من بعده متصلًا فيتوهم أنه من الحديث. يُنظر: جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي، (جـ١/٤٥٠).

وقال ابن حجر عن سرد أسماء الله التسعة والتسعين: "وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج". ابن حجر: فتح الباري، (جـ١١/٢١٥)، وقال ابن تيمية: "وبكلِّ حالٍ: تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه". ابن تيمية: مجموع الفتاوى (جـ٦/٣٨٢).

[٣] محاسن التأويل (جـ٧/٢٩١١).

[٤] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (جـ١٠/٢٥٣)، والإمام أحمد (جـ٧/٣١٤)، وأبو يعلى (جـ٩/١٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (جـ١٠/١٦٩)، والحاكم في المستدرك (جـ١/٥٠٩)، وصححه ابن حبان رقم (٢٣٧٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (جـ١/٣٨٣-٣٨٤).

[٥] محاسن التأويل (جـ٧/٢٩١٢).

المطلب الرابع:

اسم الله تعالى الأعظم:

أسماء الله تعالى كلها عظيمة، لكن منها واحد هو أعظمها، من دعا به استجيب له كما قال ﷺ: ".. لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى"(١).

ولقد ذهب جمهور أهل السنة إلى إثبات الاسم الأعظم تمسكًا بالحديث المشار إليه، وإلى أن كلام الله تعالى يتفاضل من جهة موضوعه وإن تشابه من جهة مصدره(٢)، إلا أن بعض العلماء لا يرى تفاضل الأسماء كأبي جعفر الطبري(٣)، وأبي الحسن الأشعري(٤)، وجماعة كأبي حاتم بن حبان(٥)، وأبي بكر الباقلاني(٦)، ويروا: إنَّ كونه الأعظم يرجع إلى

---

(١) أخرجه الترمذي، (جـ٥/٥١٦)، رقم (٣٤٧٥)، وقال: حسن غريب، والحاكم (جـ١/ ٦٨٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) ابن تيمية: درء تعارض العقل مع النقل، (جـ٧/٢٧٢).

(٣) سبقت ترجمته، صـ (٩٩).

(٤) **أَبُو الحَسَنِ الأشعري:** هو عليُّ بنُ إسماعِيلَ بن أبي بشْرٍ الأَشْعَرِيّ، العلَّامة، كان عجبًا في الذكاء وقوة الفهم، برع في معرفته مذهب الاعتزال، ثم تركه وتبرأ منه وردَّ عليه، واتخذ مذهباً خاصاً به، ثم آل الأمر به إلى الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومات على ذلك (ت: ٣٢٢هـ). يُنظر: وفيات الأعيان، (جـ٣/٢٨٤)- سير أعلام النبلاء، (جـ١٥/٨٥)- طبقات الشافعية، (جـ٣/٣٤٧).

(٥) **أبو حاتم بن حبان:** هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي الدارمي البستي، الإمام العلّامة الحافظ المجود، من أوعية العلم، شيخ خراسان، ومن عقلاء الرجال. (ت: ٣٤٥هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء، (جـ١٦/٩٢) – السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، (جـ٣/١٣١).

(٦) **الباقلاني:** هو محمد الطيب بن محمد الباقلاني، أبو بكر، القاضي، متكلم مشهور، صنف في علم الكلام وفي غيره، ووصف بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب. (ت: ٤٠٣هـ). يُنظر: عادل نويهض: معجم المفسرين، (جـ٢/٥٤٢) – وفيات الأعيان، (جـ٤/٢٦٩)- سير أعلام النبلاء، (جـ١٧/١٩٠).

عظيم، أو أن الأعظمية الواردة، المقصود بها مزيد الثواب[١]، والذين أثبتوه اختلفوا في تعيينه اختلافًا كثيرًا وتعددت أقوالهم[٢]، وأقوى هذه الأقوال قولان:

الأول: أنه الحي القيوم[٣].

الثاني: أنه الله[٤].

وأما القاسمي فقد أثبت لله تعالى اسمًا أعظمَ، قال عن تأويله لآية الكرسي[٥]: "هذه لها شأن عظيم وفضل كبير، وقد صح الحديث[٦] عن رسول الله ﷺ بأنها أعظم آية في كتاب الله وأنها مشتملة على اسم الله الأعظم"[٧].

---

[١] يُنظر: محاسن التأويل، (جـ٣/٦٦٣)- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (جـ١/١٣٦) - ابن حجر: فتح الباري، (جـ١١/٢٢٤).

[٢] يُنظر: جلال الدين السيوطي "عبد الرحمن بن كمال": الحاوي للفتاوي، الناشر/ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (جـ١/٤٧٢-٤٧٦)، بدون رقم الطبعة، عام النشر (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)- الشوكاني "محمد بن علي": تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، صـ (٨٢)، الناشر/ دار القلم - بيروت - لبنان، ط/ الأولى (١٩٨٤م).

[٣] يُنظر: ابن القيم في مختصر الصواعق (جـ١/١٢٧)، وزاد المعاد (جـ٤/٢٠٥)، ومدارج السالكين (جـ١/٤٤٨)، وذكر أنه رأي شيخ الإسلام.

[٤] يروى ذلك عن جابر بن زيد والشعبي. يُنظر: الدارمي "عثمان بن سعيد": نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، (جـ١/١٦٨-١٦٩)، تحقيق/ رشيد بن حسن الألمعي، الناشر/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط/ الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) - وهو رأي الخطابي في: (شأن الدعاء)، (جـ١/٢٥).

[٥] سورة البقرة الآية (٢٥٥).

[٦] الحديث: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. (البقرة:١٦٣)، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾. (آل عمران:١-٢). أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٨)، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ، والطبراني في المعجم الكبير رقم (٤٤١-٤٤٠)، والإمام أحمد رقم (٢٧٦١١)، وأبو داود (١٤٩٦). يُنظر: الطحاوي "أبو جعفر" في شرح مشكل الآثار، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، (جـ١/١٧٨-١٧٩)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٤١٥هـ- ١٤٩٤م) - ابن حجر: فتح الباري (جـ١١/٢٢٤).

[٧] محاسن التأويل (جـ٣/٦٦٢).

وقال أيضًا عند تأويله لقوله تعالى: ﴿وَإذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١]، قال في آداب الدعاء: "وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب....، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبيّ ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم، فمنها ما في السنن وفي (صحيح ابن حبان) من حديث بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: (سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ , لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)[٢]"[٣].

وقال القاسمي: "وفي السنن و(صحيح ابن حبان) أيضًا من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا[٤] يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ

---

[١] سورة البقرة الآية (١٨٦).

[٢] الحديث أخرجه أبو داود رقم (١٤٩٤-١٤٩٣)، والإمام أحمد (جـ٥/٣٥٩) رقم (٣٣٠٣٣)، والترمذي رقم (٣٤٧٥) واللفظ له، وابن حبان رقم (٨٩٢)، والحاكم (جـ١/٥٠٤) من طريق محمد بن سابق، عن مالك ..به وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ويُعَدُّ هذا الحديث هو أصح الأحاديث الوادرة في إثبات الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى، قال الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث: "هو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك" أي الاسم الأعظم، وقال الحافظُ المُنْذريُّ: قال شَيْخُنَا الحافظ أبو الحَسَنِ المقدسيُّ: وَإِسْنَادُهُ لا مطعن فيه، قال: ولم يَرِدْ في هذا الباب حديثٌ أجودُ إسنادًا مِنْهُ. يُنظر: يُنظر: ابن حجر: فتح الباري (جـ١١/٢٢٨)- السفاريني "محمد بن أحمد": لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، (جـ١/٣٦)، الناشر/ مؤسسة الخافقين ومكتبتها- دمشق، ط/ الثانية (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)- الشوكاني: تحفة الذاكرين، صـ (٨٤).

[٣] محاسن التأويل (جـ٣/٤٣٨).

[٤] قال الخطيب البغدادي: "الرجلُ: هو أبو عَيَّاشٍ زَيْدُ بنُ الصامت الأنصاريُّ الزرقيُّ". الخطيب البغدادي "أبو بكر أحمد بن علي": الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، تحقيق/ د. عز الدين علي السيد، (جـ٢/٨٧)، الناشر/ مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر، ط/ الثالثة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)[1]"[2]، كذلك ذكر القاسمي[3] حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، وفيه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[4]، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾[5]"[6]، وذكر حديث أبي هريرة وأنس بن مالك وربيعة بن عامر عن النبي ﷺ: "أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"[7]، قال – أي القاسمي–: "يعني: تعلّقوا بها والزموها وداوموا عليها"[8].

كما ذكر حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أيضًا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ الأَمْرُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ)، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ قَالَ: (يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ)[9]، وحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ

---

(1) أخرجه النسائي(جـ٣/٥٢)، وأبو داود، (جـ٢/٧٩)، رقم (١٤٩٥)، وأحمد (جـ٣/١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥)، وابن حبان، رقم (٢٣٨٢)، والحاكم في مستدركه (جـ١/٥٠٣)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(2) محاسن التأويل (جـ٣/٤٣٨).

(3) المرجع السابق.

(4) سورة البقرة الآية (١٦٣).

(5) سورة آل عمران الآيتان (٢–١).

(6) سبق تخريجه، صـ (٢٠٠).

(7) أخرجه الترمذي، (جـ٥/٢٠١)، رقم (٣٥٩٣)، وأحمد (جـ٤/١٧٧)، والحاكم في مستدركه، رقم (١٨٣٧–١٨٦٠–١٨٦١–١٨٨٨–١٨٨٩)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وورافقه الذهبي، وصححه الألباني، يُنظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (جـ٤/٤٩–٥٠)، رقم (١٥٣٦).

(8) محاسن التأويل (جـ٣/٤٣٩).

(9) رواه أبو يعلى، رقم (٦٥٤٥، ٦٥٤٦)، وابن عدي في (الكامل) (جـ١/٢٣٢)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة) رقم (٣٣٨١) وابن حجر في (نتائج الأفكار) (جـ٤/٨٠)، والترمذي رقم (٣٤٦٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وقال ابن حجر: حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: ضعيف جدًا. يُنظر: الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (جـ١٣/٧٧٥)، رقم (٦٣٤٥)، الناشر/ دار المعارف، الرياض، ط/ الأولى (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

أَسْتَغِيثُ"[١]، وحديث أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ: الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطَهَ"، قَالَ الْقَاسِمُ: "فَالْتَمَسْتُهَا إِنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"[٢]، وحديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ﴾[٣]، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ"[٤]، وحديث ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"[٥][٦].

وذكر القاسمي آثارًا كثيرة في إثبات اسم الله الأعظم، والواضح من هذا أن القاسمي لم يحدد اسمًا بعينه.

---

(١) أخرجه الترمذي، (جـ٥/٥٣٩)، رقم (٣٥٢٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وقال الإمام النووى فى (الأذكار)، (جـ١/١٠٢): "قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد)"، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (جـ٢/٨٦٨)، رقم (٤٧٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه، (جـ٢/١٢٦٧)، رقم (٣٨٥٦)، والحاكم (جـ١/٥٠٥)، والطحاوي في مشكل الآثار (جـ١/٦٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (جـ٢/٣٨٢)، رقم (٧٤٦)، وصحيح الجامع (جـ١/٣٢٩) رقم (٩٩٠).

(٣) سورة الأنبياء من الآية (٨٧).

(٤) أخرجه الترمذي، (جـ٥/١٩١)، رقم (٣٥٧٢)، وأحمد (جـ١/١٧٠)، والحاكم في مستدركه (جـ١/٥٠٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، (جـ٨/٧٥)، رقم (٦٣٤٥- ٦٣٤٦)، والأدب المفرد، صـ(٢٤٤) رقم (٧٠٠)، والإمام مسلم (جـ٤/٢٠٩٢)، رقم (٢٧٣٠)، والإمام أحمد في مسنده، (جـ٣/٤٦٠)، رقم (٢٠١٢)، والطبراني في المعجم الكبير، (جـ١٢/١٥٨)، رقم (١٢٧٥٠).

(٦) محاسن التأويل (جـ٣/٤٤٠-٤٤١).

المبحث الثالث:

البحث في صفات اللّه تعالى،

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: صفاتُ اللّه تعالى توقيفيةٌ لا مجال للعقل فيها.

المطلب الثاني: صفاتُ اللّهِ تعالَى ثابتةٌ من غير تحريفٍ، ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

المطلب الثالث: القول في الصفات كالقول في الذات.

المطلب الرابع: صفات اللّه تعالى متنوعةٌ في تعلقها بذاته.

المطلب الأول:

صفاتُ الله تعالى توقيفيةٌ لا مجال للعقل فيها[1]:

أي: لا مجال للاجتهاد والاستحسان فيها، بل الواجب في هذا الباب الوقوف عند ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ذكر القاسمي في مقدمة تفسيره مبحثًا وأصلًا عظيمًا من أصول الصفات، ألا وهو قوله: "بيان أن الصواب في آيات الصفات هو مذهب السلف"[2]، ثم بسط الكلام أشدَّ بسطًا في هذا المبحث مقررًا إياه، ثم قال: :والقول الشامل في هذا الباب ما قاله الإمام أحمد ﵁: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حقّ ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه)"[3].

وقد ذكر القاسمي في أكثر من موضع في تفسيره ما يؤيد ذلك كما سيأتي إن شاء الله.

---

[1] يُنظر: ابن العطار "علاء الدين علي": الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تحقيق/ د. سعد بن هليل الزويهري، صـ (١٢٩)، الناشر/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط/ الأولى (١٤٣٢هـ-٢٠١١م) - السَّقَّاف "علوي بن عبد القادر": صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، صـ (٢٤)، الناشر/ الدرر السنية - دار الهجرة، ط/ الثالثة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م).

[2] محاسن التأويل (جـ١/٣٣٩).

[3] المرجع السابق (جـ١/٣٤٢).

المطلب الثاني:

صفاتُ اللهِ تعالَى ثابتةٌ من غير تحريفٍ، ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل[١]:

هناك بعض المصطلحات ذكرها القاسمي ضمن تفسيره لا بُدَّ من الوقوف عليها حتى يتبين لنا منهج القاسمي في صفات الله تعالى، وهي كالتالي:

أولًا: **التحريف:**

١- **تعريف التحريف لغةً:** من الحرف (ح ر ف)، وهو في الأصل: الطَّرَفُ والجانِبُ[٢]، وحرف كل شيء: طرفه وشَفيرُهُ وحَدُّهُ [٣]، والتحريف ينبئ عن الإمالة، والإزالة، والتقليب، والعدول عن الشيء وصرفه، وتحويله[٤].

٢-**واصطلاحًا:** هو أن يجعل الكلام على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين[٥]، وقيل: هو تغيير الكلام وصرفه عن معناه[٦]، وقيل: بل هو تغيير اللفظ دون المعنى[٧].

والتحريف في باب الأسماء والصفات: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها[٨].

---

(١) محاسن التأويل (جـ١/٣٣٩-٣٤٧).

(٢) لسان العرب (جـ٩/٤١) -القاموس المحيط، صـ (٧٩٩).

(٣) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، صـ (٢٢٨)- الصحاح (جـ٤/١٣٤٢).

(٤) تهذيب اللغة (جـ٥/١٢)- مقاييس اللغة (جـ٢/٤٢).

(٥) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، صـ (٢٢٨).

(٦) قلعجي "محمد رواس"، حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، صـ (١٢٣)، الناشر/ دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

(٧) الجرجاني: معجم التعريفات، صـ (٥٣).

(٨) محمد خليفة التميمي: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، صـ (٥٩).

٣- **أنواع التحريف:**_ التحريف نوعان:

النوع الأول: تحريف اللفظ: وهو العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها، وله أربع صور:

١- الزيادة في اللفظ.

٢-النقصان في اللفظ.

٣- تغيير حركة إعرابية.

٤- تغيير حركة غير إعرابية.

ومن أمثلته: تحريف إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[١]، إلى نصب الجلالة ليكون التكليم من موسى.

النوع الثاني: تحريف المعنى: وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل، كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك[٢].

٤- **أما عن رأي القاسمي في هذه المسألة:**

قد بيَّن القاسمي المقصودَ من التحريف عند أهل الكتاب في مقدمة تفسيره بقوله: "وأما مسألة تحريف الكتابين، أعني التوراة والإنجيل، فقد نقل البخاريّ[٣] في أواخر صحيحه[٤] في باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٥]

---

[١] سورة النساء من الآية (١٦٤).

[٢] الكيرانوي "محمد رحمت الله": إظهار الحق، تحقيق/ الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، (جـ٢/٤٢٧، وما بعدها)، الناشر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بالسعودية، ط/ الأولى (١٤١٠هـ-١٩٨٩م).

[٣] سبقت ترجمته، صـ (٩٨).

[٤] البخاري "محمد بن إسماعيل": الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، (جـ٩/١٦٠)، الناشر/ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ).

[٥] سورة البروج الآية (٢٢-٢١).

عن ابن عباس ﷺ: يحرفون يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل، ولكن يحرفونه يتأولونه عن غير تأويله"[1].

وقال كذلك: ".. وبالجملة فكتب الكتابيّين، كأقوالهم، لا يعتمد عليها كلها، لظهور الكذب والتناقض فيها إلى اليوم، ولظهور تلفيقها، فهي ككتب القصص عندنا، فيها شيء من القرآن والسنة، ولكنه ممزوج بالأكاذيب والآراء المقتبسة من الأمم، ثم إن موافقة القرآن الكريم أو الحديث الصحيح لبعض ما في كتبهم دون بعض، يدل على أن الله تعالى بيّن له حقَّ كلامهم من باطله، وصدقه من كذبه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[2]، قال بعضهم: لا شيء يعول عليه في صحة بعض أقوال كتب اليهود دون بعض، بعد ما طرأ عليها من الضياع والتحريف والخلط إلا الوحي، وقد ثبتت نبوة محمد ﷺ بالدلائل الساطعة والآثار النافعة، أي فعلى وحيه المعوّل فالحمد لله الذي وفقنا لاتباعه"[3].

ونقل القاسمي عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4] كلامَ ابنِ جرير وابنِ كثير في بيان معنى كلمة ﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾، فقال: "قال ابن كثير: (أي يتأولونه على غير تأويله)[5]، وقال ابن جرير: يعني بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾ يبدلون معناه وتأويله ويغيّرونه، وأصله من انحراف الشيء عن جهته وهو ميله عنها إلى غيرها، فكذلك قوله ﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾ أي: يميلونه عن وجهه، ومعناه الذي هو معناه، إلى غيره)[6]"[7]، ثم قال: ".. ما نقلناه عن ابن جرير وابن كثير في تفسير ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ هو الأنسب باعتبار سوق الآية الكريمة،

---

(1) محاسن التأويل (جـ١/٤٩).

(2) سورة المائدة من الآية (٤٨).

(3) محاسن التأويل (جـ١/٥٠).

(4) سورة البقرة الآية (٧٥).

(5) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (جـ١/٢٠١).

(6) ابن جرير الطبري: جامع البيان، (جـ٢/١٤٤).

(7) محاسن التأويل (جـ٢/١٦٦).

ولا يتوهم من ذلك دفع تحريفهم اللفظيّ عن التوراة، فإنه واقع بلا ريب، فقد بدلوا بعضا منها وحرفوا لفظه، وأوّلوا بعضا منها بغير المراد منه، وكذا يقال في الإنجيل، ويشهد لذلك كلام أحبارهم،.."[1].

كما نقل عن الرازي بيان كيفية التحريف؛ فقال: "وقال العلّامة الرازيّ[2]: في كيفية التحريف وجوه: أحدها- إنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر، ثم قال: والثاني- أن المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ من معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية، كما يفعله أهل البدعة في زماننا هذا، بالآيات المخالفة لمذاهبهم، وهذا هو الأصح، والثالث- أنهم كانوا يدخلون على النبي ﷺ، ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به. فإذا خرجوا من عنده حرّفوا كلامه"[3].

وقال أيضًا -أي القاسمي- موضحًا موقف أهل السنة من التحريف في صفات الله: "ومذهب السلف أن الصفات يحتذى فيها حذو الذات، فكما أنها منزهة عن التشبيه والتمثيل والتكييف، فكذلك الصفات إثباتها منزه عن ذلك وعن التحريف والتأويل"[4].

---

(1) محاسن التأويل (جـ٢/١٦٧).

(2) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب (جـ١٠/٩٣).

(3) محاسن التأويل (جـ٥/١٢٧٦).

(4) المرجع السابق (جـ١٢/٤٣٩٧).

ثانيًا: التعطيل والتمثيل:

١- **تعريف التعطيل لغةً:** مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾[١]، أي: أهملها أهلها، وتركوا وردها، أو لَا يُسْتقى مِنْهَا وَلَا ينْتَفع بِمَائِهَا[٢].

وقال القاسمي: "﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ أي: وكم من بئر متروكة لا يستقى منها، لهلاك أهلها"[٣]، وقال: "﴿وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ﴾[٤] أي: تُرِكت مهملة لا راعي لها ولا طالب"[٥].

٢- **واصطلاحًا:** هو نفي وإنكار الخالق، أو نفي صفاته وأسمائه جزئيًا أو كليًّا[٦].

وقد بين القاسمي العلاقة بين الشرك والتعطيل بقوله: "فالشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرًّا بالخالق سبحانه وصفاته، ولكن عطل حق التوحيد"[٧]، ثم قال: "وأصل الشرك وقاعدته التي ترجع إليها هو التعطيل، وهو ثلاثة أقسام:

الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.

الثاني: تعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) سورة الحج من الآية (٤٥).

(٢) يُنظر: معجم مقاييس اللغة (جـ٤/٣٥١) -الصحاح (جـ٥/١٧٦٧)- المفردات صـ(٥٧٢) - تهذيب اللغة (جـ٢/٩٨)- هرّاس "محمد بن خليل": شرح العقيدة الواسطية، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه/ علوي بن عبد القادر السقاف، صـ(٦٧)، الناشر/ دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، ط/ الثالثة (١٤١٥هـ).

(٣) محاسن التأويل (جـ١٢/٤٣٤٨).

(٤) سورة التكوير الآية (٤).

(٥) محاسن التأويل (جـ١٧/٦٠٦٨).

(٦) آل سعود "سعود بن سلمان" ومجموعة من الباحثين: موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، (جـ٢/٦٦٦)، الناشر/ دار التوحيد، ط/ الأولى (١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).

(٧) محاسن التأويل (جـ٥/١٢٩٦).

الثالث: تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد[١].

٣- **تعريف التمثيل لغةً:** "الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على مناظرَة الشّيءِ للشيء، وهذا مِثْل هذا، أي نَظِيرُه، والمِثْل والمِثال في معنىً واحد، وربَّما قالوا مَثِيل كشبيه"[٢]، و"مِثْلَ: كلمة تسوية، يُقال: هذا مِثْلُهُ ومَثَلُهُ كما يُقال شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنًى"[٣].

٤- **واصطلاحًا:** هو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين[٤].

٥- **رأي القاسمي في هذه المسألة:**

قال القاسمي: "ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته"[٥]، ثم ذكر قاعدة لابن تيمية في بيان ذلك فقال: "وهذا يتبيّن بقاعدة: وهي أن كثيرا من الناس يتوهم، في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها، أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم يريد نفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير: أحدها: كونه مثّل ما فهمه من النصوص لصفات المخلوقين، وظنَّ أن مدلول النصوص هو التمثيل.

---

(١) محاسن التأويل (جـ٥/١٢٩٦).

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (جـ٥/٢٩٦).

(٣) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (جـ٥/١٨١٦).

(٤) العثيمين "محمد بن صالح": قواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، صـ (٢٦)، الناشر/ الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/ الثالثة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

(٥) محاسن التأويل (جـ١/٣٤٢)، وقد سبق ذكرها في مبحث توحيد الأسماء والصفات.

الثاني: أنه إذ جعل ذلك هو مفهومها وعطّله فبقيت النصوص معطلة، عمَّا دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جناية على النصوص، وظنه السّيئ الذي ظنه بالله ورسوله، حيث خلاف الذي يفهم من كلامهما، من إثبات صفات الله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير دليل، فيكون معطّلًا عما يستحقه الرب تبارك وتعالى.

الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الموات والجمادات وصفات المعدومات، فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب، ومثّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطّل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل- سبحانه وتعالى عما يقول الظّالمون علوّا كبيرًا-(١).

ثم قال موضحًا منهج أهل السنة والجماعة بين الفِرَقِ في هذه المسألة: ".. وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق، فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته، وسط بين أهل التعطيل، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته، ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات، وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات، فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه، وما وصفه رسول الله ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ وتمثيل"(٢).

وبهذا يتبين لنا أن منهج القاسمي في هذه المصطلحات موافق لمنهج أهل السنة والجماعة كما صرح بذلك في غير موضع كما تبيَّن.

---

(١) يُنظر: محاسن التأويل (جـ٢/١٩٠) – ابن تيمية: التدمرية، صـ (٨٠-٧٩).

(٢) محاسن التأويل (جـ٢/٢٩٣).

ثالثًا: <u>التفويض</u>:

١-**تعريفه لغةً:** مصدر من باب التفعيل، يُقال: "فَوَّضَ إليه الأمر: أي رَدَّهُ إليه"[١]، ويُقال: "فَوَّضَ إليه الأَمرَ: صَيَّرَه إليه وجعَلَه الْحَاكِمُ فِيهِ"[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾[٣]، قال القاسمي: "أي: وأسلم أمري إليه وأجعله له وأتوكل عليه"[٤]، فمعنى التفويض في الشيء لغةً: التوقف فيه وعدم الحكم عليه لا نفيًا ولا إثباتًا، ورد الحكم عليه إلى الغير ليُحكَم فيه[٥].

٢- **تعريفه اصطلاحًا:** ليس للتفويض حقيقة شرعية زائدة على حقيقته اللغوية[٦].

٣- **التفويض في نصوص الصفات:**

التفويض في نصوص الصفات عند القائلين به: هو "صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله – تعالى –، بأن يقول: الله أعلم بمراده"[٧].

فالتفويض بالمعنى الأعم عند الفرق- موافقٌ لدلالته اللغوية بمعنى الرد إلى الشيء والتحكيم فيه والتوكل، والتفويض في باب أسماء الله وصفاته، الحكم بأن معاني نصوص

---

[١] الصحاح، (جـ٣/١٠٩٩) –المفردات في غريب القرآن، صـ (٦٤٨)- القاموس المحيط، صـ (٦٥١).

[٢] لسان العرب، (جـ٧/٢١٠)- الزمخشري: أساس البلاغة، (جـ٢/٣٩)- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (جـ٣/٤٧٩).

[٣] سورة غافر من الآية (٤٤).

[٤] محاسن التأويل (جـ١٤/٥١٧٠).

[٥] شمس الدين الأفغاني: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصِّفات، (جـ٢/١٥٢).

[٦] القاضي "أحمد عبد الرحمن بن عثمان": مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات (عرض ونقد)، صـ (١٤٨)، الناشر/ دار العاصمة، (مخطوط ماجستير، ١٤١٤هـ).

[٧] المرجع السابق صـ (١٥٢).

الصفات مجهولة غير معقولة، لا يعلمها إلا الله وحده، وقد نُسب التفويض بهذا المعنى في نصوص الصفات إلى مذهب السلف[١]، لكنَّ التفويض الذي يقره السلف نوعان[٢]:

النوع الأول: تفويض الكيف دون المعنى، فالسلف كانوا يعرفون معاني الصفات، ويفوضون علم كيفيتها إلى الله تعالى؛ فيكون الكيف هو المجهول عندهم لا المعنى، فكانوا مثبتين للصفات لا مفوضين لها.

النوع الثاني: التفويض الخاص في نص معين من شخصٍ معين في زمن معين[٣].

---

[١] يُنظر: أحمد عبد الرحمن القاضي: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، صـ (٢٨٧-٢٣٥)- الغصن "سليمان بن صالح": موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، (جـ٢/٨٤٢)، الناشر/ دار العاصمة، مخطوط دكتوراه، ط/ الأولى (١٤١٦هـ).

[٢] أحمد القاضي: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، صـ (٣٩١-٣٨٩)- شمس الدين الأفغاني: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصِّفات، (جـ٢/١٥٢).

[٣] هناك تفويض خاص في نصوص معينة اشتبهت اشتباهًا خاصًّا على شخص معين، فالواجب عليه تفويض معنى ذلك النص إلى الله حتى يتبين له، مثل: قول ابن قدامة في مقدمة لمعة الاعتقاد بعد تقرير مذهب السلف في نصوص الصفات حيث قال: "وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. (سورة آل عمران:٧)، وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ٧]..."، وقد علق الشيخ العثيمين في شرحه للمعة بكلام رصين فقال: "إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي يختلف به الناس بحسب العلم والفهم فقد يكون مشكلًا عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم؛ لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين وبيان للناس وفرقان وأنه أنزله تبيانًا لكل شيءٍ وهدى ورحمة، وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحد من الأمة معرفة معناه". يُنظر: ابن قدامة المقدسي "موفق الدين": لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر، صـ (٤٠)، الناشر/ الدار السلفية- الكويت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ)- العثيمين "محمد بن صالح": تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، =

وقد أقرَّ القاسمي تفويض السلف بنوعيه، قال في تفسيره: "الصحابة والتابعون لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله وقال: هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين: إنَّ في القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول الله ﷺ ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض ذلك على بعض الناس، وهذا لا ريب فيه، وإنما وضع هذه المسألة المتأخرون من الطوائف بسبب الكلام في آيات الصفات وآيات القدر وغير ذلك، فلقبوها هل يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يعلم معناه، وما تعبدنا بتلاوة حروفه بلا فهم؟ ...."[١].

ثم قال: "والصواب ما عليه أئمة الهدى، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبل السلف الماضين، أهل العلم والإيمان، والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا تردّ بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يعرض عنها، فيكون من باب الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا، ولا يترك تدبر القرآن، فيكون من باب الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ"[٢].

ثم قال: "ولو كان معاني هذه الآيات منفيًّا أو مسكوتًا عنه، لم يكن ربانيّو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلامًا فيه، ثم إنَّ الصحابة نقلوا عن النبيّ ﷺ أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع من تفسير آية ... وكذلك الأئمة كانوا إذا سئلوا شيئًا من ذلك لم ينفوا معناه، بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية،

= تحقيق/ أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، صـ (٣٣)، الناشر/ مكتبة أضواء السلف، ط/ الثالثة (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

(١) محاسن التأويل (جـ٤/٧٦١).

(٢) المرجع السابق (جـ٤/٧٧٧).

كقول مالك بن أنس[١] لما سئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٢] فَكَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ غيرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غيرُ مَعْقُولٍ، والْإِيمَانُ به واجبٌ، والسُّؤَالُ عنه بدعة[٣]، وكذلك ربيعة[٤] قبله، وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره، وقد بيَّن أن الاستواء معلوم، كما أن سائر ما أخبر به معلوم، ولكن الكيفية لا تعلم، ولا يجوز السؤال عنها، لا يقال: كيف استوى؟ ولم يقل مالك: الكيف معدوم، وإنما قال: الكيف مجهول، وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنة، غير أن أكثرهم يقولون: لا تخطر كيفيته ببال، ولا تجري ماهيته في مقال، ومنهم من يقول: ليس له كيفية ولا ماهية. فإن قيل: معنى قوله (الاستواء معلوم) أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه، قيل: هذا ضعيف، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، فإن السائل قد علم أن هذا موجود في القرآن، وقد تلا الآية، وأيضا فلم يقل ذكر الاستواء في القرآن، ولا إخبار الله بالاستواء، وإنما قال: الاستواء معلوم، فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم، لم يخبر عن الجملة. وأيضا فإنه قال: والكيف مجهول، ولو أراد ذلك لقال معنى الاستواء مجهول، أو تفسير الاستواء مجهول، أو بيان

---

[١] سبقت ترجمته، صـ (٩٧).

[٢] سورة طه الآية (٥).

[٣] يُنظر: البيهقي، الأسماء والصفات، (جـ٢/٣٠٥-٣٠٦)، وطرق هذه القصة والكلام عنها يُنظر: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية، الناشر/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط/ السنة الثالثة والثلاثون، العدد الحادي عشر بعد المائة، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)- ابن قدامة المقدسي "موفق الدين": ذم التأويل، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر، الناشر/ الدار السلفية – الكويت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ).

[٤] ربيعَة بن فروخ التَّيْمِيّ، أبو عُثْمَان، إمام حافظ فَقِيه مُجْتَهد، كان بصيرًا بِالرَّأْيِ، لقب (ربيعَة الرَّأْي) وكان من أئمة الاجتهاد، وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه الإمام مالك، (ت: ١٣٦هـ). يُنظر: سير أَعْلَام النبلاء، (جـ١٠/٨٩)- الزركلي: الأعلام (جـ٣/١٧).

الاستواء غير معلوم، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء، لا العلم بنفس الاستواء، وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه"(١).

رابعًا: <u>التأويل</u>:

١- **تعريفه لغةً:** هو التفعيل من أوَّل يؤوِّل تأويلًا، مثل حوَّل تحويلًا وعوَّل تعويلًا وثلاثية آل يئول أي رجع وعاد، وأول الكلام وتأويله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره، والتأويل: عبارة الرؤيا(٢).

قال القاسمي في سياق تأويله لقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾(٣)، "التأويل مصدر أوّله يؤوله تأويلًا، مثل حوّل تحويلًا، وعوّل تعويلًا، و (أوّل يؤوّل) تعدية (آل يؤول أَوْلًا)، مثل حال يحول حولًا وقولهم (آل يؤول) أي عاد إلى كذا ورجع إليه، ومنه المآل، وهو ما يؤول إليه الشيء، ويشاركه في الاشتقاق الموئل، فإنه وأل، وهذا من أول، والموئل المرجع، قال تعالى: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾(٤)، ومما يوافقه في اشتقاقه الأصغر الآل، فإن آل الشخص من يؤول إليه، ولهذا لا يستعمل إلا في عظيم، بحيث يكون المضاف إليه يصلح أن يؤول إليه الآل. كآل إبراهيم وآل لوط وآل فرعون، بخلاف الأهل، والأول أفعل، لأنهم قالوا في تأنيثه أولى، كما قالوا جمادى الأولى، وفي القصص: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولى وَالْآخِرَةِ﴾(٥)، ومن الناس من

---

(١) محاسن التأويل (جـ٤/٧٨٠-٧٨١).

(٢) يُنظر: لسان العرب (جـ١١/ ٣٤)- تهذيب اللغة، (جـ١٥/ ٤٣٧) - مقاييس اللغة، (جـ١/١٥٩)- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (جـ١/٨٠- ٨١).

(٣) سورة آل عمران الآية (٧).

(٤) سورة الكهف من الآية (٥٨).

(٥) سورة القصص من الآية (٧٠).

يقول فوعل ويقول (أوّله) إلا أن هذا يحتاج إلى شاهد من كلام العرب، بل عدم صرفه يدل على أنه أفعل لا فوعل، فإن فوعل مثل كوثر وجوهر مصروف، سمي المتقدم أول- والله أعلم- لأن ما بعده يؤول إليه ويبنى عليه، فهو أساس لما بعده وقاعدة له"[١].

من هنا يظهر أن القاسمي يَرى أن التأويل في اللغة بمعنى التحويل والرجوع، وهو بهذا يوافقُ علماء اللغة.

وقال أيضًا مؤكدًا ذلك ومستشهدًا له: "والصيغة صيغة تفضيل مثل أكبر وكبرى وأصغر وصغرى لا من أحمر وحمراء، ولهذا يقولون: جئته أول من أمس، وقال تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[٢]، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣]، ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ﴾[٤]، ومثل هذا أول هؤلاء، فهذا الذي فضل عليهم في الأوّل، لأن كل واحد يرجع إلى ما قبله فيعتمد عليه، وهذا السابق كلهم يؤول إليه، فإن من تقدم من فعل، فاستبق به من بعده، كان السابق الذي يؤول الكل إليه، فالأول له وصف السؤدد والاتباع، ولفظ الأول مشعر بالرجوع والعود، والأول مشعر بالابتداء، والمبتدي خلاف العائد؛ لأنه إنما كان أولا لما بعده، فإنه يقال (أوّل المسلمين)، و (أوّل يوم)، فما فيه من معنى الرجوع والعود، هو للمضاف إليه لا للمضاف، وإذا قلنا: آل فلان فالعود في المضاف؛ لأن ذلك صيغة تفضيل في كونه مآلا ومرجعا لغيره؛ لأنه كونه مفضلًا دلّ على أنه مآل ومرجع، لا آيل راجع، إذ لا فضل في كون الشيء راجعًا إلى غيره، آئلا إليه، وإنما الفضل في كونه هو الذي يرجع إليه ويؤال، فلما كانت الصيغة صيغة تفضيل أشعرت بأنه مفضل في كونه مآلًا ومرجعًا، والتفضيل المطلق في ذلك يقتضي أن يكون هو السابق المبتدئ. والله أعلم"[٥].

---

[١] محاسن التأويل (جـ٤/٧٦٦).

[٢] سورة التوبة من الآية (١٠٨).

[٣] سورة الأنعام من الآية (١٦٣).

[٤] سورة البقرة من الآية (٤١).

[٥] محاسن التأويل (جـ٤/٧٦٦-٧٦٧).

فالقاسمي يرى بأن التأويل أصله من الفعل (أَوَّل) وهو صيغة تفضيل وهذا يضيف إليه صفةً أخرى أو ميزة بأنه يشعر بأنه مفضل في كونه مآلًا ومرجعًا.

٢- **تعريفه اصطلاحًا:** اختلف العلماء في تعريف التأويل في الاصطلاح اختلافًا كبيرًا[١]، وقد اختار القاسمي معنى التأويل بأنه تفسير الكلام وبيان معناه، فيكون التفسير والتأويل متقاربين أو مترادفين، فقد جاء في مقدمة تفسيره عند بيان معني التأويل الذي قصده رسول الله ﷺ في دعائه لابن عباس ﷺ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ"[٢]، قال: "وتعلّم التأويل أي: التفسير[٣].

كما ذكر القاسمي قاعدة من أمهات القواعد عنده في مقدمة تفسيره يبيِّن هذا المعنى، تحت عنوان: (تمهيد خطير في قواعد التفسير)، الرابع – التفسير بالمقتضي من معني الكلام، والمقتضب من قوة الشرع[٤].

---

[١] لمعرفة ذلك يُنظر: بخيت "محمد حسن": أثر التأويل في ظهور الفرق، الناشر/ بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي (النص بين التحليل والتأويل والتلقي) الذي نظمته جامعة الأقصي – غزة – فلسطين (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)- الطيار "مساعد": مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مبحث التأويل صد (٨٩)، الناشر/ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية، ط/ الثانية (١٤٢٧هـ)- مخلوف "أحمد قوشتي": الدليل النقلي في الفكر الكلامي بين الحجية والتوظيف، صد (٤٠١-٤٢٨)، الناشر/ الجمعية العلمية السعودية، الرياض، ط/ الأولى (١٤٣٥هـ).

[٢] إسناده صحيح علي شرط مسلم، وأخرجه ابن سعد (جـ٢/٣٦٥) عن عفان بن مسلم، بهذا الإسناد، وابن أبي شيبة (جـ١٢/١١١-١١٢)، وابن حبان رقم (٧٠٥٥)، والطبراني رقم (١٠٥٨٧)، والحاكم (جـ٣/٥٤٣) من طرق عن حماد بن سلمة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

[٣] محاسن التأويل (جـ١/١٥).

[٤] المرجع السابق (جـ١/٧-٨).

٣-**التأويل في نصوص الصفات عند القاسمي:**

قال القاسمي في تفسيره: "وأما لفظ التأويل في لفظ السلف فله معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربًا أو مترادفًا....

والمعنى الثاني: في لفظ السلف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقًا هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلبًا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان تأويله نفس الشيء المخبر به، وبين هذا المعنى والذي قبله بون، فإن الذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم، والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان، له الوجود الذهنيّ واللفظيّ والرسميّ، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج، سواء كانت ماضية أو مستقبلة، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا نفس طلوعها، وهذا الوضع والعرف، الثالث هو لغة القرآن التي نزل بها، وقد قدمنا التبيين في ذلك، ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾(١)، وقوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ، قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْرًا، وَقالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ، نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ﴾(٢)، وقول الملأ: ﴿أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ﴾(٣)، ﴿وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾(٤)، وقول يوسف لما دخلوا عليه مصر وآوى إليه أبويه وقال: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ

---

(١) سورة يوسف من الآية (٦).

(٢) سورة يوسف من الآيتين (٣٧-٣٦).

(٣) سورة يوسف من الآية (٤٤).

(٤) سورة يوسف الآية (٤٥).

رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا﴾(١)، فتأويل الأحاديث التي هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التي تؤول إليه، كما قال يوسف: ﴿هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ﴾(٢)، والعالم بتأويلها الذي يخبر به، كما قال يوسف: ﴿لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ﴾(٣) -(أي: في المنام)- ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما﴾(٤)- أي: قبل أن يأتيكما التأويل-، وقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٥)، قالوا: أحسن عاقبة ومصيرا، فالتأويل هنا تأويل فعلهم الذي هو الرد إلى الكتاب والسنة، والتأويل في سورة يوسف تأويل أحاديث الرؤيا، والتأويل في الأعراف(٦) ويونس(٧) تأويل القرآن، وكذلك في سورة آل عمران(٧)، وقال تعالى في قصة موسى والعالم: ﴿قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾(٨) إلى قوله: ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾(٩)، فالتأويل هنا تأويل الأفعال التي فعلها

(١) سورة يوسف من الآيتين (١٠٠-٩٩).

(٢) سورة يوسف من الآية (١٠٠).

(٣) سورة يوسف من الآية (٣٧).

(٤) الآية السابقة.

(٥) سورة النساء الآية (٥٩).

(٦) يقصدُ قولَ الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. (الأعراف الآية:٥٣).

(٧) يَقصدُ قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ..﴾. (يونس الآية:٣٩).

(٧) يَقصدُ قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ..﴾. (آل عمران الآية:٧).

(٨) سورة الكهف الآية (٧٨).

(٩) سورة الكهف من الآية (٨٢).

العالم من خرق السفينة بغير إذن صاحبها، ومن قتل الغلام، ومن إقامة الجدار، فهو تأويل عمل، لا تأويل قول، .."[١].

كذلك وبين القاسمي منشأ الشبهة في لفظ التأويل قائلًا: "ومنشأ الشبهة الاشتراك في لفظ التأويل، فإن التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف، فإذا قال أحد منهم: هذا الحديث أو هذا النص مؤول، أو هو محمول على كذا، قال الآخر: هذا نوع تأويل، والتأويل يحتاج إلى دليل، والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر، وهذا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات، إذا صنف بعضهم في إبطال التأويل، أو ذم التأويل، أو قال بعضهم: آيات الصفات لا تؤول، وقال الآخر: بل يجب تأويلها، وقال الثالث: بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة، يترك عند المصلحة، أو يصح للعلماء دون غيرهم، إلى غير ذلك من المقالات والتنازع.."[٢].

ظهر من خلال ذلك أنَّ القاسميَّ أخذَ برأي السلف في مفهوم التأويل، خاصةً ما يتعلق بقضية تأويل الصفات.

---

[١] محاسن التأويل (جـ٤/٧٦٣-٧٦٦)، أيضًا هذا منقولٌ نصًا عن: ابن تيمية "تقي الدين": الإكليل في المتشابه والتأويل، خرج أحاديثه وعلق عليه/ محمد الشيمي شحاته، صـ (٣٠-٢٨)، الناشر/ دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر، ط/ الأولى، بدون تاريخ.

[٢] محاسن التأويل (جـ٤/٧٦٣).

خامسًا: الحقيقة والمجاز:

١-**تعريف الحقيقة لغةً:** من فعيلة، من حق الشيء بمعنى ثبت، وأحققت الشيء أي أوجبته، وتحقق عنده الخبر أي صح[١].

٢-**واصطلاحًا:** "هي اللفظُ المستعملُ فيما وُضِعَ له فيشملُ هذا الوضع اللغوي والشرعي والعرفي والاصطلاحي"[٢].

٣-**تعريف المجاز لغةً:** هو مفعول من الجواز الذي هو التعدي، كما يقال جزت موضع كذا أي جاوزته وتعديته، أو من الجواز الذي هو قسيم الوجوب والامتناع، وهو راجع إلى الأول لأن الذي لا يكون واجباً ولا ممتنعاً، يكون متردداً بين الوجود والعدم، فكأنه ينتقل من هذا إلى هذا[٣].

٤- **واصطلاحًا:** هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقةٍ مع قرينة[٤].

وقد اختلف علماء السلف والخلف في وقوع المجاز في القرآن على قولين:

القول الأول: جواز وقوع المجاز في القرآن، وقد ذهب إليه بعض الفرق، مثل المعتزلة والجهمية والأشاعرة، وكذلك بعض علماء أهل السنة والجماعة[٥].

---

[١] يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، (جـ٣/٢٥٨)، مادة: حقق.

[٢] الشوكاني "محمد بن علي": إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، (جـ١/٦٢)، تحقيق/ أحمد عزو عناية، الناشر/ دار الكتاب العربي، ط/ الأولى(١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

[٣] لسان العرب، (جـ٢/٤١٨)، مادة: جوز- فخر الدين الرازي "محمد بن عمر": المحصول، دراسة وتحقيق/ الدكتور طه جابر فياض العلواني، (جـ١/٢٣٩)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الثالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

[٤] الشوكاني: إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، (جـ١/٩٥).

[٥] يُنظر: سيبويه "عمرو بن عثمان": الكتاب، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، (جـ١/١٧٦)، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/ الثالثة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) - ابن قدامة المقدسي "موفق الدين": روضة الناظر وجنة المناظر، تحقيق/ د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، (جـ١/٦٤)، الناشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض، ط/ الثانية (١٣٩٩هـ) - ابن قتيبة "عبد الله بن مسلم": تأويل مشكل القرآن،=

القول الثاني: منع المجاز في القرآن[١].

٥- أما عن قول القاسمي في هذه المسألة فهو كالتالي:

لقد وضع القاسمي في القاعدة الحادية عشرة من قواعد التفسير في كتابه: (محاسن التأويل) عنوانًا شاملًا لهذه القضية سماه: (هل في القرآن مجاز أم لا؟) ثم بدأ الكلام بقوله: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان...."[٢]، ونقل من الكتاب المذكور ثمانيةَ وعشرين صفحة كلها من كلام ابن تيمية –رحمه الله– في نفي المجاز في القرآن الكريم، ثم ختم قاعدته بقوله: (انتهي)، ولم يزد على ذلك شيئًا، فهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ علي أن القاسمي يتبنى رأي ابن تيمية في مسألة المجاز في القرآن الكريم وأنه لا يوجد مجاز في القرآن الكريم.

وبالنسبة لاستعمال لفظ المجاز في صفات الله تعالى خاصةً فقد نقل القاسمي قول الفخر الرازي في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٣]، فقال: "قال الرازيّ: (إطلاق لفظ (المحيط) على الله مجاز، لأن المحيطَ بالشيء هو الذي يحيط به من كل جوانبه، وذلك من صفات الأجسام، لكنه تعالى لما كان عالمًا بكل الأشياء، قادرًا على كل الممكنات، جاز في مجاز اللغة أنه محيط بها....)[٤]، ثم أنكر عليه بقوله: "أقول: ما ذكره شبهة جهمية.."[٥].

=علق عليه ووضع حواشيه/ إبراهيم شمس الدين، صـ (٨٥-٨٧)، الناشر/ دار الكتب العلمية، ط/ الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

[١] يُنظر: ابن تيمية "تقي الدين": الإيمان، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، صـ (٧٣، وما بعدها)، الناشر/ المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط/ الخامسة (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

[٢] محاسن التأويل (جـ١/٢٢٢-٢٤٩).

[٣] سورة آل عمران من الآية (١٢٠).

[٤] فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب (جـ٨/٣٤٤).

[٥] محاسن التأويل (جـ٤/٩٥٣).

سادسًا: المحكم والمتشابه:

١- **تعريف المحكم لغةً:** المحكم في اللغة له عدة إطلاقات، حيث جاء في لسان العرب: " ...والعرب تقول: حَكَمْتُ وأَحْكَمْتُ وحَكَّمْتُ بمعنى مَنَعْتُ وَرَدَدْتُ"(١)؛ ولهذا سُمي الحُكْمُ بهذا؛ لأن أصله المنع؛ ولذلك سُمِّيت حَكَمَةُ الدَّابَّةِ لأنها تمنعها، يُقال: حَكَمْتُ الدابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا(٢)، "وأحكمت الشيء فاسْتحْكَمَ، أي صار مُحْكَمًا"(٣)، "وسورة محكمة غير منسوخة والآيات المحكمات... أو التي أُحْكِمَتْ فلا يحتاجُ سامِعُها إلى تأوِيلِها لِبيانها، كأَقاصِيصِ الأنبياءِ"(٤). إلى غير ذلك من الإطلاقات التي ترجع بمعناها العام إلى المنع(٥).

٢-**واصطلاحًا:**- لقد جاء تعريف المحكم في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾(٦)، كما أورده الطبري: أما المحكمات فإنهن اللواتي قد أُحكمن بالبيان والتفصيل وأثبت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه، من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك(٧)، وقال القاسمي: ".. ﴿مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ﴾(٨) واضحات الدلالة"(٩).

---

(١) لسان العرب (جـ١٢/١٤١).

(٢) مقاييس اللغة (جـ٢/٩١).

(٣) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (جـ٥/١٩٠٢).

(٤) القاموس المحيط، صـ (١٠٩٥).

(٥) رضا "محمد رشيد": تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (جـ٣/١٣٥)، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم الطبعة، سنة النشر/١٩٩٠م.

(٦) سورة آل عمران من الآية (٧).

(٧) يُنظر: الطبري: جامع البيان، (جـ٥/١٨٨)- الزركشي "بدر الدين محمد بن عبد الله": البرهان في علوم القرآن، (جـ٢/٦٨)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط/ الأولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).

(٨) سورة آل عمران من الآية (٧).

(٩) محاسن التأويل (جـ٤/٧٥١).

٣-**تعريف المتشابه لغةً:** جاءت مادة التشابه في المعاجم بمعنى المماثلة: فقد قيل: "الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْباهٌ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ"[١]، "وَالْمُشَبِّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ"[٢]، "والتشبيه: التمثيل، فأشبهت فلانًا وشابهتُهُ واشتبه علي الشيء"[٣].

٤-**واصطلاحًا:-** جاء المتشابه في الاصطلاح في قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[٤]، "متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى"[٥]، وقال القاسمي: "﴿.. مُتَشَابِهَاتٌ﴾، أي: لها معان كثيرة يشبه بعضها بعضًا، وتتشابه عليهم في ذلك الزمن، فلا يمكنهم الجزم بالصحيح منه"[٦]، وقال: "﴿كِتابًا مُتَشابِهًا﴾[٧] أي: يشبه بعضه بعضًا في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق"[٨]، وقيل غير ذلك في تعريف المحكم والمتشابه.

٥- **أما عن رأي القاسمي في هذه المسألة فهو كالتالي:**

قال القاسمي: "للعلماء في المحكم والمتشابه أقوالٌ كثيرةٌ، ومباحث واسعة، وأبدع ما رأيته في تحرير هذا المقام مقالة سابغة الذيل لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عليه الرحمة والرضوان"[٩]،

---

(١) لسان العرب، (جـ١٣/٥٠٣).

(٢) مقاييس اللغة (جـ٣/٢٤٣).

(٣) الصحاح، (جـ٦/٢٢٣٦) – القاموس المحيط، صـ (١٢٤٧).

(٤) سورة آل عمران من الآية (٧).

(٥) الطبري: جامع البيان، (جـ٥/١٩٢)- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، (جـ٢/٦٩).

(٦) محاسن التأويل (جـ١/٣٣٧).

(٧) سورة الزمر من الآية (٢٣).

(٨) محاسن التأويل (جـ١٤/٥١٣٦).

(٩) محاسن التأويل (جـ٤/٧٥٢-٧٨٤).

ثم ساق كلامَ ابن تيمية[١] بالنص دون تعليق وكأنه يُقره فيه، ثم ساق بعده كلام محمد بن المرتضى[٢] في هذه المسألة فقال: "قال الإمام الجليل أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليمانيّ في كتاب (إيثار الحق على الخلق) في بحث سبب الاختلاف الشديد بين الفرق ما نصه.."[٣].

وذكر أيضًا- أعني القاسمي- فصلًا في مقدمة تفسيره بعنوان: (فصلٌ في أن الأدلة الشرعية لا تنافي قضايا العقول)، ثم ساق بعدها كلامًا للشاطبيّ[٤] تحت هذا العنوان، وذكر خلالها أن المتشابهات ليست مما تعارض مقتضيات العقول وإن توهم بعض الناس فيها ذلك[٥].

إذًا المحكم هو ما استقلَّ بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما لم يظهر معناه واحتاج إلى بيان، وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية؛ قال القاسمي: "فإني ما أعلم عن أحدٍ من سلف الأمة ولا من الأئمة... أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا إن الله ينزِّلُ كلامًا لا يَفهم أحدٌ معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في

---

[١] يُنظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (جـ١٣/٢٧٣، وما بعدها)- ابن تيمية: الإكليل في المتشابه والتأويل، (جـ١/١١، وما بعدها).

[٢] سبقت ترجمته، صـ (٢١٢).

[٣] محاسن التأويل (جـ٤/٧٨٤، وما بعدها).

[٤] **الشاطبي:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، إمام حافظ جليل مجتهد من المحققين، كان شديدًا على أهل البدع، له مصنفات فائقة أهمها الموافقات، والاعتصام، وشرح ألفية ابن مالك، (ت: ٧٩٠هـ). يُنظر: الزركلي: الأعلام، (جـ١/٧٥)- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، (جـ١/١١٨).

[٥] يُنظر: محاسن التأويل (جـ١/١٧٠-١٧٣)- الشاطبي "إبراهيم بن موسى": الموافقات، تحقيق/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (جـ٣/٢٠٨، وما بعدها)، الناشر/ دار ابن عفان، ط/ الأولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

أحاديث الصفات: تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه"[١].

---

[١] محاسن التأويل، (جـ٤/٧٦٨)– ابن تيمية: مجموعة الفتاوى، (جـ١٣/٢٩٥)– ابن تيمية: الإكليل في المتشابه والتأويل، (جـ١/٣٣).

المطلب الثالث:

القول في الصفات كالقول في الذات:

ومعنى هذا الأصل: أنه إذا كان لله ذاتٌ حقيقيةٌ ثابتةٌ مستوجبةٌ للكمال لا يُماثِلُها شيءٌ، فكذلك ما يقوم بذات الله من الصفات، فهي صفاتٌ حقيقية لا يُماثِلُها شيءٌ من الصفات، وحكمها حكم الذات الإلهية، .. فلما كانت ذات الله ﷻ مختلفةً عن ذواتِ المخلوقات؛ كانت الصفاتُ التي تقوم بذاته ﷻ مختلفةً عن صفاتِ المخلوقات[١]، هذه قاعدةٌ وأصلٌ عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، اختارها القاسمي، وسار عليها في قضية الصفات، قال القاسمي: "مذهب سلف الأمّة وأئمتها: إنهم يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلو سأل سائل: كيف يجيء سبحانه أو كيف يأتي..؟ فليقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: لا أعلم كيفية ذاته! فليقل له: وكذلك لا تعلم كيفية صفاته..! فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف"[٢]، وقال أيضًا مستدلًا بقول أبي سليمان الخطابي[٣]: ".. الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذي حذوه ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية.."[٤].

---

[١] يُنظر: العُميري "سلطان بن عبد الرحمن": العقود الذهبية على مقاصد العقيدة الواسطية، (جـ١/٧٣-٧٤)، الناشر/ دار مدارج للنشر – السعودية، ط/ الأولى (١٤٤٠هـ-٢٠١٩م).

[٢] محاسن التأويل (جـ٣/٥١٨).

[٣] سبقت ترجمته، صـ (١٧٣).

[٤] محاسن التأويل (جـ٦/٢٠٦٠) – ابن تيمية "تقي الدين": الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق/ د. حمد بن عبد المحسن التويجري، صـ (٣٦٣)، الناشر/ دار الصميعي – الرياض، ط/ الثانية (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

ومن لوازم هذه القاعدة عندهم: (استحالة التماثل بين صفات الله وصفات الخلق)؛ وذلك أنه إذا كانت ذاتُ الله ﷻ لا يمكن أن تتماثل أو تتشابه مع صفات المخلوقين، فكذلك ما قام بها من الصفات لا يمكن أ يتماثل مع صفات المخلوقين؛ لأن الصفات تابعةٌ للذات، واستحالة التماثل بين صفات الله ﷻ وبين صفات المخلوقين يُقيمه أهل السنة والجماعة على أصلين كليَّين: **الأول**: القول في الصفات كالقول في الذات، **الثاني**: أن المتماثلين يجوز ويجب على أحدهما ما يكون للآخر، فإذا كان الله ﷻ والمخلوقاتُ بينهما تماثل وتشابه، جاز للمخلوق أن يكون قديمًا، وجاز على الله تعالى أن يكون مُحدثًا؛ فيجتمع النقيضان، وهذا يدل على استحالة التماثل والتشابه بين الله تعالى وبين خلقه[١].

قال القاسمي: "من أنكر أن يكون شيءٌ من هذه الأسماء والصفات حقيقة، فإنما أنكر، لجهله لمسمى الحقيقة، أو لكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين؛ وذلك أنه قد يظن أن إطلاق ذلك يقتضي أن يكون المخلوق مماثلا للخالق، فيقال له: هذا باطل، فإن الله موجود حقيقة، والعبد موجود حقيقة، وله تعالى ذات حقيقة، والعبد له ذات حقيقة، وليس ذاته تعالى كذات المخلوقات، وكذلك له علم وسمع وبصر حقيقة، وللعبد سمع وبصر وعلم حقيقة، وليس علمه وسمعه وبصره مثل علم العبد وسمعه وبصره..."[٢]، وقد نقل القاسمي عن كثير من علماء السلف وغيرهم ما يقررُ به تلك القاعدة في غير موضع من تفسيره، لا يتسع المجال لذكر أقوالهم، وقال مقررًا لكلامهم: ".. وأما السلف فينكرون أن معنى الظاهر منها ما للخلق بل هو ما يتبادر إلى فهم المؤمن الذي يعلم أن ذاته تعالى، كما أنها لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات؛ لأنها لا تكيف ولا تعلم بوجه ما، فهي حقيقة النسبة إليه سبحانه على ما يليق به، كالعلم والقدرة لا تمثيل ولا تعطيل"[٣].

---

[١] سلطان العُميري: العقود الذهبية على مقاصد العقيدة الواسطية، (جـ١/٧٨-٧٩).

[٢] محاسن التأويل (جـ٧/٢٧٣١).

[٣] المرجع السابق (جـ١٧/٦١٥٥).

المطلب الرابع:

صفات الله تعالى متنوعةٌ في تعلقها بذاته[١]:

ومعنى هذا: أن ما يقوم بالذات الإلهية من الصفات متنوعٌ؛ منه ما هو ملازم له في جنسه وأفراده، ومنه ما ليس كذلك، وبناءً عليه: فصفات الله ﷻ مقسمةٌ إلى قسمين[٢]:

الأول: **صفات ملازمة:** وهي الصفات التي لا تنفك عن الذات الإلهية في كل الأحوال، كصفة الحياة والعلم وغيرها، وكذلك الصفات الخبرية؛ كاليد، والساق، والقدم، وغيرها، فهذه صفات لا تنفكُّ عن الله ﷻ في جنسها وأفرادها، وبعضها لا أفراد لها.

الثاني: **صفات اختيارية:** وهي الصفات التي يتصف الله بأفرادها بإرادته واختياره ومشيئته المتجددة؛ فالمتعلق بالإرادة والاختيار أفراد تلك الصفات وليس جنسُها؛ إذ جنسُها لم يزلِ الله متصفًا به.

ومن العلماء من يقسمها باعتبار ورودها في النصوص إلى قسمين[٣]:

الأول: صفات ثبوتية.   الثاني: صفات سلبية (أي منفية).

الثبوتية: هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وتنقسم الصفات الثبوتية من جهة تعلقها بالله إلى قسمين[٤]:

الأول: الصفات الذاتية.   الثاني: الصفات الفعلية.

وكلا النوعين يجتمعان في أنهما صفات له تعالى أزلًا وأبدًا، لم يزل متصفًا بهما ماضيًا ومستقبلًا، لائقان بجلال رب العالمين[٥].

---

[١] سلطان العُميري: العقود الذهبية على مقاصد العقيدة الواسطية، (جـ١/٨٨).

[٢] المرجع السابق (جـ١/٨٨-٨٩).

[٣] التميمي "محمد بن خليفة": الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، صـ (٥٧)، الناشر/ أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).

[٤] المرجع السابق صـ (٦٥).

[٥] ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، صـ (٧٩).

وضابط الصفات الذاتية: هي التي لا تنفك عن الذات[1]، وهي ما يوصف الله بها، ولا يوصف بضدها، نحو القدرة والعزة والعظمة، وغيرها[2]، وضابط الصفات الفعلية: هي التي تنفك عن الذات، أو التي تتعلق بالمشيئة والقدرة، أو هي ما يجوز أن يوصف الله بضده، كالرضا والرحمة والسخط والغضب، ونحوها[3].

فالفرق بين القسمين: أن الصفات الذاتية لا تنفك عن الذات، أما الصفات الفعلية يمكن أن تنفك عن الذات على معنى أن الله إذا شاء لم يفعلها[4].

وتنقسم الصفات من حيث ثبوتها وأدلتها إلى[5]:

١-**صفات خبرية:** وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بالسمع والخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ، وتسمى (صفات سمعية أو نقلية)، وقد تكون ذاتِيَّة؛ كالوجه، واليدين، وقد تكون فعليَّة؛ كالفرح، والضحك.

٢-**صفات سمعية عقلية:** وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلي) والدليل العقلي، وقد تكون ذاتِيَّة؛ كالحياة والعلم، والقدرة، وقد تكون فعليَّة؛ كالخلق، والإعطاء.

وقد ذكر القاسمي شيئًا من هذه التقسيمات وذلك من خلال دراسته لآيات الصفات وسوف نأتي على بعضها في المباحث التالية.

---

[1] عبد العزيز السلمان: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، صـ (٣١١).

[2] الجرجاني: معجم التعريفات، صـ (١٣٣).

[3] المرجع السابق.

[4] محمد بن خليفة التميمي: الصفات الإلهية، صـ (٦٦).

[5] يُنظر: علوي عبد القادر السَّقَّاف: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، صـ (٣٣)- الغامدي "أحمد بن عطية": البيهقي وموقفه من الإلهيات، صـ (٢٧٥)، الناشر/ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/ الثانية (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

المبحث الرابع:

منهج القاسمي في صفات الله تعالى،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهج القاسمي في الصفات الملازمة.

المطلب الثاني: منهج القاسمي في الصفات الاختيارية.

المطلب الأول:

منهج القاسمي في الصفات الملازمة:

ذهب القاسمي إلى إثبات هذا النوع من الصفات كما أثبت الصفات عمومًا، ويرى أن صفات الله تعالى التي يتصف بها المخلوق لا يراد منها تشبيه المولى بخلقه، وظاهر هذه الصفات إنما هو كمال يليق بالخالق عز وجل، وهذا هو مذهب السلف، ومن أمثلة الصفات اللازمة التي ذكرها القاسمي في تفسيره:-

أولًا: صفة العلو لله تعالى:

قرر القاسمي في هذه الصفة مذهب السلف في إثبات العلو لله تعالى في مواطنَ كثيرة من تفسيره منها:

قوله – رحمه الله –عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ..﴾[1]، "وقد دلت هذه الآية بظاهرها على أن الله تعالى فوق سماواته كقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ﴾[5]، وهو مذهب

---

(1) سورة آل عمران من الآية (٥٥).

(2) سورة النساء الآية (١٥٨).

(3) سورة النحل الآية (٥٠).

(4) سورة السجدة من الآية (٥).

(5) سورة الملك الآية (١٦).

السلف قاطبة كما نقله الإمام الذهبيّ[١] في كتاب (العلوّ)[٢]، ثم قال الدارميّ[٣]: (وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته)، وقد بسط نصوص السلف الحافظ الذهبيّ في كتاب (العلوّ) فانظره"[٤].

وقال القاسمي عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥]، ".. مقال متأخري المتكلمين، أن الله تعالى ليس في السماء ولا على العرش ولا على السماوات ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارج العالم ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم، وقالوا: جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله تعالى منزه عن الجسم، قال لهم أهل السنة والأثر: نحن لا نخوض في ذلك ونقول ما ذكرناه اتباعا للنصوص ولا نقول بقولكم، فإن هذه السلوب نعوت للمعدوم تعالى الله جلّ جلاله عن العدم، بل هو موجود متميز عن خلقه، موصوف بما وصف به نفسه، من أنه فوق العرش بلا كيف"[٦].

---

[١] **الإمام الذهبي:** هو شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني، ثم الدمشقي، إمام المحدثين، ولد عام (٦٧٣هـ)، من مصنفاته: الموقظة في مصطلح الحديث، وميزان الاعتدال وغيرهما، (ت: ٧٤٨هـ). يُنظر: السبكي: طبقات الشافعية، (جـ٩/١٠٠)- ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (جـ٥/٦٦-٦٨).

[٢] يُنظر: محاسن التأويل (جـ٤/٨٥٢) – الذهبي "شمس الدين محمد بن أحمد": مختصر العلو للعلي العظيم، صـ (١٤٢-١٤١)، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر/ المكتب الإسلامي، ط/ الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م، والكتاب كله يتكلم عن إثبات العلو.

[٣] **الدارمي:** هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، محدث حافظ، من مؤلفاته: الرَدِّ على بِشْرٍ المرِّيْسِيِّ، وكتاب الرَدِّ على الجَهْمِيَّةِ، (ت: ٢٨٠هـ). يُنظر: السبكي: طبقات الشافعية، (جـ٢/٣٠٢-٣٠٣) – سير أعلام النبلاء، (جـ١٣/٣١٩، وما بعدها) –- ابن العماد: شذرات الذهب، (جـ٣/٣٣٠).

[٤] محاسن التأويل (جـ٤/٨٥٢)- الدارمي "عثمان بن سعيد": الرد على الجهمية، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر، صـ (٢٩، وما بعدها)، الناشر/ دار ابن الأثير- الكويت، ط/ الثانية (١٤١٦هـ – ١٩٩٥م).

[٥] سورة الشورى من الآية (١١).

[٦] محاسن التأويل (جـ١٤/٥٢٢٨) – الذهبي: مختصر العلو صـ (١٤٧-١٤٦).

وقال أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ﴾[١]، "أي: أأمنتم العليّ الأعلى أن يخسف بكم الأرض فيغيبكم إلى أسفل سافلين"[٢].

أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[٣]، قال: "﴿الْأَعْلَى﴾ هو الأرفع من كل شيء، قدرة وملكا وسلطانا، واستدل السلف بظاهره في إثبات العلوّ بلا تكييف، والمسألة معروفة"[٤].

فمن هذه النقول يتبيَّن أن القاسمي موافقٌ لمنهج أهل السنة والجماعة في صفة العلو.

ثانيًا: <u>صفة اليد لله تعالى</u>:

قال القاسمي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[٥]، "ما زعمه الزمخشريّ[٦] ومن تابعه- من أنّ إثبات اليد لا يصحّ حقيقة له تعالى- فإنها نزعة كلامية اعتزالية، ثم نقل عن أبي الحسن الأشعري قوله: (فإن سئلنا: أتقولون لله يدان؟ قيل: نقول ذلك، وقد دلَّ عليه قوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٨]، ورُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال:

---

[١] سورة الملك الآية (١٦).

[٢] محاسن التأويل (جـ١٦/٥٨٨٥).

[٣] سورة الأعلى الآية (١).

[٤] محاسن التأويل (جـ١٧/٦١٢٩).

[٥] سورة المائدة من الآية (٦٤).

[٦] سبقت ترجمته، صـ (١٠٨).

[٧] سورة الفتح من الآية (١٠).

[٨] سورة ص من الآية (٧٥).

(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً)[١]، إلى أن قال –أي القاسمي–: "وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها، ومعقولًا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني به النعمة– بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بِيَدَيَّ النعمة"[٢]، ثم نقل كلام ابن تيمية مقرًا له، فقال: "مذهب أهل الحديث– وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف– أنّ هذه الأحاديث تمرّ كما جاءت ويؤمن بها وتصدّق وتصان عن تأويل يُفضي إلى تعطيل، وتكييف يُفضي إلى تمثيل، وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف– منهم الخطابيّ[٣]– مذهب السلف أنّها تجري على ظاهره مع نفي الكيفية والتشبيه عنها؛ وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذي حذوه ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية.."[٤].

وقال أيضًا – القاسمي– عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[٥]، "وفي (القبضة واليمين) مذهبان معروفان:

مذهب السلف: وهو إثبات ذلك من غير تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة للفظ الكريم عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل يجرون على الظاهر ويكلون علمه إليه تعالى ويقرون بأن تأويله (أي ما يؤول إليه من حقيقته) لا يعلمه إلا الله، وهكذا قولهم في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح.

---

[١] أخرجه أبو داود، رقم (٤٧٠٣)، والترمذي، رقم (٣٠٧٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، والحاكم في مستدركه، (جـ١/٨٠)، رقم (٧٤)، وقال: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ على شرطهما ولم يُخَرِّجاهُ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، والأرنؤوط.

[٢] محاسن التأويل (جـ٦/٢٠٥٧-٢٠٥٩).

[٣] سبقت ترجمته، صـ (١٧٣).

[٤] محاسن التأويل (جـ٦/٢٠٦٠).

[٥] سورة الزمر من الآية (٦٧).

المذهب الثاني: القول بأن ذلك من المجاز المعروف نظيره في كلام العرب، وإن الإطلاق لا ينحصر في الحقيقة، ثم من ذاهب إلى أن المجاز في المفردات، استعيرت (القبضة) للملك أو التصرف و (اليمين) للقدرة، وذاهب إلى أنه في المركب، بتمثيل حال عظمته ونفاذ قدرته، بحال من يكون له قبضة فيها الأرض، ويمين بها تطوى السماوات، وهذا ما عول عليه الزمخشري وبسطه أحسن بسط"[١]٠

واختار القاسمي المذهب الأول جريًا على عادته في ترجيح مذهب السلف[٢]٠

وقال- رحمه الله- عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٣]، "أي: بنفسي من غير توسط، كأب وأم"[٤]، فهو بهذا لم يجرِ النصَ على ظاهره كعادته في جميع آيات الصفات، وقد تلقف هذا التفسير أحدُ المحققين ليثبت به دعواه بأن من سلف المتأخرين –القاسمي- مُؤَوِّل، ليؤيد مشروعية التأويل[٥]٠

لكن قد يُقال: إن القاسمي لم يقصد بذلك تأويلًا لليد، وإنما شُغِلَ بنفي أن يكون آدم عليه السلام مخلوق بواسطة أبٍ أو أم، فصرف همه إلى نفي ذلك[٦]٠

وبهذه النقول يتبيَّن أن القاسمي يثبت صفة اليد لله تعالى ويجري النصوص على ظاهرها بلا تحريفٍ ولا تأويلٍ ولا تفويض، موافقًا بذلك منهج أهل السنة٠

---

[١] محاسن التأويل (جـ١٤/٥١٤٩-٥١٥٠)٠

[٢] د/ محمد المغراوي: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، (جـ٢/٦٥٧)٠

[٣] سورة ص من الآية (٧٥)٠

[٤] محاسن التأويل (جـ١٤/٥١٢٢)٠

[٥] يُنظر: ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، صـ (١٣)٠

[٦] يُنظر: علي محمود دبدوب: القاسمي وآراؤه الاعتقادية، صـ (١٨٠)٠

ثالثًا: صفتا السمع والبصر لله تعالى:

ردَّ القاسمي على بعض المفسرين في قولهم من أن البصير في اللغة بمعنى العليم، فقال: "ما ذكره بعض المفسرين من أن البصير في اللّغة بمعنى العليم لا يخفى فساده، فإن العليم والبصير اسمان متباينا المعنى لغة. نعم! لو حمل أحدهما على الآخر مجازًا لم يبعد، ولا ضرورة إليه هنا، ودعوى أن بعض الأعمال مما لا يصح أن يرى؛ فلذا حمل هذا البصر على العلم- هو من باب قياس الغائب على الشاهد، وهو بديهيّ البطلان، قال شمس الدين ابن القيم الدمشقيّ[١] في كتاب الكافية الشافية:

وهُوَ البَصِيرُ يَرى دَبيبَ النَمَّلَةِ السْـــ ... ودَاءِ تَحتَ الصَّخْرِ والصَّوان

ويَرَى مَجارِي القُوتِ في أعضَائِـــــهَا ... ويَرَى بَياضَ عُروقِها بِعيـــان

ويَرَى خَياناتِ العُيونِ بِلَحظِــــــــــهَا ... ويَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأجفَـــان[٢].

وقال أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣]، "ردٌّ على المعطلة؛ ولذا أعدل المذاهب مذهب السلف، فإنهم أثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه؛ وذلك أن المعطلين لم يفهموا من أسماء الله تعالى وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق. ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فجمعوا بين التمثيل والتعطيل، فمثلوا أولا وعطلوا آخرا، فهذا تشبيه وتمثيل منهم، للمفهوم من أسمائه وصفاته تعالى، بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم. فعطلوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات اللائقة به عزّ وجلّ. بخلاف سلف الأمة وأجلاء الأئمة، فإنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصف به نبيّه ﷺ من غير تحريف ولا تشبيه

---

[١] سبقت ترجمته، صـ (٥٥).

[٢] محاسن التأويل (جـ٢/١٩٧)- ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر": متن القصيدة النونية، صـ (٢٠٤)، الناشر/ مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط/ الثانية (١٤١٧هـ).

[٣] سورة الشورى من الآية (١١).

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] فرد على المشبهة بنفي المثلية، ورد على المعطلة بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]"[3].

فبعد هذه النقول يتضح منهج القاسمي في هاتين الصفتين بإثباتهما لله تعالى موافقًا بهذا منهج أهل السنة والجماعة.

رابعًا: <u>صفة الحياة لله تعالى</u>:

قال القاسمي مثبتًا صفة الحياة لله تعالى عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[4]، "﴿الْحَيُّ﴾ أي: الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء"[5].

وقال أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6]، "﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ أي: الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها"[7].

من هذه النقول يتضح منهج القاسمي في هذه الصفة وهو إثباتها كعادته موافقًا منهج أهل السنة والجماعة.

---

(1) سورة الشورى من الآية (١١).

(2) سورة الشورى من الآية (١١).

(3) محاسن التأويل (جـ١٤/٥٢٢٧).

(4) سورة البقرة من الآية (٢٥٥).

(5) محاسن التأويل (جـ٣/٦٥٨).

(6) سورة غافر الآية (٦٥).

(7) محاسن التأويل (جـ١٤/٥١٧٩).

خامسًا: صفة النفس لله تعالى:

من عقيدة أهل السنة والجماعة التي يؤمن بها القاسمي خاصةً في قضية الأسماء والصفات– صفة النفس – وإثباتها لله تعالى كغيرها من الصفات من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تعطيل ولا تكييف، قال الإمام ابن خزيمة[١]: "جلَّ بنا عن أن تكون نفسُه كنفس خلقه، وعزَّ أن يكون عدمًا لا نفس له، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٢]، فأعلمنا ربنا أن له نفسًا كتب عليها الرحمة: أي ليرحم بها من عمل سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده، على ما دل عليه سياق الآية، وقال تعالى لكليمه موسى ﷺ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى، وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[٣]، فثبت أن لله نفسًا، اصطنع لها كليمه موسى ﷺ، وقال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤]، فثبت أن لله نفسًا – أيضًا – في هذه الآية ..." ثم سرد– ابن خزيمة – الأحاديث التي فيها إثبات هذه الصفة لله عز وجل[٥].

---

[١] **الإمام ابن خزيمة:** هو محمد بنُ إسحَاقَ بن خُزَيْمَةَ بنِ صالحِ بن بَكْرٍ السُّلَمِيُّ، شيخُ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكرٍ السُّلَمِيُّ النَّيسابوريُّ، الشَّافعيُّ، صاحبُ التصانِيْفِ منها: كتاب التوحيد، ومختصر المختصر عن المسند الصحيح عن النبي ﷺ وغيرهما، (ت: ٣١١هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء (جـ١٤/٣٦٥، وما بعدها) – السبكي: طبقات الشافعية (جـ٣/١٠٩).

[٢] سورة الأنعام الآية (٥٤).

[٣] سورة طه من الآيتين (٤١–٤٠).

[٤] سورة آل عمران الآية (٣٠).

[٥] ابن خزيمة "محمد بن إسحاق": كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق/ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، (جـ١/١١–٢٢)، الناشر/ مكتبة الرشد – السعودية، ط/ الخامسة (١٤١٤هـ–١٩٩٤م) – ابن تيمية: مجموع الفتاوى (جـ٩/٢٩٢–٣٩٣) – حسن خان "محمد صديق": قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، صـ (٦٩)، الناشر/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، ط/ الأولى (١٤٢١هـ).

والقاسمي تكلم عن إثبات هذه الصفة لله تعالى عند تأويله للآيات التي فيها ذكرها، قال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1]، "أي ذاته المقدسة، فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه، وموالاة أعدائه، وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهيّ في القبح، وذكر النفس، ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى، فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة"[2].

وقال أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[3]، "ومعنى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أنه تعالى أوجبها وقضاها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة، بالذات، لا بتوسط شيء أصلًا، وفي التعبير عن (الذات) بـ (النفس) حجة على من ادعى أن لفظ (النفس) لا يطلق على الله تعالى، وإن أريد به الذات إلا مشاكلة، لما ترى من انتفاء المشاكلة هاهنا– أفاده أبو السعود[4]–"[5].

من هذه النقول يتبيَّن أن القاسمي يثبت صفة النفس لله تعالى كما يثبتها أهل السنة والجماعة.

---

(1) سورة آل عمران من الآية (٢٨).

(2) محاسن التأويل (جـ٤/٨٢٧).

(3) سورة الأنعام من الآية (١٢).

(4) **أبو السعود:** هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، عام (٨٩٨هـ) وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ومن كتبه (تحفة الطلاب–رسالة في المسح على الخفين– رسالة في مسائل الوقوف)، (ت: ٩٨٢هـ)، يُنظر: الزركلي: الأعلام (جـ٧/٥٩)– عمر كحالة: معجم المؤلفين، (جـ١١/٣٠٢).

(5) محاسن التأويل (جـ٦/٢٢٥٤)–أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (جـ٣/١١٥).

سادسًا: صفة الوجه لله تعالى:

تكلم القاسمي عن صفة الوجه لله تعالى وأثبتها كعادته موافقًا بذلك أهل السنة، قال عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿ويَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾[١]، "﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ذاته الكريمة"[٢].

كما نقل القاسمي عن الإمام أبي الحسن الأشعري[٣] إثبات هذه الصفة، فقال: ".. وقال الإمام أبو الحسن الأشعريّ رحمه الله تعالى في كتاب (الإبانة)[٤] في باب (الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين) وذكر الآيات في ذلك، ورد على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته"[٥]، ثم قال –أي القاسمي-: "وقال القاضي أبو بكر الباقلانيّ[٦] في كتاب (الإبانة) له: فإن قال: فما الدليل على أنّ لله وجهًا ويدًا؟ قيل له: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾[٧]، وقوله تعالى: "﴿ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٨] فأثبت لنفسه وجهًا ويدًا: فإن قال: فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجهًا ويدًا إلّا جارحة؟ قلنا: لا يجب هذا كما لا يجب- إذا لم نعقل حيًّا عالمًا قادرًا إلّا جسمًا- أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه"[٩].

وعلى هذا فإن القاسمي يثبت صفة الوجه لله تعالى، وأنها من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى.

---

[١] سورة الرحمن الآية (٢٧).

[٢] محاسن التأويل (جـ١٥/٥٦٢٠).

[٣] سبقت ترجمته، صـ (٢١٩).

[٤] أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، (جـ١٢٠-١٢٤).

[٥] محاسن التأويل (جـ٦/٢٠٨٥).

[٦] سبقت ترجمته، صـ (٢١٩).

[٧] سورة الرحمن الآية (٢٧).

[٨] سورة ص من الآية (٧٥).

[٩] محاسن التأويل (جـ٦/٢٠٦٠).

المطلب الثاني:

منهج القاسمي في الصفات الاختيارية:

أولًا: صفة المحبةِ لله تعالى:

منهج القاسمي في صفة المحبة لله تعالى، فهو يثبتها كعادته في جميع الصفات على الوجه الذي يَليق به سبحانه وتعالى، ولم يكتفِ بإثباتها، بل ردَّ على الزمخشري كلامه في تأويلها؛ فعند تأويل –القاسمي – لقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1]، قال: "مذهب السلف في المحبة المسندة له تعالى، أنها ثابتة له تعالى بلا كيف ولا تأويل، ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها، ثم قال: .. فتأويلٌ مثل الزمخشريّ لها- بإثابته تعالى لهم أحسن الثواب، وتعظيمهم والثناء عليهم والرضا عنهم- تفسير باللازم، منزع كلاميّ لا سلفيّ"[2]، ثم ردَّ عليه في ادعائه بتأويل محبة العباد لله أيضًا، وهكذا نجد القاسمي يرجح مذهب السلف خاصةً في آيات الصفات.

ثانيًا: صفة الغضب لله تعالى:

قال القاسمي عن صفة الغضب: "إن الغضب صفة وصف الله تعالى نفسه بها، وليس غضبه كغضبنا، كما أن ذاته ليست مثل ذواتنا، فليس هو مماثلا لأبداننا ولا لأرواحنا، وصفاته كذاته"[3]، كما استدل أيضًا على إثبات هذه الصفة لله تعالى بقول النبي ﷺ: "اشْتَدَّ

---

(1) سورة المائدة من الآية (٥٤).

(2) محاسن التأويل (جـ٦/٢٠٣٧).

(3) المرجع السابق (جـ٢/١٩٠).

غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ"[1]، فقال: "والروايات في توصيف غضبه تعالى بالشدة على بعض المنكرات متوافرة"[2].

من هنا يتبين لنا أن القاسمي يثبت صفة الغضب لله تعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى.

ثالثًا: صفة الإتيان والمجيء:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[3]، في تفسير هذه الآية نجد القاسمي بعد تأويلها يذكر تنبيهات منها: "وصفه تعالى نفسه بالإتيان في ظلل من الغمام كوصفه بالمجيء في آيات أخر ونحوهما مما وصف به نفسه في كتابه أو صحّ عن رسول الله ﷺ، والقول في جميع ذلك من جنس واحد، وهو مذهب سلف الأمّة وأئمتها: إنهم يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلو سأل سائل: كيف يجيء سبحانه أو كيف يأتي..؟ فليقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: لا أعلم كيفية ذاته! فليقل له: وكذلك لا تعلم كيفية صفاته..! فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف..."[4].

ثم ذكر القاسمي كلامًا لأئمة السلف يبيِّن فيه صحةَ ما ذهب إليه ولا داعي لذكره؛ لأنه لا يخرج عمّا ذكره[5].

---

(1) أخرجه البخاري، رقم (٦٢٠٥)، ومسلم، رقم (٢١٤٣).

(2) محاسن التأويل (جـ٢/١٨٩).

(3) سورة البقرة الآية (٢١٠).

(4) محاسن التأويل (جـ٣/٥١٨).

(5) يُنظر: المرجع السابق (جـ٣/٥١٨-٥٨٠).

وقال كذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾[١]، "قال ابن كثير[٢]: وذلك كائن يوم القيامة، ثم قال: ومذهب السلف إمرار ذلك بلا كيف، كما مرّ مرارًا"[٣].

من هنا يتبيَّن أن منهج القاسمي في صفتي الإتيان والمجيء هو إثبات هاتين الصفتين لله تعالى كأهل السنة والجماعة.

رابعًا: صفة الاستواء على العرش:

قال القاسمي عند تأويله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٤]، مقررًا ما نقله عن العلماء في هذه المسألة، "روى البيهقي[٥] عن ابن وهب[٦] قال: كنت عند مالك، فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله! ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾[٧] اسْتَوَى كيف استوى؟ فأطرق مالك، وأخذته الرُّحَضَاءُ[٨]، ثم رفع رأسه فقال:

---

[١] سورة الأنعام من الآية (١٥٨).

[٢] سبقت ترجمته، صـ (١٥٤).

[٣] محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٧٧).

[٤] سورة الأعراف من الآية (٥٤).

[٥] سبقت ترجمته، صـ (٩٧).

[٦] **ابن وهب:** هو عبدُ اللهِ بنُ وَهْبِ بن مُسْلِمٍ، أبو محمدٍ الفِهْرِيُّ مولاهم، المصرِيُّ، الحافظُ، وصفه الإمام مالك بأنه مفتي أهل مصر، من مؤلفاته: (الجَامِع – البَيْعَة– المَنَاسِك– المَغَازِي– الرِّدَّة – تفسير غريب الموطأ)، وغير ذلك، (ت: ١٩٧هـ). يُنظر: سير أعلام النبلاء (جـ٩/٢٢٣-٢٢٩) – الذهبي "شمس الدين محمد": ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق/ علي محمد البجاوي، (جـ٢/٥٢١)، الناشر/ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط/ الأولى (١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م).

[٧] سورة طه الآية (٥).

[٨] الرُّحَضَاءُ: هو شدة العرق، أو عرق الحمى. يُنظر: القاضي "عياض بن موسى": شَرْحُ صحيح مُسْلِمٍ للقاضى عياض المُسمى إكمالُ المُعْلِمِ بفوائدِ مُسلم، تحقيق/ الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، (جـ٣/٥٨٩)،=

﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف، و (كيف) عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، وفي رواية قال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.."(١).

ثم قال: "قال الحافظ الذهبي في كتاب (العلوّ) – بعد ما ساق هذا– ما نصه: وهو قول أهل السنة قاطبة، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم، كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا، بل نسكت ونقف، كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل، لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره، والسكوت عنه، ونعلم يقينًا مع ذلك أن الله جل جلاله، لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوّا كبيرا"(٢)، ثم سرد القاسمي أقوالَ العلماء المحققين في تقرير إثبات صفات العلو لله سبحانه وتعالى من دون تمثيل ولا تشبيه، فأطال النقل من هؤلاء العلماء وبيّنَ سبب إطالته فقال: "وإنما أشبعنا الكلام في هذا المقام، لأنه من أصول العقائد الدينية، ومهمات المسائل التوحيدية، وقد كثر فيه تعارك الآراء، وتصادم الأهواء، ولم يأت جمهور المتكلمين المؤولين بشيء يعلق بقلب الأذكياء، بل اجتهدوا في إيراد التمحلات التي تأباها فطرة الله أشد الإباء، فبقيت نفوس أنصار السنة المحققين، مائلة إلى مذهب السلف الصالحين، فإن الأئمة منهم، كان عقدهم ما بيناه فلا تكن من الممترين، والحمد لله رب العالمين"(٣)

من هنا يتبيَّن أن القاسمي يثبت صفة الاستواء لله تعالى موافقًا بذلك منهج أهل السنة والجماعة.

= الناشر/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط/ الأولى (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م)– ابن حجر: فتح الباري (جـ١/١٢٢).

(١) محاسن التأويل، (جـ٧/٢٧٠٤) – البيهقي: الأسماء والصفات (جـ٢/٣٠٤-٣٠٥).

(٢) محاسن التأويل، (جـ٧/٢٧٠٤)– الذهبي: مختصر العلو للعلي العظيم، صـ (١٤٢-١٤١)

(٣) محاسن التأويل (جـ٧/٢٧٥٠).

خامسًا: صفة الكلام لله تعالى:

أثبت القاسمي صفة الكلام لله تعالى كعادته في إثبات الصفات، فقال عند تأويله لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[١]، "تنبيه: يحسن في هذا المقام إيراد عقيدة السلف الكرام في مسألة الكلام، فإنها من أعظم مسائل الدين، وقد تحيرت فيها آراء أهل الأهواء من المتقدمين والمتأخرين، واضطربت فيها الأقوال، وكثرت بسببها الأهوال، وأثارت فتنا وجلبت محنا، وكم سجنت إمامًا، وبكت أقوامًا، وتشعبت فيها المذاهب، واختلفت فيها المشارب، ولم يثبت إلا قول أهل السنة والجماعة المقتفين لأثر الرسول ﷺ وصحابته الكرام ﷺ"[٢]، ثم أورد جوابَ شيخِ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى التي استفتي فيها في بيان مسألة الكلام، فذكر جواب الفتوى كاملةً ولم يعقب[٣]، فدلَّ ذلك على إقراره بقول ابن تيمية في هذه الصفة لله تعالى.

وقال أيضًا: "والصواب في هذا الباب وغيره، مذهب سلف الأمة وأئمتها: أنه سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاءَ، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، وأنه نادى موسى ﷺ بصوت سمعه موسى، وإنما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك، وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد، كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته"[٤]، ولم يكتفِ القاسمي بذلك، بل أبطل ما ذهبت إليه الطوائف الأخرى، وهو في هذا يستشهد بكلام أئمة السلف كالإمام أحمد، وابن تيمية، وابن القيم[٥].

---

[١] سورة النساء من الآية (١٦٤).

[٢] محاسن التأويل (جـ٥/١٧٢٣).

[٣] المرجع السابق (جـ٥/١٧٢٤-١٧٥١).

[٤] المرجع السابق (جـ١١/٤١٢٢).

[٥] المرجع السابق (جـ٥/١٧٢٣-١٧٥٢)، (جـ١١/٤٢٤٥-٤٢٤٨).

وقال أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[١]، "أي: خاطبه من غير واسطة ملك"[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾[٣]؛ أي: يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى عليه السلام[٤].

كما قال أيضًا عند قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[٥]، "أي: القرآن الذي تقرؤه عليه، ويتدبره، ويطلع على حقيقة الأمر، وتقوم عليه حجة الله به"[٦].

وهكذا يثبت القاسمي تلك الصفة موافقًا بهذا منهج أهل السنة والجماعة.

---

(١) سورة الأعراف من الآية (١٤٣).

(٢) محاسن التأويل (جـ٧/٢٨٥٠).

(٣) سورة الشورى من الآية (٥١).

(٤) محاسن التأويل (جـ١١/٥٢٥٤).

(٥) سورة التوبة من الآية (٦).

(٦) محاسن التأويل (جـ٨/٣٠٧٧).

الفصل الرابع:

القضاء والقدر في تفسير محاسن التأويل

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القضاء والقدر،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: القضاء والقدر لغةً.

المطلب الثاني: القضاء والقدر اصطلاحًا.

المبحث الثاني: مراتب القضاء والقدر،

ويشتمل على أربعةِ مطالب:

المطلب الأول: العلم.

المطلب الثاني: الكتابة.

المطلب الثالث: المشيئة.

المطلب الرابع: الخَلْقُ والتكوين.

المبحث الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر،

ويشتمل على ثلاثةِ مطالب:

المطلب الأول: الأمر الكوني والشرعي.

المطلب الثاني: الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

المطلب الثالث: قضية خلق أفعال العباد.

المبحث الأول:

القضاء والقدر،

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: القضاء والقدر لغةً.

المطلب الثاني: القضاء والقدر اصطلاحاً.

المطلب الأول:

القضاء والقدر لغةً:

أولًا: تعريف القضاء لغةً:

هو بالمد، ويُقْصَرُ، أصله: قَضَايٌ، فلما جاءت الياء بعد ألف زائدة متطرفة هُمِزَت، وجمعه أقضية[1]، "القاف والضاد والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على إحكام أمرٍ وإتقانهِ وإنفاذه لجهتهِ"[2].

كما يُطلق القضاء على معانٍ عدّة منها: "الأمر، والأداء، والحكم، والفراغ، والإعلام، والموت"[3].

والقاسمي كان قريبًا مما ذُكِر في تعريف القضاء لغةً، فقد قال: ".. والقضاء إنفاذ المقدّر"[4]، وقال أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾[5]، "﴿وَقَضى رَبُّكَ﴾ أي: أمر أمرًا مقطوعًا به"[6].

وعند قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[7]، قال: "﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ﴾ أي: كتاب اللوح المحفوظ، أي حكمنا فيه"[8]

---

[1] يُنظر: لسان العرب، (جـ١٥/١٨٦) – مرتضى الزبيدي: تاج العروس، (جـ٣٩/٣١٠) – الصحاح، (جـ٦/٢٤٦٣).

[2] معجم مقاييس اللغة (جـ٥/٩٩).

[3] يُنظر: لسان العرب، (جـ١٥/١٨٦) – تاج العروس، (جـ٣٩/٣١٠)– الصحاح، (جـ٦/٢٤٦٣)– تهذيب اللغة، (جـ٩/١٦٩).

[4] محاسن التأويل (جـ٢/٢٣٤).

[5] سورة الإسراء من الآية (٢٣).

[6] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٩١٨).

[7] سورة الإسراء الآية (٤).

[8] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٩٠٢).

ثانيًا: تعريف القدر لغةً:

(قَدَرَ) القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مَبْلَغ الشَّيء وكُنهه ونهايته. فالقدر: مبلغُ كلِّ شيء. يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغُه. وكذلك القَدَر[1].

والقَدِيرُ والقادِرُ: من صفات الله عز وجل يكونان من القُدْرَة ويكونان من التقدير، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]؛ من القُدْرة فالله عز وجل على كل شيء قدير والله سبحانه مُقَدِّرُ كُلِّ شيء وقاضيه[3].

ولفظ القدر في اللغة جملةً يطلق على عدّة معان منها: الحكم، والقضاء، والطاقة، والتّضييق، والتقدير[4].

وقد عرَّف القاسميُّ القدرَ في اللغة العربية بقوله: "وَمعنى الْقدر فِي اللُّغَة الْعَرَبيَّة التَّرْتِيب والحد الذي يَنْتَهِي إليه الشيء تَقول قدرت الْبناء تَقْديرًا إِذا رتبته وحددته قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾[5] بِمَعْنى رتب أقواتها وحددها وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[6]، أي: برتبة وحدٍّ، فَمَعْنَى قضى وَقدر حكم ورتب[7].

---

(1) ابن فارس: مقاييس اللغة (جـ٥/٦٢).

(2) سورة البقرة من الآية (٢٠).

(3) لسان العرب (جـ٥/٧٤).

(4) يُنظر: لسان العرب (جـ٥/٧٤)- الصحاح (جـ٢/٧٨٦) -تهذيب اللغة (جـ٩/٣٧).

(5) سورة فصلت من الآية (١٠).

(6) سورة القمر الآية (٤٩).

(7) القاسمي: الفضل المبين، صـ(١٧٠)، ونقل القاسمي هذا التعريف عن ابن حزم كما في الفصل في الملل والأهواء والنحل، (جـ٣/٣١).

المطلب الثاني:

القضاء والقدر اصطلاحًا:

أولًا: تعريف القضاء اصطلاحًا:

هو: "الحكمُ بالكُلّيَّاتِ على سبيلِ الإجمالِ في الأَزَلِ"[(١)]، وقيل: "الْقَضَاءُ: هو الحكمُ الكُليُّ الإجماليُّ في الأَزَلِ"[(٢)]، وقيل: "هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل"[(٣)]٠

ثانيًا: تعريف القدر اصطلاحًا:

عرّف القاسمي القدر اصطلاحًا بقوله: "اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله تبارك وتعالى قدَّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى"[(٤)]٠

ثالثًا: تعريف القضاء والقدر مُركّبًا:

هو: عِلم الله بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، ومشيئته سبحانه لوقوعها، وخلقه عز وجل لها على ما سبق به علمه وكتابته ومشيئته[(٥)]٠

وعرّفه القاسمي بقوله: "وَمعنى الْقَضَاء وَالْقدر: حكم الله تعالى في شيء بِحَمْدِهِ أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وَقت كَذَا"[(٦)]٠

---

(١) ابن حجر: فتح الباري، (جـ١١/١٤٩)٠

(٢) المرجع السابق (جـ١١/٤٧٧)٠

(٣) الأشقر "عمر بن سليمان": القضاء والقدر، صـ (٢٤)، الناشر/ دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط/ الثالثة عشر (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)٠

(٤) القاسمي: الفضل المبين، صـ (١٥٧)٠

(٥) يُنظر: محمد خليل هراس: شرح العقيدة الواسطية، صـ (٦٥) - النووي: شرح صحيح مسلم، (جـ١/١٥٤)- المناوي "محمد بن عبد الرؤوف": فيض القدير شرح الجامع الصغير، (جـ٣/٢٩٣)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط/ الأولى (١٣٥٦هـ)٠

(٦) القاسمي: الفضل المبين، صـ (١٧٠)، نقلًا عن ابن حزم في الفِصَل٠

المبحث الثاني:

مراتب القضاء والقدر،

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: العـــــــــــــــلم٠

المطلب الثاني: الكتـــــــــــــابة٠

المطلب الثالث: المشيئـــــــــــــة٠

المطلب الرابع: الخَلْـــــــــق والتكوين٠

مراتبُ القدرِ أربع، لا يكون العبد مؤمنًا إلا إذا آمن بها كلها[1]، وهي كالتالي:-

المطلب الأول:

العلم:

أي: أَنَّ الله تعالى عَلِمَ ما الخلق عاملون بعلمه القديم، ودليلها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2]، فالعلم أن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيءٍ جملة وتفصيلًا.

قال العلَّامة القاسمي نقلًا عن ابن تيمية، في تقرير هذه المرتبة وإثباتها: "الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال"[3].

وقال أيضًا: "و (القضاء والقدر) عندهم أربع مراتب جاء بها نبيُّهُم وأخبرَ بها عن ربه تعالى: الأولى: علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم"[4].

---

[1] ينظر: محمد خليل هرّاس: شرح العقيدة الواسطية، صـ (٦٥)- ابن قدامة المقدسي: لمعة الاعتقاد، صـ (٩٢).

[2] سورة الحج الآية (٧٠).

[3] القاسمي: الفضل المبين: صـ (١٦٨)، نقلًا عن ابن تيمية من مجموع الفتاوى، (جـ٣/١٤٨).

[4] محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٥٤).

المطلب الثاني:

الكتابةُ:

أي: أن الله تعالى كتبَ مقاديرَ الخلائقِ في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ودليلها قوله ﷺ: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"(١).

وقد بيَّن القاسمي هذه المرتبة في تفسيره، وذلك عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢)، قال: "... والثانية: – من مراتب القدر– كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السماوات والأرض"(٣).

وقال أيضًا: "... ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: أُكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: أُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(٤)، فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ(٥) جَفَّتْ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتْ الصُّحُفُ(٦)، كما قَال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٧)، وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ

---

(١) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يُنظر: الطبراني "سليمان بن أحمد بن أيوب": مسند الشاميين، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، (جـ٢/٣٩٧)، رقم (١٥٧٢)، الناشر/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٤٩).

(٣) محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٥٤).

(٤) أصل هذا الحديث رواه الطبراني وقد سبق تخريجه، في الصفحة نفسها.

(٥) أصل هذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (جـ٦/٤٤١)، وخرّجه أبو داود (٤٦٩٩) وابنُ ماجه رقم (٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٥٨٥).

(٦) أصل هذا حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (جـ١/٢٩٣)، والبيهقى فى شعب الإيمان (جـ١/٢١٦)، رقم (١٩٥)، والترمذى (جـ٢/٧٦)، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(٧) سورة الحج الآية (٧٠).

مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1] وهذا التقديرُ – التابعُ لعلمهِ سبحانه – يكونُ في مواضعَ جُملةً وتفصيلًا فقد كتب في اللَّوْحِ المحفُوظِ ما شاء: وَإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الرُّوحِ فيه بعثَ إليه مَلَكًا؛ فيؤمرُ بأربعِ كلماتٍ فيقالُ له: أُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ[2]؛ ونحو ذلك.

فهذا الْقَدَرُ قد كان يُنكره غلاةُ القدريَّةِ[3] قديمًا ومُنكرُهُ اليومَ قليلٌ" هذا الكلام نقله ابن تيمية مقرًا له[4].

(فالقدرية يقولون: الأمر مستقبل، وإِنَّ الله لم يُقَدِّر الكتابة والأعمال)[5].

---

[1] سورة الحديد الآية (٢٢).

[2] أصل هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، عن ابن مسعود ﷺ، (جـ٩/١٣٥) رقم (٧٤٥٤).

[3] **القدرية**: هي اسم عام يجمع كل من ينفي القدر وهم طائفتان: منهم من ينفي العلم عن الله، وهم القدرية الغلاة، ومنهم من ينفي الإرادة عن الله تعالى، وهم القدرية غير الغلاة من المعتزلة، ومن وافقهم من الشيعة الإباضية، وكلهم مجمعون على أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله لا يخلق أفعال العباد. يُنظر: أبو المظفر الأسفراييني "طاهر بن محمد": التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، صـ (٤٠)، الناشر/ عالم الكتب – لبنان، ط/ الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) – البغدادي "عبد القاهر بن طاهر": الفَرْقُ بين الفِرَقِ صـ (١٩٤) تعليق/ إبراهيم رمضان، الناشر/ دار المعرفة – بيروت – ط/ الأولى (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م)– أبو الحسين المَلَطي "محمد بن أحمد": التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق/ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، صـ (١٧٥)، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، ط/ الثانية (١٩٧٧م).

[4] القاسمي: الفضل المبين، صـ (١٦٨)، نقلًا عن ابن تيمية من مجموع الفتاوى، (جـ٣/١٤٩).

[5] حلمي "أ.د/ مصطفى": الموجز في العقيدة الإسلامية، صـ (٣٤)، الناشر/ دار الكتب العلمية، . بيروت، لبنان، ط/ الأولى (٢٠٠٦م).

المطلب الثالث:

المشيئة:

أي: أَنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ليس في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلاّ بمشيئته سبحانه، ولا يكون في ملكه شيءٌ إلاّ ما يريد، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[١].

قال القاسمي عن المرتبة الثالثة: "مشيئته المتناولة لكل موجود، فلا خروج لكائن عن مشيئته، كما لا خروج له عن علمه"[٢].

وقال: "مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات، وما في الأرض من حركة، ولا سكون، إلا بمشيئة الله – سبحانه–، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه – سبحانه – على كل شيء قدير من الموجودات، والمعدومات.. فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه – سبحانه–، لا خالقَ غيرُه، ولا ربَّ سواه"[٣].

وقال أيضًا عند تأويله لقول الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤]، "ومعلوم أنّ عقيدة الفرقة الناجية، الإيمان بأن: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلّا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلّا ما يريد، وهو خالق لأفعال العباد.!"[٥].

---

[١] سورة إبراهيم من الآية (٢٧).

[٢] محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٥٤).

[٣] القاسمي: الفضل المبين، صـ (١٦٨)، نقلًا عن ابن تيمية من مجموع الفتاوى، (جـ٣/١٤٩).

[٤] سورة الأنعام الآية (١٤٩).

[٥] محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٤٣).

المطلب الرابع:

الخَلْقُ والتكوين:

أي: أنَّ الله خالق كل شيءٍ، ومُوجِدُ كلِّ شيء، كما دَلَّت على ذلك النصوص من الكتاب، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣].

قال القاسمي عن هذه المرتبة: "خلقه له وإيجاده وتكوينه، فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء، فالخالق – عندهم – واحد وما سواه فمخلوق ..."[٤].

ثم قال: "... ولهذا، كان المنكرون للقدر فرقتين: فرقة كذبت بالعلم السابق ونفته، وهم غلاتهم الذين كفّرهم السلف والأئمة وتبرّأ منهم الصحابة، وفرقة جحدت كمال القدرة، وأنكرت أن تكون أفعال العباد مقدورة لله تعالى، وصرّحت بأنّ الله لا يقدر عليها، فأنكر هؤلاء كمالَ قدرةِ الربِّ، وأنكرت الأخرى كمال علمه"[٥].

وقال كذلك: "فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه لا خالق غيره ولا رب سواه ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، وهو . سبحانه . يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن، والكافر والبر

---

[١] سورة الأعراف من الآية (٥٢).

[٢] سورة الصافات الآية (٩٦).

[٣] سورة الزمر من الآية (٦٢).

[٤] محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٥٤).

[٥] المرجع السابق (جـ٦/٢٥٥٦–٢٥٥٧).

والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وقدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[١]، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية، الذين سماهم النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ[٢]، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويُخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها"[٣].

فبعد هذه النقول يتبيَّن أن منهج القاسمي في مراتب القدر موافقٌ لمنهج أهل السنة والجماعة.

---

[١] سورة التكوير الآية (٢٩-٢٨).

[٢] رواه الترمذي (جـ٤/٤٥٣)، رقم (٢١٤٧)، السنة لابن أبي عاصم (جـ١/١٥٠)، رقم (٣٤٠)، الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، (جـ١/١٥٩)، رقم (٢٨٦)، الآجري في الشريعة، (جـ٢/٨٠١)، رقم (٣٨١). يُنظر: الآجُرِّيُّ "أبو بكر محمد بن الحسين": الشريعة، تحقيق/ د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر/ دار الوطن - الرياض / السعودية، ط/ الثانية (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

[٣] القاسمي: الفضل المبين، صـ (١٦٨-١٦٩)، نقلًا عن ابن تيمية من مجموع الفتاوى، (جـ٣/١٤٩-١٥٠).

المبحث الثالث:

الإيمان بالقضاء والقدر،

ويشتمل على ثلاثةِ مطالب:

المطلب الأول: الأمر الكوني والشرعي.

المطلب الثاني: الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

المطلب الثالث: قضية خلق أفعال العباد.

المطلب الأول:

الأمر الكوني والشرعي:

الأمر الكوني: هو السنن الإلهية التي تنظم الكون وتدبر أمور الكائنات، وتجعل الحياة في تناسق واطراد وإحكام من خلال الهيمنة الإلهية والسلطان المطلق لله تعالى.

والأمر الشرعي: هو ما يتعلق بالصلة بين المخلوق والخالق في إطار العبادة والتكليف والمسئولية، وهو ما أشار إليه قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، وقوله ﷺ: "حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا"(٢)، فنحن مطالبون بالأمر الشرعي وليس بالكوني فإنه خارج عن التكليف للإنسان(٣).

قال القاسمي مبينًا ذلك عند تأويله لقوله تعالى: ﴿وَما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)، "﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار، فالإذن هنا هو الإذن الكونيّ القدريّ، لا الشرعيّ الدينيّ، كقوله في السحر: ﴿وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٥)، ثم أخبر عن حكمة هذا التقدير بقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾"(٦)، وقال أيضًا: "... وأمره بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني والأمر القدري الكوني. وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه. كما في الحديث الصحيح(٧): (اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ..). فقضاؤه هو أمره الكوني:

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٢) البخاري (جـ٢٩/٤)، رقم (٢٨٥٦)، ومسلم (جـ٥٨/١)، رقم (٣٠).

(٣) المسير "د/ محمد سيد أحمد": الإلهيات في العقيدة الإسلامية، صـ (٢٢٨)، الناشر/ دار الاعتصام، بدون رقم الطبعة، (١٩٩٨م).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٦٦).

(٥) سورة البقرة من الآية (١٠٢).

(٦) محاسن التأويل (جـ٤/١٠٣٠).

(٧) سبق تخريجه، صـ (١٩٨).

﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]، فلا يأمر إلا بحق وعدل، وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل، وإن كان في المقضيّ المقدّر ما هو جور وظلم فالقضاء غير المقضيّ، والقدر غير المقدّر..."[2].

وقال: "ذهب المعتزلة إلى أن الإرادة مدلول الأمر، ولازمة له، والفحشاء- أعني الشرور والمعاصي- غير مأمور بها بنص الآية، فلا تكون مرادة له تعالى، وأجاب أهل السنة بأن الأمر قد ينفك عن الإرادة، بمعنى أنه يوجد بدون الإرادة، فلا تكون الإرادة تابعة له وجودًا، ومما يوضح أن الشيء قد يؤمر به ولا يكون مرادًا، أن السيد إذا أراد أن يظهر على الحاضرين عصيان عبده، يأمره بالشيء ولا يريده منه، ومنها أن الأمر أمران:

أمر تكويني: يحصل به وجود الأشياء، وهو خطاب (كن) وهو تابع للإرادة، ويعم جميع الكائنات، فالطاعات والمعاصي كلها مأمورة ومرادة بهذا الأمر، ولا يتعلق بهذا الأمر الطاعة والعصيان والثواب والعقاب؛ لأنه يتعلق بالأشياء حال العدم.

وأمر تشريعيّ تدوينيّ: أي شرعه الله لعباده، وكلفهم به، مما دون في كتب الشريعة وبيّن، وهذا الأمر يتعلق به الطاعة والعصيان والثواب والعقاب والرضا والسخط. والكفر والمعاصي ليست مأمورة بهذا الأمر. والمعتزلة لم يفرقوا بين الأمرين، وقالوا: إن الكفر والمعاصي لو كانت مراده تعالى، لكانت مأمورا بها، وإتيان المأمور به طاعة، فيكون الكافر والفاسق مطيعين، فإنهما مأمور بهما بالأمر الأول، وليس مأمورًا بهما بالأمر الثاني، حتى يكون إتيانهما طاعة.."[3].

فمن هنا يظهر مُوافقةَ القاسمي في هذه القضية لمنهج السلف الصالح.

---

[1] سورة يس الآية (٨٢).

[2] محاسن التأويل (جـ١٠/٣٨٣٧).

[3] محاسن التأويل (جـ٧/٢٦٥٣).

<u>المطلب الثاني:</u>

الاحتجاج بالقدر على المعاصي

قال القاسمي موضحًا أقسام الناس في قضية الاحتجاج بالقدر على المعاصي: "قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ، كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ، ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[3]، وقال: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[4]، فهذه أربعة مواضع في القرآن بيّن سبحانه فيها أن الاحتجاج بالقدر من فعل المشركين المكذبين للرسل.

وقد افترق الناس في الكلام على هذه الآيات أربع فرق:

<u>الفرقة الأولى</u>: جعلت هذه الحجة حجة صحيحة، وأنّ للمحتج بها الحجة على الله، ثم افترق هؤلاء فرقتين: (فرقة) كذبت بالأمر والوعد والوعيد، وزعمت أن الأمر والنهي والوعد والوعيد، بعد هذا، يكون ظلمًا، والله لا يظلم من خلقه أحدًا! و (فرقة) صدقت بالأمر والنهي والوعد والوعيد وقالت: ليس ذلك بظلم، والله يتصرف في ملكه كيف يشاء ويعذب العبد على ما لا صنع له فيه، بل يعذبه على فعله هو سبحانه لا على فعل عبده؛ إذ العبد لا فعل له، والملك ملكه ولا يُسألُ عمَّا يَفعل وهم يسألون، فإنّ هؤلاء الكفار إنما قالوا هذه المقالة- التي حكاها الله عنهم- استهزاء منهم، ولو قالوا- اعتقادا للقضاء والقدر، وإسنادًا لجميع الكائنات إلى مشيئته وقدرته- لم ينكر عليهم، ومضمون قول هذه الفرقة إنّ هذه حجة صحيحة إذا

---

[1] سورة الأنعام من الآية (١٤٨).

[2] سورة النحل الآية (٣٥).

[3] سورة الزخرف الآية (٢٠).

[4] سورة يس الآية (٤٧).

قالوها على وجه الاعتقاد- لا على جهة الاستهزاء- فيكون للمشركين على الله الحجّة، وكفى بهذا القول فسادًا وبطلانًا.

الفرقة الثانية: جعلت هذه الآيات حجة لها في إبطال القضاء والقدر والمشيئة العامة إذ لو صحت المشيئة العامة- وكان الله قد شاء منهم الشرك والكفر وعبادة الأوثان- لكانوا قد قالوا الحق، وكان الله يصدقهم عليه ولم ينكر عليهم، فحيث وصفه بالخرص- الذي هو الكذب- ونفى عنهم العلم، دلَّ على أن هذا الذي قالوه ليس بصحيح، وأنهم كاذبون فيه إذ لو كان علما لكانوا صادقين في الإخبار به، ولم يقل لهم: هل عندكم من علم.

وجعلت هذه الفرقة هذه الآيات حجةً لها على التكذيب بالقضاء والقدر، وزعمت بها أن يكون في ملكه ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون، وإنه لا قدرة له على أفعال عبادة من الإنس والجن والملائكة، ولا على أفعال الحيوانات، وإنه لا يقدر أن يضل أحدًا، ولا يهديه، ولا يوفقه أكثر مما فعل به، ولا يعصمه من الذنوب والكفر، ولا يلهمه رشده، ولا يجعل في قلبه الإيمان، ولا هو الذي جعل المصلّي مصليًّا والبرّ برًّا والفاجر فاجرًا والمؤمن مؤمنًا والكافر كافرًا، بل هم جعلوا أنفسهم كذلك، فهذه الفرقة شاركت الفرقة التي قبلها في إلقاء الحرب والعداوة بين الشرع والقدر، فالأولى تحيزت إلى القدر وحاربت الشرع، والثانية تحيزت إلى الشرع، وكذبت القدر، والطائفتان ضالتان، وإحداهما أضلُّ من الأخرى.

والفرقة الثالثة: آمنت بالقضاء والقدر وأقرت بالأمر والنهي، ونزّلوا كلّ واحد منزلته: فالقضاء والقدر يؤمن به ولا يحتجّ به، والأمر والنهي يمتثل ويطاع، فالإيمان بالقضاء والقدر- عندهم- من تمام التوحيد وشهادة أن لا إله إلّا الله، والقيام بالأمر، والنهي موجب شهادة أن محمدًا رسول الله، وقالوا: من لم يقرّ بالقضاء والقدر، ويقم بالأمر والنهي فقد كذّب بالشهادتين وإن نطق بهما بلسانه، ثمّ افترقوا في وجه هذه الآيات فرقتين: (فرقة) قالت: إنما أنكر عليهم استدلالهم بالمشيئة العامة والقضاء والقدر على رضاه ومحبته لذلك، فجعلوا مشيئته له وتقديره له، دليلًا على رضاه به ومحبته له؛ إذ لو كرهه وأبغضه لحال بينه وبينهم، فإنّ الحكيم إذا كان قادرًا على دفع ما يكرهه ويبغضه، دفعه ومنع من وقوعه، وإذا لم

يمنع من وقوعه، لزم إما عدم قدرته وإما عدم حكمته، وكلاهما ممتنع في حق الله تعالى، فعلم محبته لما نحن عليه من عبادة غيره ومن الشرك به، وقد وافق هؤلاء من قال: إنّ الله يحب الكفر والفسوق والعصيان ويرضى بها، ولكن خالفهم في أنه نهى عنها وأمر بأضدادها ويعاقب عليها، فوافقهم في نصف قولهم وخالفهم في الشطر الآخر، وهذه الآيات من أكبر الحجج على بطلان قول الطائفتين، وأن مشيئة الله تعالى وقضاءه وقدره لا تستلزم محبته ورضاه لكلّ ما شاءه وقدّره.

وهؤلاء المشركون- لمّا استدلوا بمشيئته على محبته ورضاه- كذبهم وأنكر عليهم، وأخبر أنه لا علم لهم بذلك، وأنهم خارصون مفترون، فإن محبة الله للشيء ورضاه به، إنما يعلم بأمره به على لسان رسوله، لا بمجرد خلقه، فإنه خلق إبليس وجنوده- وهم أعداؤه- وهو سبحانه يبغضهم ويلعنهم وهم خلقه.. فهكذا في الأفعال، خلق خيرها وشرها وهو يحبّ خيرها ويأمر به ويثيب عليه، ويبغض شرها وينهى عنه ويعاقب عليه، وكلاهما خلقه، ولله الحكمة البالغة التامة في خلقه ما يبغضه ويكرهه، من الذوات والصفات والأفعال، كلّ صادر عن حكمته وعلمه، كما هو صادر عن قدرته ومشيئته..

وقالت (الفرقة) الثانية: إنما أنكر عليهم معارضة الشرع بالقدر، ودفع الأمر بالمشيئة، فلما قامت عليهم حجة الله ولزمهم أمره ونهيه دفعوه بقضائه وقدره، فجعلوا القضاء والقدر إبطالًا لدعوة الرسل، ودفعًا لما جاءوا به، وشاركهم في ذلك إخوانهم وذريتهم الذين يحتجون بالقضاء والقدر على المعاصي والذنوب في نصف أقوالهم، وخالفوهم في النصف الآخر وهو إقرارهم بالأمر والنهي.."[1].

ثم قال بعد حديثه عن هذه الفرق مُنكرًا عليهم، ومبيّنًا الصواب في هذه القضية: "فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام، وورث كلّ قوم أئمتهم وأسلافهم، إما في جميع تركتهم، وإما في كثير منها، وإما في جزء منها، وهدى الله بفضله ورثة أنبيائه

---

[1] محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٥١-٢٥٥٤).

ورسله لميراث نبيهم وأصحابه، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض، بل آمنوا بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مقلب القلوب ومصرفها كيف أراد، وأنه هو الذي جعل المؤمنَ مؤمنًا والمصلّيَ مصليًا والمتقي متقيًا، وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره، وأئمة الضلالة يدعون إلى النار، وأنه ألهم كلّ نفس فجورها وتقواها، وأنه يهدي من يشاء بعدله وحكمته، وأنه هو الذي وفق أهل الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه، وأنه حال بين الكفار وقلوبهم- فإنه يحول بين المرء وقلبه- فكفروا به، ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأنه لو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعًا إيمانا يثابون عليه ويقبل منهم ويرضى به عنهم، وأنه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[١]، ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ﴾[٢]"[٣].

ثم قال خاتمًا لتلك القضية العقدية: ".. وفي هذا القدر كفاية لمن لم ينطمس نور الفطرة من قلبه، والله عليم حكيم"[٤].

من هنا يتبيّن لنا منهج القاسمي في هذه القضية، وهو أن القدرَ سرٌ مكتومٌ لا يعلمه إلا الله، ولا نعلم ماذا قضى الله وقدر إلا بعد الوقوع، فإذا أقدم الإنسان على المعصية، بقوله: هي بقضاء الله وقدره، فلماذا لم يقدم على الطاعة ويقول إنها بقضاء الله وقدره، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

---

[١] سورة البقرة من الآية (٢٥٣).

[٢] سورة الأنعام من الآية (١١٢).

[٣] محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٥٤).

[٤] المرجع السابق (جـ٦/٢٥٦٣).

المطلب الثالث:

قضية خلق أفعال العباد:

حقيقة هذه القضية وصورتها هي: كيف نجمع بين كمال قدرة الله تعالى ومشيئته وخلقه لكل شيء، ومشيئته وقدرته على كل شيء من الموجودات وبين التكليف؟! إذ مقتضى التكليف أن العبد له اختيار ومشيئة مستقلة يستطيع بها أن يختار أفعاله، فهذا الأصل – في ظاهره– يناقض الأصل الأول![١]٠

وهذه المسألة هي أصل باب القدر ولبُّه وجوهره، يقول ابن تيمية: "مسألة خلق أفعال العباد، وإرادة الكائنات مسألة مشكلة"[٢]٠

ومسألة الكلام عن أفعال العباد تتعلق بأصلين أساسيين[٣]:

الأصل الأول: خلق الله لكل شيء، ومشيئته الشاملة المستوعبة لكل الموجودات٠

الأصل الثاني: أن الإنسان مختار في أفعاله، وأن له قدرة وإرادة يقرر بها ما يفعل وما لا يفعل٠

وفي الجمع بين هذين الأصلين اختلفت المذاهب والأقوال على ثلاثة اتجاهات أساسية:

الاتجاه الأول: مذهب أهل السنة والجماعة، وقد أخذوا بالأصلين معًا٠

الاتجاه الثاني: القدرية، وهم الذين أخذوا بالأصل الثاني، وفرطوا في الأصل الأول، فغلّبوا جانب الشرع الذي هو أفعال العباد على القدر٠

---

[١] سلطان العُميري: العقود الذهبية، (جـ٢/١٠٧)٠

[٢] ابن تيمية: الإيمان، صـ (٣٠٢)٠

[٣] سلطان العُميري: العقود الذهبية، (جـ٢/١٠٨–١٠٩)٠

الاتجاه الثالث: الجبرية[1]، وهم الذين أخذوا بالأصل الأول وفرطوا في الأصل الثاني، فأخذوا بعموم قدرة الله ومشيئته، وفرطوا في اختيار العبد وقدرته.

وأما العلَّامة القاسمي فقد تكلم عن مسألة أفعال العباد، وبيَّن رأيه فيها، فقال: "ومعلوم أنّ عقيدة الفرقة الناجية، الإيمان بأن: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلّا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلّا ما يريد، وهو خالق لأفعال العباد.!

وقد خالف في ذلك عامة القدرية- الذين سمّاهم النبيّ ﷺ مجوس هذه الأمة- فقالوا: لا إرادة إلّا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئا من أفعال العباد، فعندهم أكثر ما يقع من أفعال العباد على خلاف إرادته تعالى، ولما كان قولهم هذا في غاية الشناعة، تبرأ منهم الصحابة، وأصل بدعتهم- كما قال ابن تيمية- كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه"[2].

وقال أيضًا: "ومن الأشياء التي يتعلق بها القضاء والقدر أفعال العباد الاختيارية، فإذا كان قد سبق القضاء المبرم- بأن زيدًا يعيش كافرًا ويموت كافرًا- فما معنى مطالبته بالإيمان وهو ليس في طاقته؟ ولا يمكن في الواقع ونفس الأمر أن يصدر منه؛ لأنه في الحقيقة مجبور على الكفر في صورة مختار له؟ كما قال بعضهم، والجواب عن هذا: أن تعلق العلم والإرادة بأن فلانًا يفعلُ كذا، لا ينافي أن يفعله باختيار، إلا إذا تعلَّق العلم بأن يفعله مضطرًا كحركة المرتعش مثلًا، ولكن أفعال العباد الاختيارية قد سبق في القضاء بأنها

---

(1) **الجبرية:** هم طائفة نفت فعل العبد وقدرته واختياره، ونفت تأثير العبد في فعله، وزعمت أن حركته كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركة الأمواج، وأنه مجبور على الطاعة والمعصية وغير ميسر لما خلق له؛ بل هو عليه مقهورٌ مجبور، وسموا بذلك؛ لأنهم يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله. يُنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، (جـ١/٨٧)- أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، (جـ١/١٨٧)- ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر": شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق/ عصام فارس الحرستاني، صـ (٩)، الناشر/ دار الجبل – بيروت، ط/ الأولى (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

(2) محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٤٣).

تقع اختيارية، أي: بإرادة فاعليها لا رغما عنهم، وبهذا صح التكليف ولم يكن التشريع عبثًا ولا لغوًا، وثم وجه آخر في الجواب، وهو: لو كان سبق العلم أو الإرادة بأن فاعلا يفعل كذا، يستلزم أن يكون ذلك الفاعل مجبورًا على فعله، لكان الواجب، تعالى وتقدس، مجبورًا على أفعاله كلها؛ لأن العلم الأزليّ قد تعلق بذلك، وكل ما تعلق به العلم الصحيح لا بد من وقوعه"[1].

وقد سبق وقد نقلنا كلامَ القاسمي نقلًا عن ابن تيمية ومرتضيًا له في قضية المشيئة وخلق أفعال العباد[2].

وبعد هذه النقول تبيَّن أن منهج القاسمي في قضية أفعال العباد، موافقٌ لأصول أهل السنة والجماعة، وهو أن العباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم.

(1) محاسن التأويل (جـ٦/٢٥٦١-٢٥٦٢).

(2) يُنظر: المطلب الثالث من مبحث مراتب القدر، وللمزيد يُنظر: القاسمي: الفضل المبين، صـ (١٦٨)، نقلًا عن ابن تيمية من مجموع الفتاوى، (جـ٣/١٤٩).

الخاتمة

(الخاتمة)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه على توفيقه وإعانته على إنجاز هذا البحث، فله الحمد سبحانه أولًا وآخرًا. وبعد،

فهذا ملخص لأبرز ما توصلت إليه الدراسة من النتائج من خلال هذا البحث.

أولًا: كان القاسمي في مقتبل عمره مُعتنقًا مذهب الشافعية في الفقه، ثم أصبح مذهبه الأخذ بالدليل الصحيح والاجتهاد.

ثانيًا: اعتمد القاسمي على مصادر التلقي عند أهل السنة وهي الكتاب والسنة والإجماع، وأقوال السلف، كما أنه اعتمد في فهمه لهذه المصادر على تلك القواعد التي أقرها السلف الصالح، ووضع العقل في موضعه، وأعطى الفطرة حقها.

ثالثًا: موقف القاسمي في مسألة الاحتجاج بخبر الآحاد فيه اضطراب، ففي بعض المواطن من كتبه يُصرح بحجية خبر الآحاد، وفي مواطن أُخرى يَردُّ بعض الأخبار الصحيحة بدعوى أنها من أخبار الآحاد التي لا يُحتج بها، خاصة في أبواب الاعتقاد.

رابعًا: كثرة نقل القاسمي عن غيره لا يُعدُّ عيبًا، إذ كان يجمع نوادره من مواضيع شتى، ويصيغها بأسلوب ميسر مع عزو كل قول لصاحبه.

خامسًا: اعتمد القاسمي في عرضه للأدلة على وجود الله تعالى على أدلة وبراهين كثيرة، سار فيها مُخاطبًا جميع الناس على اختلاف أحوالهم، فذكر أدلة عقلية، وأدلة حسية، وهو في ذلك متبع لأسلوب القرآن الكريم.

سادسًا: اتفق القاسمي مع السلف في جميع ما يتعلق بأسماء الله تعالى من طريقة إثباتها، والقول بعدم حصرها، وذكر الاسم الأعظم، لكن دون تعيين، ومعاني بعض الأسماء لله تعالى، وغير ذلك.

سابعًا: قرر القاسمي منهج السلف في إثبات الصفات القائم على الإثبات والتنزيه وتفويض الكيفية، وقرر نفس القواعد والضوابط التي اعتمد عليها مثل: القول في الصفات كالقول في الذات، وغيرها، وقد اعتمد القاسمي في هذا على كتب ابن تيمية ومدرسته.

ثامنًا: في مفردات الصفات التي تكلم عنها أثبت الصفات اللازمة لله تعالى كصفة اليد والنفس والعلو، وغيرها، كذلك الصفات الاختيارية كالمحبة والغضب والاستواء، وغيرها.

تاسعًا: كان القاسمي في مسألة الصفات – عمومًا– مُنتصرًا لمذهب السلف، وكان يرى أنه أعدل المذاهب، وساق أدلة كثيرة على ذلك.

عاشرًا: عرَّف القاسمي القدر بتعريف السلف، رادًّا بذلك تعريف القدرية، كما أنه قرر مراتب القدر التي فصلها أهل السنة وهي (العلم– والكتابة – والمشيئة – والخلق)، وذكر بعض قضايا الإيمان بالقضاء والقدر.

<u>التوصيات</u>:

١-اختصار إيراد الآراء الكثيرة الواردة في تفسير القاسمي من أجل استفادة المطلع على هذا التفسير.

٢- رغم كل البحوث التي دارت موضوعاتها حول (جمال الدين القاسمي) من جوانب متعددة إلا أنه لازال هناك بعض هذه الجوانب والقضايا لم تدرس، منها قضايا النبوات، والسمعيات، كذلك باب الأديان والفرق التي تكلم عنها القاسمي في تفسيره، وفي بعض مؤلفاته، فأرجو أن تُعنى بالدراسة.

وأخيرًا.. هذه هي أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، وفي الختام أشكر الله تعالى على منه وفضله وإحسانه، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رسالة علمية بعنوان (قضايا الألوهية في تفسير محاسن التأويل للقاسمي) المتوفى ١٣٣٢هـ، تتناول رؤية أحد الأعلام الذين هيأهم الله عز وجل لخدمة دينه وزودهم بالعقول النيرة والقلوب الواعية وأرشدهم إلى طريق الحق القويم، فأنفقوا حياتهم في خدمة هذا الدين والدفاع عن عقيدته الصحيحة والتصدي لأهل الضلال والإلحاد والبدع.

نشأ القاسمي في عصرٍ قويت فيه مُوجةُ الإلحاد، وكثر فيه دعاة التغريب، وانتشر التقليد والتعصب، فاجتهد للإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلًا من خلال كونه مدرسًا وإمامًا ومُؤلفًا.

لا شك أن علم العقائد أشرف العلوم وأفضلها؛ ذلك لتعلقه بذات الباري- جل وعلا- وأسمائه وصفاته- إذ شرف العلم بشرف المعلوم- لذلك درسَ الباحث آراء القاسمي الاعتقادية المتعلقة بقضايا الألوهية من خلال تفسيره الكبير: محاسن التأويل، واختار قضايا الألوهية كدراسة للأهمية التي يكتسبها هذا الجانب في الدراسات العقدية، وكان من أسباب اختياره هذا الموضوع ما يلي:-

١-أن هذا التفسيرَ علامة عن قضايا الاعتقاد التي تنازعت فيها كثيرٌ من الفرق والمذاهب التي كانت في عصر القاسمي، وسبب اختلافهم هو اختلاف فهمهم لمراد كلام الله عز وجل.

٢- اشتمال هذا التفسير على كثيرٍ من النقولات المعتمدة من أئمة التفسير.

٣- كون القاسمي من أشهر العلماء المتأخرين الذين لهم أثرٌ بالغٌ في النهضةِ الإسلاميةِ الحديثة المعاصرة.

٤- دراسة هذا الموضوع (قضايا الألوهية في تفسير محاسن التأويل) يُساهم بدرجةٍ كبيرةٍ في إعداد الباحث وغيره من الباحثين لدراسةٍ أعمق في مجال العقيدة.

٥- دراسته أيضًا تساعد الباحثين والمهتمين بدراسةِ مؤلفات القاسمي.

وتحاول الدراسة الإجابة عن:

١- ما هي الآراء الاعتقادية (المتعلقة بقضايا الألوهية) للقاسمي باعتباره مفسرًا؟

٢- ما موقفه من المسائل التي اخْتُلِفَ فيها؟

٣- ما هي الأصول التي اعتمد عليها خلال تفسيره في بيان العقيدة؟

وقد تناولت الدراسة قضايا الألوهية في تفسير القاسمي، فجاء فيها تمهيد بالتعرف علي حياة القاسمي لتوضيح تأثير الظروف المحيطة بالقاسمي (سياسية – علمية – ثقافية – اجتماعية – دينية)، وتأثره بشيوخه، وبيان مُجملِ عقيدته، وذكر ذلك كلِّه في عدةِ فصول, ثمّ ذكر عدة مباحث أخرى تتناول قضايا الألوهية من (وجود الله سبحانه وتعالي – وحدانيته – ألوهيته – أسمائه – صفاته – أفعاله)، وبيان منهجه فى تفسيره، والأدلة التي اعتمد عليها في هذه القضايا.

وقد قسم الباحث دراسته إلى مقدمةٍ وأربعةِ فصول، بكل فصلٍ عدَّةُ مباحث، وبالمباحث عدَّةُ مطالب، وفي نهاية الفصول والمباحث والمطالب قدم الباحث خاتمةً ضمنت أهم ما انتهى إليه الباحث من دراسته هذه من نتائج وتوصيات، ثم أورد قائمةً بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

وهذه الدراسة محاولةٌ من الباحث لسد فراغ في الكتابات التي تناولت الجانب العقدي عند أعلام المسلمين، خاصةً عند شخصية هذه الدراسة: جمال الدين القاسمي.

فإن كان هناك صوابٌ فمن الله تعالى الذي عليه الاعتماد وإليه تتوجه النوايا بالأعمال.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: مؤلفات القاسمي:

١- إصلاح المساجد من البدع والعوائد، خرَّج أحادثه وعلق عليه/ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر/ المكتب الإسلامي، ط/ الخامسة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢- تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٣- الجرح والتعديل، طبع ونشر مؤسسة الرسالة- بيروت-، ط/ الخامسة (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م).

٤- دلائل التوحيد، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م).

٥- شرف الأسباط، الناشر/ مطبعة الترقي، دمشق، ط/ الأولى (١٣٣١هـ).

٦- الفتوى في الإسلام، تحقيق/ محمد عبد الحكيم القاضي، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولي (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٧- الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين في علوم الحديث وهو شرح الأربعين العجلونية، تقديم وتحقيق/ عاصم بهجة البيطار، الناشر/ دار النفائس، ط/ الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

٨- قاموس الصناعات الشامية، تحقيق/ ظافر القاسمي، محمد ناصر الدين الألباني، محمد بهجة البيطار، (جـ١)، الناشر/ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط/ الأولى (١٩٨٨م).

٩- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق/ محمد بهجة البيطار، الناشر/ دار إحياء الكتب العربية، ط/ الثانية (١٣٨٠هـ-١٩٦١م).

١٠- محاسن التأويل، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر/ دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسي الحلبي، مصر، ط/ الأولى (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م).

١١- المسح على الجوربين، تقديم/ أحمد محمد شاكر، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر/ المكتب الإسلامي، بيروت ط/ الخامسة (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

١٢- مقدمة حياة البخاري، تحقيق/ محمود الأرناؤوط، الناشر/ دار النفائس، ط/ الأولي (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)٠

١٣- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تحقيق/ عاصم بهجة البيطار، الناشر/ دار النفائس- بيروت- ط/ الخامسة (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)٠

ثانيًا: المصادر والمراجع العامة القديمة:

أ- كتب التفاسير:

١- البغوي "الحسين بن مسعود": معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق/ محمد عبد الله النمر، وغيره، (جـ١، جـ٧)، الناشر/ دار طيبة، ط/ الرابعة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)٠

٢- الراغب الأصفهانى "الحسين بن محمد": تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق/ د. محمد عبد العزيز بسيوني، (جـ١)، الناشر/ كلية الآداب- جامعة طنطا، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)٠

٣- رضا "محمد رشيد": تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (جـ٣)، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم الطبعة، سنة النشر/١٩٩٠م٠

٤- الزمخشري "محمود بن عمرو": الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (جـ٤)، الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثالثة (١٤٠٧هـ)٠

٥- أبو السعود العمادي "محمد بن محمد بن مصطفى": إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (جـ٣، جـ٦)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الأولى (٢٠١٠م)٠

٦- الطبري "محمد بن جرير": جامع البيان في تأويل آي القرآن، (جـ١، جـ٦، جـ٢٤)، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)٠

٧- فخر الدين الرازي "محمد بن عمر": مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، (جـ١، جـ٨، جـ١٠)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الثالثة(١٤٢٠هـ)٠

٨- ابن قتيبة "عبد الله بن مسلم": غريب القرآن، تحقيق/ أحمد صقر، الناشر/ دار الكتب العلمية، ط/ الأولى (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)٠

٩- القرطبي "محمد بن أحمد بن أبي بكر": الجامع لأحكام القرآن، (جـ١، جـ٢، جـ٧)، تحقيق/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر/ دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/ الثانية (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

١٠- ابن كثير "إسماعيل بن عمر": تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، (جـ٣، جـ٥)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى (١٤١٩هـ).

ب- كتب الأحاديث، وشروحها:

١١- ابن الأثير "مجد الدين أبو السعادات": النهاية في غريب الحديث والأثر، (جـ١، جـ٢، جـ٣)، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر/ المكتبة العلمية، بيروت، ط/ الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

١٢- البخاري "محمد بن إسماعيل": الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر/ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي)، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ).

١٣- ابن بلبان "علاء الدين الفارسي": الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق وتخريج/ شعيب الأرنؤوط، (جـ١٥)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٤- الترمذي "محمد بن عيسى بن سَوْرة": الجامع الكبير- سنن الترمذي، تحقيق/ بشار عواد معروف، الناشر/ دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط/ الأولى (١٩٩٨م).

١٥- ابن الجوزي "عبد الرحمن بن علي": جامع المسانيد، تحقيق/ الدكتور علي حسين البواب، (جـ٢)، الناشر/ مكتبة الرشد – الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م).

١٦- ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي":

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، (جـ١، جـ١١، جـ١٣)، الناشر/ دار المعرفة – بيروت، ط/ الأولى (١٣٧٩هـ).

- المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ، تحقيق/ مجموعة من الباحثين، (جـ٨)، الناشر/ دار العاصمة للنشر والتوزيع– دار الغيث للنشر والتوزيع، ط/ الأولى، (١٤١٩هـ)٠
١٧- الخطابي "حمد بن محمد بن إبراهيم":
- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تحقيق/ د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، (جـ٣)، الناشر/ جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط/ الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)٠
- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، (جـ٤)، الناشر/ المطبعة العلمية – حلب، ط/ الأولى (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م)٠
١٨- الطبراني "سليمان بن أحمد بن أيوب": مسند الشاميين، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر/ مؤسسة الرسالة– بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)٠
١٩- ابن عبد البر "يوسف بن عبد الله": التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق/ مصطفى العلوي، محمد البكري، (جـ١)، الناشر/ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، (١٣٨٧هـ) بدون رقم الطبعة٠
٢٠- القاضي "عياض بن موسى": إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، تحقيق/ الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، (جـ٣)، الناشر/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط/ الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م)٠
٢١- الكرماني "محمد بن يوسف": الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (جـ٢٥)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط/ الأولى (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م)٠
٢٢- مسلم "الإمام": المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ الأولى (١٤١٢هـ–١٩٩١م)٠
٢٣- المناوي "محمد بن عبد الرؤوف": فيض القدير شرح الجامع الصغير، (جـ٣)، الناشر/ المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط/ الأولى ١٣٥٦هـ٠

٢٤- النووي "محيي الدين يحيى بن شرف": المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (جـ١، جـ٢، جـ١٦، جـ١٧)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الثانية (١٣٩٢هـ).

ت-كتب المعاجم واللغويات:

١- الأزهري "محمد بن أحمد": تهذيب اللغة، تحقيق/ محمد عوض مرعب، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الأولى (٢٠٠١م).

٢- أبو البركات الأنباري "عبد الرحمن بن محمد": الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، (جـ١)، الناشر/ المكتبة العصرية، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

٣- أبو البقاء الحنفي " أيوب بن موسى": الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق/ عدنان درويش- محمد المصري، الناشر/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٤- الجرجاني "علي بن محمد": معجم التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/ الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

٥- الجوهري "إسماعيل بن حماد": الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، الناشر/ دار العلم للملايين – بيروت، ط/ الرابعة (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

٦- الحموي "ياقوت بن عبد الله": معجم البلدان، (جـ٢، جـ٣) الناشر/ دار صادر، بيروت، ط/ الثانية (١٩٩٥م).

٧- الزَّجَّاجي "عبد الرحمن بن إسحاق": الإيضاح في علل النحو، تحقيق/ الدكتور مازن المبارك، الناشر/ دار النفائس – بيروت، ط/ الخامسة (١٤٠٦هـ -١٩٨٦م).

٨- زين الدين الرازي "محمد بن أبي بكر": مختار الصحاح، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، الناشر/ المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط/ الخامسة، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٩- ابن فارس "أحمد": معجم مقاييس اللغة، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، الناشر/ دار الفكر، ط/ الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)٠
١٠- الفراهيدي "الخليل بن أحمد": العين، تحقيق الدكتور/ مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر/ دار ومكتبة الهلال، دون تاريخ٠
١١- الفيروزآبادي " مجد الدين محمد بن يعقوب": القاموس المحيط، تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف/ محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر/ مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط/ الثامنة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)٠
١٢- الفيومي "أحمد بن محمد بن علي": المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق/ الدكتور عبد العظيم الشناوي، الناشر/ دار المعارف، ط/ الثانية (١٩٧٧م)٠
١٣- الكتاني " محمد عَبْد الحَيّ": فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق/ إحسان عباس، (جـ١، جـ٢، جـ٣)، الناشر/ دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط/ الثانية (١٩٨٢م)٠
١٤- مرتضى الزبيدي "محمد بن عبد الرزاق": تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ مجموعة من المحققين، (جـ١٣، جـ٣٩)، الناشر/ دار الهداية، بالكويت، ط/ الثانية (١٩٦٥م)٠
١٥- ابن منظور "محمد بن مكرم بن على": لسان العرب، الناشر/ دار صادر، بيروت، ط/ الثالثة (١٤١٤هـ)٠
١٦- ابن هشام "عبد الله بن يوسف بن أحمد":
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٩٤م)، (جـ١)، بدون رقم الطبعة٠
- شرح قطر الندى وبل الصدى، طبع مطبعة السعادة بمصر ط١١ سنة (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م)٠
١٧- أبو هلال العسكري " الحسن بن عبد الله بن سهل": الفروق اللغوية، تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، الناشر/ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط/ الأولى (١٣٥٣هـ)٠

١٨- ابن يعيش "يعيش بن علي": شرح المفصل، تحقيق/ الدكتور إميل بديع يعقوب، (جـ١)، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

ث- كتب العقيدة، والفرق:

١- أبابطين "عبد الله بن عبد الرحمن": الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، تحقيق/ الوليد بن عبد الرحمن الفريان، الناشر/ دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، بدون رقم الطبعة، (١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).

٢- البغدادي "عبد القاهر بن طاهر": الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، تعليق/ إبراهيم رمضان، دار المعرفة - بيروت - ط/ الأولى (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م).

٣- أبو بكر البيهقي "أحمد بن الحسين": الأسماء والصفات، تحقيق/ عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر/ مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

٤- ابن تيمية "تقي الدين أحمد بن عبد الحليم":

- الإيمان، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر/ المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط/ الخامسة، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق/ موسى الدويش، الناشر/ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط/ الثالثة (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تحقيق/ د. محمد بن عودة السعوي، الناشر/ مكتبة العبيكان- الرياض، ط/ السادسة، (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).
- درء تعارض العقل والنقل، (جـ١، جـ٧، جـ٨، جـ٩)، تحقيق/ الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/ الثانية (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق/ محمد بن رياض الأحمد، الناشر/ المكتبة العصرية - بيروت، ط/ الأولى (١٤٢٥هـ).

- الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق/ د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الناشر/ دار الصميعي – الرياض، ط/ الثانية (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)٠
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، الناشر/ مكتبة دار البيان، دمشق، بدون رقم طبعة، عام النشر (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)٠
- مجموعة الرسائل الكبرى، الناشر/ إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/ الثانية (١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م)٠
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، الناشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م)٠
- النبوات، تحقيق/ عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر/ أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)٠

٥- ابن الجوزي "عبد الرحمن بن علي": دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق وتعليق/ محمد زاهد الكوثري، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتراث ٩ درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر، ط/ الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م)٠

٦- أبو حامد الغزالي "محمد بن محمد الطوسي": المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى، تحقيق/ بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر/ الجفان والجابي . قبرص، ط/ الأولى (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)٠

٧- ابن حزم الأندلسي "علي بن أحمد بن سعيد": الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، (جـ٣، جـ٤)، الناشر/ دار الجيل، بيروت، ط/ الثانية (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)٠

٨- أبو الحسن الأشعري "علي بن إسماعيل بن إسحاق":

- الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق/ د. فوقية حسين محمود، الناشر/ دار الأنصار – القاهرة، ط/ الأولى (١٣٩٧هـ)٠
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق/ نعيم زرزور، الناشر/ المكتبة العصرية، ط/ الأولى (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)٠

٩- أبو الحسين المَلَطي "محمد بن أحمد": التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق/ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، ط/ الثانية (١٩٧٧م)٠

١٠- ابن خزيمة "محمد بن إسحاق": التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق/ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر/ مكتبة الرشد – السعودية، ط/ الخامسة (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م)٠

١١- الدارمي "عثمان بن سعيد":

- الرد على الجهمية، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر، الناشر/ دار ابن الأثير– الكويت، ط/ الثانية (١٤١٦هـ – ١٩٩٥م)٠

- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، تحقيق/ رشيد بن حسن الألمعي، الناشر/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط/ الأولى (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م)٠

١٢- الذهبي "شمس الدين محمد بن أحمد": مختصر العلو للعلي العظيم، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر/ المكتب الإسلامي، ط/ الثانية (١٤١٢هـ–١٩٩١م)٠

١٣- السفاريني "محمد بن أحمد": لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر/ مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط/ الثانية (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م)٠

١٤- الصنعاني "محمد بن إسماعيل"، محمد بن علي بن محمد الشوكاني: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، تحقيق/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر/ مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ)٠

١٥- الطبري "محمد بن جرير": صريح السنة، تحقيق/ يوسف المعتوق، الناشر/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ)٠

١٦- ابن أبي العز "صدر الدين علي بن علاء الحنفي": شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق/ أحمد شاكر، الناشر/ وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط/ الأولى (١٤١٨هـ)٠

١٧- ابن العطار "علاء الدين علي": الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تحقيق/ الدكتور سعد بن هليل الزويهري، الناشر/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط/ الأولى (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
١٨- أبو الفتح الشهرستاني "محمد بن عبد الكريم": الملل والنحل (جـ١)، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت، ط/ الثانية (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).
١٩- ابن قدامة المقدسي "موفق الدين": لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر، الناشر/ الدار السلفية - الكويت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ).
٢٠- ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر":
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق/ عصام فارس الحرستاني، الناشر/ دار الجبل- بيروت، ط/ الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، الناشر/ دار السلفية، القاهرة، مصر، ط/ الثانية (١٣٩٤هـ).
- متن القصيدة النونية، الناشر/ مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط/ الثانية (١٤١٧هـ).
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره/ ابن الموصلي، تحقيق/ سيد إبراهيم، الناشر/ دار الحديث، القاهرة – مصر، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ محمد حامد الفقي، الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثانية (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).
٢١- الكيرانوي "محمد رحمت الله": إظهار الحق، تحقيق/ د. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الناشر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بالسعودية، ط/ الأولى (١٤١٠هـ-١٩٨٩م).
٢٢- اللالكائي "هبة الله بن الحسن": شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق/ أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (جـ٢)، الناشر/ دار طيبة - السعودية، ط/ الثامنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

٢٣- ابن المرتضى "محمد بن إبراهيم بن علي": إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الثانية (١٩٨٧م).

٢٤- أبو المظفر الأسفراييني "طاهر بن محمد": التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، الناشر/ عالم الكتب – لبنان، ط/ الأولى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٥- أبو المعالي الجويني "عبد الملك": الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق/ أسعد تميم، الناشر/ مؤسسة الكتب الثقافية، ط/ الثانية (١٤١٣هـ).

٢٦- المقريزي "أحمد بن علي": تجريد التوحيد المفيد، تحقيق الدكتور/ علي بن محمد العمراني، الناشر/ دار العصيمي، ط/ الثالثة (١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م).

ج-مصادر عامة:

١- ابن أبي حاتم "عبد الرحمن بن محمد": الجرح والتعديل، (جـ٧)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي، ط/ الأولى (١٢٧١هـ- ١٩٥٢م).

٢- ابن أبي يعلى الحنبلي "محمد بن الحسين بن محمد": التوكل، تحقيق/ د. يوسف بن علي الطريف، الناشر/ دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).

٣- أبو إسحاق الزجاج "إبراهيم بن السري بن سهل": معاني القرآن وإعرابه، تحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي، (جـ١)، الناشر/ عالم الكتب – بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٨هـ -١٩٨٨م).

٤- أبو إسماعيل الهروي "عبد الله بن محمد": منازل السائرين، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، بدون رقم طبع، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٥- الأصفهاني "محمود بن عبد الرحمن": بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق/ محمد مظهر بقا، (جـ١)، الناشر/ دار المدني، السعودية، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٦- آل تيمية (مجد الدين عبد السلام بن تيمية، عبد الحليم بن تيمية، أحمد بن تيمية): المسودة في أصول الفقه، تحقيق د/ أحمد بن إبراهيم بن عباس الذروي، (جـ١)، الناشر/ دار الفضيلة، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

٧- الآمدي "سيف الدين علي بن أبي علي": الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق/ عبد الرازق العفيفي، (جـ١)، الناشر/ دار الصميعي، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

٨- الإيجي "عضد الدين عبد الرحمن": المواقف في علم الكلام، الناشر/ عالم الكتب، بيروت، دار سعد الدين، ط/ الثالثة (١٩٩٩م).

٩- البهوتي "منصور بن يونس": كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق/ محمد أمين الضناوي، (جـ٥، جـ٦)، الناشر: عالم الكتب، ط/ الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

١٠- ابن تيمية "تقي الدين أحمد بن عبد الحليم":

- الإكليل في المتشابه والتأويل، خرج أحاديثه وعلق عليه/ محمد الشيمي شحاته، الناشر/ دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر، ط/ الأولى، بدون تاريخ.
- مجموع الفتاوى، تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

١١- جلال الدين السيوطي "عبد الرحمن بن كمال":

- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم الطبعة (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق/ طارق بن عوض الله، (جـ١) الناشر/ دار العاصمة- السعودية، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).
- الحاوي للفتاوي، الناشر/ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (جـ١)، بدون رقم الطبعة، عام النشر (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م).
- طبقات الحفاظ، (جـ١)، الناشر/ دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٣هـ).

١٢- أبو حامد الغزالي "محمد بن محمد الطوسي": معيار العلم في فن المنطق، تحقيق/ الدكتور سليمان دنيا، الناشر/ دار المعارف، مصر، بدون رقم الطبعة، عام النشر/ (١٩٦١م)٠

١٣- ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي":

- تقريب التهذيب، تحقيق/ محمد عوامة، الناشر/ دار الرشيد- سوريا، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)٠
- تهذيب التهذيب، (جـ٥، جـ٨، جـ١٠)، الناشر/ مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط/ الأولى (١٣٢٦هـ)٠
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق/ محمد عبد المعيد ضان، (جـ١، جـ٥)، الناشر/ مجلس دائرة المعارف العثمانية- صيدر اباد/ الهند، ط/ الثانية (١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م)٠
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق/ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر/ مطبعة سفير بالرياض، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ)٠

١٤- ابن حزم الأندلسي "علي بن أحمد بن سعيد": المحلى بالآثار، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، (جـ٨)، الناشر/ المطبعة المنيرية، ط/ الأولى (١٣٥٢هـ)٠

١٥- الخطيب البغدادي "أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت":

- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، تحقيق/ د. عز الدين علي السيد، الناشر/ مكتبة الخانجي – القاهرة / مصر، ط/ الثالثة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)٠
- تاريخ بغداد، تحقيق/ د. بشار عواد معروف، (جـ٢)، الناشر/ دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م)٠
- الكفاية في معرفة أصول الرواية، تحقيق/ إبراهيم مصطفى آل بحبح الدمياطي، الناشر/ دار الهدى- ميت غمر، (جـ١)، ط/ الأولى (١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م)٠

١٦- الخطيب الشربيني "شمس الدين محمد بن أحمد": مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، اعتنى به/ محمد خليل عيتاني، (جـ٤)، الناشر/ دار المعرفة – بيروت، ط/ الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)٠

١٧- ابن خلدون "عبد الرحمن بن محمد":
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (جـ١)، تحقيق/ خليل شحادة، الناشر/ دار الفكر، بيروت، ط/ الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
١٨- ابن خِلِّكَان ""أحمد بن محمد بن إبراهيم": وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، الناشر/ دار صادر- بيروت، ط/ الأولى (١٩٩٤م).
١٩- الذهبي "شمس الدين محمد بن أحمد":
- تذكرة الحفاظ، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط/ الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).
- سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، الناشر/ مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/الثالثة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- العبر في خبر من غبر، (جـ٢، جـ٣)، تحقيق/ محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر/ دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق/ علي محمد البجاوي، (جـ٢)، الناشر/ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط/ الأولى (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).
٢٠- الراغب الأصفهانى "الحسين بن محمد":
- الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق/ د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، الناشر/ دار السلام - القاهرة، ط/ الثالثة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- المفردات في غريب القرآن، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، الناشر/ دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط/ الأولى (١٤١٢هـ- ١٩٩١م).
٢١- ابن رجب الحنبلي "زين الدين عبد الرحمن":
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، (جـ٢)، الناشر/ مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/ السابعة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ذيل طبقات الحنابلة، (جـ٢)، تحقيق/ د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر/ مكتبة العبيكان - الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).

٢٢- الزركشي "بدر الدين محمد بن عبد الله": البرهان في علوم القرآن، (جـ٢)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط/ الأولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)٠

٢٣- السبكي "تاج الدين عبد الوهاب بن علي":

- جمع الجوامع في أصول الفقه، تعليق/ عبد المنعم خليل، الناشر/ دار الكتب العلمية، ط/ الثانية (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)٠

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق/ د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، (جـ٣، جـ٥، جـ٨)، الناشر/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ الثانية (١٤١٣هـ)٠

٢٤- السخاوي " شمس الدين محمد بن عبد الرحمن": الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (جـ٤)، الناشر/ دار الجبل-بيروت، ط/ الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)٠

٢٥- ابن سعد "محمد": الطبقات الكبرى، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، (جـ٧)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)٠

٢٦- أبو سليمان الخطابي "حمد بن محمد بن إبراهيم": شأن الدعاء، تحقيق/ أحمد يوسف الدّقاق، (جـ١)، الناشر/ دار الثقافة العربية، ط/ الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)٠

٢٧- الشاطبي "إبراهيم بن موسى": الموافقات، تحقيق/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (جـ٣)، الناشر/ دار ابن عفان، ط/ الأولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)٠

٢٨- الشافعي "محمد بن إدريس": الرسالة، تحقيق/ أحمد شاكر، الناشر/ مكتبة الحلبي، مصر، ط/ الأولى (١٣٥٨هـ-١٩٤٠م)٠

٢٩- الشريف الرضي "محمد بن الحسين": نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية/ د. صبحي الصالح، الناشر/ دار الكتاب المصري -القاهرة، دار الكتاب اللباني- بيروت، ط/ الرابعة (١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م)٠

٣٠- الشوكاني "محمد بن علي":

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق/ أحمد عزو عناية، الناشر/ دار الكتاب العربي، ط/ الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)٠

- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، الناشر/ دار القلم، بيروت، لبنان، ط/ الأولى (١٩٨٤م)٠
٣١- الطحاوي "أبو جعفر أحمد بن محمد": شرح مشكل الآثار، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، (جـ١)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٤١٥هـ- ١٤٩٤م)٠
٣٢- الطوفي "نجم الدين سليمان بن عبد القوي": شرح مختصر الروضة، تحقيق/ عبد الله ابن عبد المحسن التركي، الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)٠
٣٣- ابن عبد الحق "عبد المؤمن": مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ على محمد البجاوي (جـ٢) نشر دار المعرفة، بيروت، ط/ الأولى (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م)٠
٣٤- ابن عبد الهادي " شمس الدين محمد":
- الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، تحقيق/ عقيل بن محمد بن زيد المقطري، الناشر/ مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)٠
- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة - القاهرة، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)٠
٣٥- أبو عبيدة "معمر بن المثنى": مجاز القرآن، تحقيق/ د. محمد فؤاد سركين، الناشر/ دار الفكر- ط/ الثانية (١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م)٠
٣٦- ابن العربي "أبو بكر": العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، الناشر/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط/ الثالثة (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)٠
٣٧- العطار "حسن بن محمد": حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، (جـ٢)، الناشر/ دار الكتب العلمية، بدون رقم طبعة وتاريخ٠
٣٨- ابن العماد الحنبلي "عبد الحي بن أحمد": شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق/ محمود الأرناؤوط، الناشر/ دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)٠
٣٩- فخر الدين الرازي "محمد بن عمر": المحصول، دراسة وتحقيق/ د. طه جابر فياض العلواني، الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الثالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)٠

٤٠- الفيروزآبادي "مجد الدين محمد بن يعقوب": بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق/ محمد علي النجار، (جـ٢)، الناشر/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط/ الثالثة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)٠

٤١- ابن قتيبة "عبد الله بن مسلم":

- تأويل مشكل القرآن، علق عليه ووضع حواشيه/ إبراهيم شمس الدين، الناشر/ دار الكتب العلمية، ط/ الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)٠
- المعارف، تحقيق/ ثروت عكاشة، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/ الثانية (١٩٩٢م)٠

٤٢- ابن قدامة المقدسي "موفق الدين":

- ذم التأويل، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر، الناشر/ الدار السلفية – الكويت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ)٠
- روضة الناظر وجنة المناظر، تحقيق/ د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، (جـ١)، الناشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، ط/ الثانية (١٣٩٩هـ)٠

٤٣- ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر":

- بَدَائعُ الفوَائِدِ، تحقيق/ علي بن محمّد العمران، (جـ١، جـ٣)، الناشر/ دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط/ الأولى (١٤٢٥هـ)٠
- زاد المعاد في هدي خير العباد، (جـ١، جـ٤)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط/ السابعة والعشرون (١٤١٥هـ /١٩٩٤م)٠
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق/ عبد الرحمن بن حسن بن قائد، (جـ٣)، الناشر/ دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط/ الأولى (١٤٣٢هـ)٠

٤٤- الكاساني "علاء الدين أبو بكر بن مسعود": بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (جـ٥)، الناشر/ دار الكتب العلمية، ط/ الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)٠

٤٥- ابن كثير "عماد الدين": البداية والنهاية، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، (جـ١٦)، الناشر/ دار هجر، ط/ الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)٠

٤٦- ابن مفلح "شمس الدين محمد": الآداب الشرعية والمنح المرعية، (جـ٢)، الناشر/ عالم الكتب، بدون تاريخ.

٤٧- المناوي "محمد عبد الرؤوف": التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر/ عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط/ الأولى (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٤٨- ابن النجار الفتوحي "تقي الدين محمد": شرح الكوكب المنير المسمي بمختصر التحرير في أصول الفقه، تحقيق د/ محمد الزحيلي، ونزيه حماد، الناشر/ مكتبة العبيكان، ط/ الثانية (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٤٩- أبو نعيم الأصبهاني "أحمد بن عبد الله": معرفة الصحابة، (جـ١)، تحقيق/ عادل بن يوسف العزازي، الناشر/ دار الوطن للنشر، الرياض، ط/ الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

ثالثًا: المراجع العربية الحديثة:

أ- العقيدة، والفرق:

١- الأشقر "عمر بن سليمان":

- العقيدة في الله، الناشر/ دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط/ الثانية عشر (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٢- الأفغاني "شمس الدين":

- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (جـ١)، الناشر/ دار الصميعي (أصل هذا الكتاب مخطوط دكتوراه من الجامعة الإسلامية)، ط/ الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصِّفات، (جـ٢)، الناشر/ مكتبة الصديق-الطائف، ط/ الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٣- آل سعود "سعود بن سلمان"، ومجموعة من الباحثين: موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، (جـ٢)، الناشر/ دار التوحيد، ط/ الأولى (١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).

٤- تبيدي "جمال الدين محمد علي عبد الحميد": جمال الدين القاسمي وآراؤه الكلامية من خلال تفسيره محاسن التأويل، مخطوط دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين السودان، دون تاريخ٠

٥- التميمي "محمد خليفة":

- الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، الناشر/ أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)٠
- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، الناشر/ أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)٠

٦- الجربوع "عبد الله بن عبد الرحمن": الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، الناشر/ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)٠

٧- الجلينيد "أ.د/ محمد السيد": قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، الناشر/ دار قباء – القاهرة، بدون رقم الطبعة، عام النشر (٢٠٠١م)٠

٨- حسن خان "محمد صديق": قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، الناشر/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، ط/ الأولى (١٤٢١هـ)٠

١-حسن "عثمان بن علي": منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنة والجماعة، (جـ١)، الناشر/ مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الخامسة (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)٠

٩- حسن"د/عفيفي إبراهيم": الماسونية بين الشيوعية والصهيونية، الناشر/ دار الفتح، دون رقم الطبعة، (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩)٠

١٠- الحكمي "حافظ بن أحمد": معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر، الناشر/ دار ابن القيم، الدمام، ط/ الأولى(١٤١٠هـ-١٩٩٠م)٠

١١- حلمي "أ.د/ مصطفى": الموجز في العقيدة الإسلامية، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت / لبنان، ط/ الأولى (٢٠٠٦م)٠

١٢- دبدوب "علي محمود": القاسمي وآراؤه الاعتقادية، مخطوط ماجستير، الناشر/ دار المحدثين، القاهرة، ط/ الأولى (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)٠

١٣- الدميجي "د/ عبد الله بن عمر": التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب، الناشر/ دار الفضيلة، ط/ الثانية (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).
١٤- الرفاعي "محمد نسيب": التوصّل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، الناشر/ دار لبنان، ط/ الثالثة (١٣٩٩هـ).
١٥- الزاملي "أحمد علي": الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة دِرَاسَةٌ عَقَدِيَةٌ رسالة علمية، مخطوط دكتوراه، إشراف/ د. محمد باكريم محمد عبد الله، (جـ١)، الناشر/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، العام الدراسي (١٤٣٧- ١٤٣٨هـ).
١٦- السعدي "عبد الرحمن بن ناصر": القول السديد شرح كتاب التوحيد، الناشر/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ط/ لثانية (١٤٢١هـ).
١٧- السَّقَّاف "علوي بن عبد القادر": صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، الناشر/ الدرر السنية - دار الهجرة، ط/ الثالثة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م).
١٨- السلمان "عبد العزيز المحمد": الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، الناشر/ مكتبة الرياض الحديثة، ط/ السادسة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
١٩- السمهري "محمد عبد الله": دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات، الناشر/ دار بلنسية، السعودية، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ).
٢٠- صالح الربعي "سليمان بن عبد العزيز": موافقات الفرق الكلامية لأهل السنة في أصول الاعتقاد: التوحيد والقدر نموذجًا، مخطوط دكتوراه، المملكة العربية السعودية، الناشر/ جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، ط/ الأولى (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
٢١- عبد الوهاب "سليمان بن عبد الله": تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، تحقيق/ زهير الشاويش، الناشر/ المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط/ الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٢٢- العثيمين "محمد بن صالح":
- تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق/ أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر/ مكتبة أضواء السلف، ط/ الثالثة (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)٠
- تقريب التدمرية، الناشر/ دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط/ الأولى (١٤١٩هـ)٠
- قواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الناشر/ الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/ الثالثة (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)٠
٢٣- العجمي "د/ فهد عامر حمد عازب": منهج دراسة العقيدة والدعوة بين الألوسي والقاسمي، مخطوط دكتوراه، الناشر/ جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، عام النشر(٢٠١٢م)، إشراف/ أ.د مصطفي حلمي، ومحمد السيد الجليند٠
٢٤- على أمير "جابر إدريس": منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة، (جـ١)، الناشر/ أضواء السلف، ط/ الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)٠
٢٥- العُميري "سلطان بن عبد الرحمن": العقود الذهبية على مقاصد العقيدة الواسطية، (جـ١)، الناشر/ دار مدارج للنشر- السعودية، ط/ الأولى (١٤٤٠هـ-٢٠١٩م)٠
٢٦- الغامدي "أحمد بن عطية": البيهقي وموقفه من الإلهيات، الناشر/ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/ الثانية (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)٠
٢٧- الغصن "سليمان بن صالح": موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، (جـ٢)، الناشر/ دار العاصمة، مخطوط دكتوراه، ط/ الأولى (١٤١٦هـ)٠
٢٨- الغصن "عبد الله بن صالح": أسماء الله الحسنى، الناشر/ دار الوطن، ط/ الأولى (١٤١٧هـ)٠
٢٩- الغنيمان "عبد الله بن محمد": شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، (جـ١)، الناشر/ مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ)٠

٣٠- فالح "عامر عبد الله": معجم ألفاظ العقيدة، الناشر/ مكتبة العبيكة – الرياض، ط/ الأولي (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م)٠

٣١- قاسم "عبد الرحمن بن محمد": حاشية كتاب التوحيد، الناشر/ المطابع الأهلية للأفست، الرياض، ط/ الأولى (١٣٩٦هـ)٠

٣٢- القاضي "أحمد عبد الرحمن بن عثمان": مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات (عرض، ونقد)، الناشر/ دار العاصمة، مخطوط، ماجستير (١٤١٤هـ)٠

٣٣- القحطاني "محمد بن سعيد بن سالم": الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، (جـ١)، الناشر/ دار طيبة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، بدون تاريخ٠

٣٤- القفازي "د/ ناصر عبد الله"، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، الناشر/ دار كموز إشبيليا، دون رقم الطبعة، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)٠

٣٥- "محمد بن عده": الآراء الاعتقادية لجمال الدين القاسمي من خلال محاسن التأويل المعاد – نموذجًا-، مخطوط ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية- قسم العقائد والأديان، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)٠

٣٦- المحمود "عبد الرحمن بن صالح": موقف ابن تيمية من الأشاعرة، (جـ٣)، الناشر/ مكتبة الرشد – الرياض، ط/ الأولى (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)٠

٣٧- مخلوف "أحمد قوشتي": الدليل النقلي في الفكر الكلامي بين الحجية والتوظيف، الناشر/ الجمعية العلمية السعودية، الرياض، ط/ الأولى (١٤٣٥هـ)٠

٣٨- المسير "د/ محمد سيد أحمد": الإلهيات في العقيدة الإسلامية، الناشر/ دار الاعتصام، بدون رقم الطبعة، (١٩٩٨م)٠

٣٩- المشعبي "عبد المجيد بن سالم": التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، الناشر/ أضواء السلف، الرياض، ط/ الثانية (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)٠

٤٠- المغراوي "د/ محمد بن عبد الرحمن": المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، (جـ٢)، الناشر/ مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)٠

٤١- ملكاوي "محمد أحمد محمد عبد القادر خليل": عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، الناشر/ مكتبة دار الزمان، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٤٢- ميهوب "أ.د/ سيد عبد الستار":

- الإلهيات عند ناصر الدين البيضاوي، الناشر/ مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/ الأولى (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).
- أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية (الله - العالم - الإنسان) دراسة في فكر آخر رواد مدرسة التنوير الاعتزالية، الناشر/ مكتبة الثقافة الدينية، ط/ الثانية، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

٤٣- نخبة من العلماء: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، الناشر/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، ط/ الأولى (١٤٢١هـ).

٤٤- النشار "د/ على سامي"، عمَّار جمعي الطالبي: مجموعة عقائد السلف، الناشر/ منشأة المعارف الإسكندرية، دون رقم الطبعة، (١٩٧١م).

٤٥- هرّاس "محمد بن خليل":

- دعوة التوحيد، الناشر/ دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ الأولى (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- شرح العقيدة الواسطية، تحقيق/ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر/ دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، ط/ الثالثة (١٤١٥هـ).

ب- المعاجم والموسوعات والدوريات:

١- بخيت "محمد حسن": أثر التأويل في ظهور الفرق، الناشر/ بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي (النص بين التحليل والتأويل والتلقي) الذي نظمته جامعة الأقصي - غزة - فلسطين (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٢- البدر "عبد الرزاق بن عبد المحسن": الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية، الناشر/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط/ السنة الثالثة والثلاثون، العدد الحادي عشر بعد المائة، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٣- البُوصي "عبد الله بن مبارك": موسوعة الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية، (جـ١)، الناشر/ دار البيان الحديثة- الطائف، ط/ الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)٠

٤- حاجي "د/ عبد العزيز": محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي مفسرًا، منشور في مجلة التراث العربي- سوريا المجلد ٢٨- العدد١١٢ لسنة ٢٠٠٨م، السنة الثامنة والعشرون٠

٥- رافق "د/ عبد الكريم":

- مظاهر سكانية من دمشق في العهد العثماني، صـ٦ مقال نشر ضمن مجلة دراسات تاريخية تصدرها لجنة كتابة التاريخ العربي بجامعة دمشق العددان ١٥، ١٦ سنة (١٩٨٤م)٠
- مظاهر من التنظيم الحِرَفي في بلاد الشام في العهد العثماني، مقال نشر ضمن مجلة دراسات تاريخية تصدرها لجنة كتابة التاريخ بجامعة دمشق العدد الرابع، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)٠

٦- رضا "محمد رشيد": مجلة المنار، المجلد السابع عشر الجزء الثامن٠

٧- زقزوق "د/ محمود حمدي": مقال " شخصيات إسلامية "، ضمن مجلة منبر الإسلام السنة ٥٥ العدد ٥ سنة (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)٠

٨- سركيس "يوسف إليان": معجم المطبوعات العربية والمعربة، (جـ٢)، طبعة سركيس بمصر (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م)٠

٩- شلبي "د/ أحمد": موسوعة التاريخ الإسلامي، (جـ٥)، الناشر/ مكتبة النهضة المصرية، ط/ العاشرة (١٩٩٥م)٠

١٠- قلعجي "محمد رواس"، حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، الناشر/ دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)٠

١١- كحالة "عمر رضا":

- المستدرك على معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، طبع مؤسسة الرسالة ط١ سنة (١٤٠٦هـ -١٩٨٥م)٠
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، (جـ٢)، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، بدون رقم الطبعة والسنة٠

١٢- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، المعجم الوسيط (جـ١، جـ٢)، الناشر/ مجمع اللغة العربية، ط/ الأولى (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

١٣- مجموعة من الباحثين: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، (جـ١)، الناشر/ دار الفضيلة – الرياض، ط/ الأولى (١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م).

١٤- المعتق "د/ عواد بن عبد الله": حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة، الناشر/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط/ السنة ٣٤- العدد١١٥-(١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).

١٥- المنجد "د/ صالح الدين": معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة، طبع دار الكتاب العربي الجديد بيروت لبنان، ط/ الأولى (١٩٧٨م).

١٦- نويهض "عادل": معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، (جـ٢)، الناشر/ مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط/ الثالثة (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م).

ت- الأحاديث والتاريخ وما يتعلق بهما:

١- أرسلان "شكيب بن محمود": لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟، تقديم/ محمد رشيد رضا، تحقيق/ حسن تميم، الناشر/ دار مكتبة الحياة، ط/ الثانية، بدون تاريخ.

٢- الألباني "محمد ناصر الدين":

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الناشر/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م).
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الناشر/ دار المعارف، الرياض، ط/ الأولى (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، الناشر/ المكتب الإسلامي، ط/ الثالثة (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- ضعيف سنن الترمذي، تعليق/ زهير الشاويش، الناشر/ المكتب الاسلامي – بيروت، ط/ الأولى (١٤١١هـ – ١٩٩١م).

٣- البيطار "عبد الرزاق بن حسن": حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق/ محمد بهجة البيطار، الناشر/ دار صادر، بيروت، ط/ الثانية (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)٠
٤- البيومي "د/ محمد رجب": النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، (جـ٢، جـ٤)، الناشر/ دار القلم، الدار الشامية، ط/ الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)٠
٥- الجندي "أحمد أنور": تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، طبع مكتبة الأنجلو المصرية ط/ الأولى (١٩٧٠م)٠
٦- الحافظ "محمد مطيع"، نزار أباظة: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، طبع ونشر دار الفكر العربي بدمشق ط/ الثانية (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)٠
٧- الحاكم النيسابوري "محمد بن عبد الله": المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، الناشر/ دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)٠
٨- حسون "د/ على": تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي - بيروت - ط/ الرابعة (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)٠
٩- الخطيب "محمد عجاج": السنة قبل التدوين، أصل هذا الكتاب: مخطوط ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الناشر/ دار الفكر، بيروت - لبنان، ط/ الثالثة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)٠
١٠- الزركلي "خير الدين": الأعلام، (جـ٧)، طبع دار العلم بيروت، ط/ الخامسة (١٩٨٠م)٠
١١- أبو زهو "محمد محمد": الحديث والمحدثون، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، الناشر/ دار الفكر العربي، ط/ الأولى (١٣٧٨هـ)٠
١٢- شاكر "محمود": التاريخ الإسلامي، (جـ٨)، الناشر/ المكتب الإسلامي، ط/ الرابعة (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)٠
١٣- الشَّطِّي "محمد جميل": أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ الثانية (١٩٧٢م)٠
١٤- الصلابي "على محمد": الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية - مصر، ط/ الأولي (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)٠

١٥- الطحان محمود بن أحمد": تيسير مصطلح الحديث، الناشر/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط/ العاشرة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)٠
١٦- العقاد "عباس محمود": محمد عبده، طبع دار القلم مصر، دون رقم الطبعة، (١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م)٠
١٧- فريد بك "محمد": تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق/ د. إحسان حقي، الناشر/ دار النفائس، ط/ الأولى (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)٠
١٨- القاسمي "ظافر": جمال الدين القاسمي وعصره، الناشر/ مكتبة أطلس، دمشق، ط/ الأولي (١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)٠
١٩- كُرْد عَلي "محمد بن عبد الرزاق": خطط الشام، بتصرف، الناشر/ مكتبة النوري، دمشق، ط/ الثالثة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)٠
٢٠- مجاهد "زكي محمد": الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، (جـ١، جـ٣)، الناشر/ طبع دار الغرب الإسلامي، ط/ الثانية (١٩٩٤م)٠
٢١- المراغي "عبد الله مصطفى": الفتح المبين في طبقات الأصوليين، (جـ٣)، الناشر/ محمد علي عثمان، مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ط/ الأولى (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م)٠
٢٢- نيازملا "محمد قربان": السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، الناشر/ مكتبة المنارة، ط/ الأولي (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)٠

ث- المراجع العامة الحديثة:

١- البركتي "محمد عميم الإحسان": قواعد الفقه، الناشر/ الصدف ببلشرز - كراتشي، ط/ الأولى (١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م)٠
٢- الجليند "أ.د/ محمد السيد": الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، ط/ الخامسة (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م)٠
٣- حاجي خليفة "مصطفى بن عبد الله": كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الناشر/ مكتبة المثنى - بغداد، (جـ١)، دون رقم الطبعة، تاريخ النشر (١٩٤١م)٠

٤- أبو زهرة "محمد أحمد": المعجزة الكبرى القرآن، الناشر/ دار الفكر العربي، ط/ الأولى (٢٠١٠م)٠
٥- السبكي "على بن عبد الكافي": العلم المنشور في إثبات الشهور، تعليق جمال الدين القاسمي، الناشر/ مكتبة الإمام الشافعي الرياض ط/ الثانية (١٤١٠هـ)٠
٦- سليمان الرومي "د/ فهد بن عبد الرحمن":
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (جـ١) طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء في السعودية ط/ الأولي (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)٠
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الناشر/ مكتبة التوبة، ط/ الرابعة ١٤١٩هـ٠
- دراسات في علوم القرآن الكريم، الناشر/ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط/ الثانية عشرة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)٠
٧- سيبويه "عمرو بن عثمان": الكتاب، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، (جـ١)، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/ الثالثة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)٠
٨- صالح الحسن "إبراهيم بن على": القاسمي ومنهجه في تفسيره "محاسن التأويل" مخطوط ماجستير، إشراف الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الوهيبي، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، كلية أصول الدين بالرياض، قسم القرآن وعلومه٠
٩- الطيار "مساعد": مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، الناشر/ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية، ط/ الثانية (١٤٢٧هـ)٠
١٠- قبوس "إيمان بنت سالم": الاستدراك الأصولي دراسة تأصيلية تطبيقية على المصنفات الأصولية من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر هجريا، رسالة: دكتوراه في أصول الفقه - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إشراف: أ. د/ محمود بن حامد عثمان، العام الجامعي (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)٠
١١- القرني "علي بن عبد الله": الفُطرة، حقيقتها ومذاهب الناس فيها، الناشر/ دار المسلم، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)٠

١٢- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى (جـ٣)، تحقيق/ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر/: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع - الرياض، ط/ الأولى (١٤٢٤هـ)٠

رابعًا: المصادر والمراجع غير العربية المترجمة:

لوبون "جوستاف": حضارة العرب. ترجمة. عادل زعيتر. مطبعة الحلبي، القاهرة٠

فهرس الموضوعات

The summary of the research

In the name of Allah the most gracious the most merciful

It is a scientific message entitled (The issues of divinity in Gamal al-Din al-Qassimi's interpretation died (1332H). it deals with the point of view of the great scholar whom Allah adopted them to serve their religion and provided them by brilliant minds aware hearts and guided them to the right path way and spent their life to serve this religion and defended its right doctrine and confronting the disbelievers and apostles

Al- Qassimi was brought up in the age that has a lot of apostles waves and callers of naturalism increase the phantasms and imitation increased so Al Qassimi worked hard to reform as possible as he could through being a teacher and Imam and Author. .

No doubt the science of doctrine is the most honorable one as it is related to Allah the greatest , his names and his qualities

As the honor of science is the honor from Allah the greater so I studied the opinions of Al Qassimi in his beliefs related to " the issues of divinity through his interpretation (explanation) the merits of explanation" I chose this topic as a study as its importance this part in beliefs' studies another cause of choosing this topic

1-This interpretation drew a clear and complete idea about the issues of belief that a lot of groups and sectors disputed who were in the age of Al Qassimi the cause of this differences as they differed in understanding the meanings of Allah's words

2-This interpretation included a lot of documentary quotations from leaders of interpretations

3-Al Qassimi is one of the most famous late scholars who has great effect in the modern Islamic renaissance

4-Studying this topic (the issues of divinity in the merits of interpretations shares a lot in the preparation and preface of the researcher to study much deeper in the field of doctrine

5-its study also helps the researchers and the interested to study the work of Al Qassimi

The study tries to answer

1-what are the beliefs opinions related to the issues of divinity in Al Qassimi as interpreter

2-His opinions of the issues that many differed in them

3-the origins that he depended in during his interpretation in the explanation of doctrine.

The study dealt with the issues of divinity in Al Qassimi interpretation there was introduction to know the life of Al Qassimi to clarify the effect of the conditions that were

surroundings him (politically ,scientifically ,cultural ,socially and religious)

His preachers' effect on him and clarifying the total doctrine and explaining this all in many chapters and others that deal with the divinity issues(the presences of Allah ,the loneliness , the unique of Allah ,his names ,qualities ,deeds)

The explanation of El Qasim curriculum in the explanation and the proofs which he depended on them in these issues and the researcher divided his study into introduction and four chapters in each chapter several search ,in each search several demands .

At the end of chapters searches and demands the searcher presented a conclusion included the most important results and recommendations that he reached. Then he downed a list of the resources and references that the study depended on, This study is a try from the researcher to fill a gap in the writings that dealt with the beliefs side in the great Muslims scholars specially in Al Qassimi.

If this is right just only from Allah whom all we depend , and all the deeds are done for him

Minia University

Dar El oloum Faculty

Islamic philosophy Department

The issues of divinity

in the interpretation of hermeneutics advantages for Al Qassimi

(died 1332H)

A message for master degree

in the Islamic sciences- Islamic philosophy specialization

prepared by the researcher

Hany Ahmed Kotb Gabr

the supervisor

A.D/ Sayed Abd El Satar Mayhoub

Master of Islamic philosophy